مناهج البحث

فى

التاريخ الإسلامى والآثار الإسلامية

الأستاذ الدكتور

السيد عبد العزيز سالم

أستاذ التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية

كلية الآداب ـ جامعة الإسكندرية

مؤسسة شباب الجامعة

40 ش د / مصطفى مشرفة

تليفاكس :4839496 الإسكندرية

Email:shabab_elgamaa@yahoo.com

مناهـــج البحـــث
فـــى
التاريخ الإسلامي والآثار الإسلامية

الاستاذ الدكتور

السيد عبد العزيز سالم

أستاذ التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية

كلية الاداب – جامعة الإسكندرية

٢٠١٠

الناشر

مؤسسة شباب الجامعة

٤٠ ش د./مصطفي مشرفه

اسكندرية تليفاكس : ٤٨٣٩٤٩٦

Email:Shabab_Elgamaa@yahoo.Com

مقدمة

خص العرب علم التاريخ بجانب كبير من اهتمامهم ، لميلهم إلى معرفة مصائر الأمم الماضية ، وحوادث الأزمان السابقة ، ولاهتمامهم بالأنساب ، فرووا أخباره ، وجمعوا ما استطاعوا جمعه من الروايات ، وألفوا فيه ، ولم يتركوا جانبا من جوانب النشاط الإنسانى القديم والمعاصر لهم إلا سجلوا تاريخه، ولذلك حفلت مصنفاتهم بجوانب متعددة من أحوالهم المعاصرة ، فلم تخل كتبهم من معلومات جغرافية واجتماعية واقتصادية مما يمكن أن يؤلف تاريخا للحضارة العربية فى العصور الاسلامية المختلفة ، ولذلك أيضا كان كثير من رواد علم التاريخ روادا لعلم الجغرافية فى نفس الوقت ، وكان التاريخ والجغرافية فى نظر العرب فرعين متلازمين من شجرة المعارف العامة التى كانوا يسمونها « الأدب » بوجه عام ، « فكما كان من الضرورى للعربى أن يعرف لغته ، نثرها ونظمها وشعراءها وكتابها ،فكذلك كان لابد أن يعرف أنساب العرب وأخبارهم وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأخبار الفتوح الإسلامية وتواريخ الخلفاء والدول وكان لزاما عليه — إكمالا لثقافته — أن يعرف بلاد الإسلام ومدائنها والطرق إليها مع ماتيسر من أحوال اهلها وصفاتهم وعاداتهم ، ومن هنا فانه من العسير أن تفصل بين المؤرخ والجغرافى والأديب فى تاريخ الفكر الإسلامى (١) » .

وعلى هذا النحو فإن معظم المصنفات التاريخية والجغرافية والأدبية موسوعات عربية فى التاريخ والأدب والعلوم الإسلامية بوجه عام ، وتعتبر ذخيرة طيبة

---

(١) حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيون فى الأندلس ، من البداية إلى المجارى ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد ، المجلدان السابع والثامن ، مدريد ١٩٥٩ ١٩٦٠ ص ١٩٩ ، ٢٠٠

للباحث فى علم التاريخ عند العرب ، ومنها يستطيع أن يستخلص ما يرغب فى استخلاصه من مادة علمية فى المجال الذى ينوى البحث فيه . ولا يخفى أهمية هذه الموسوعات الجامعة بالنسبة لدراسة الحضارة الاسلامية ، إذ تعين على توضيح مجريات الأحداث ، وتفهمها تفهما واعيا ، والوقوف على عوامل الضعف والقوة فى الشعوب ، والتيارات المختلفة التى تؤثر فى حياتها ، فان كثيرا من الحركات السياسية والاجتماعية يستعصى على دارسى التاريخ فهمها ما لم تكن مصحوبة بدراسة العوامل الاقتصادية التى أثرت فيها وتأثرت هى بها ، فالهجرات السامية من قلب شبه الجزيرة العربية إلى بلاد الشام والعراق فى العصور القديمة ، وغزو الهكسوس لمصر أمور يغلق فهمها على المؤرخ مالم يقرنها بالعوامل الاقتصادية التى كانت تؤثر فيها ، كما أن الفتوحات الاسلامية فى فارس والعراق والشام ومصر والمغرب والأندلس ، وحركة القرامطة ، وثورة الزنج ، وقيام الدولة الفاطمية فى مصر . والحركة الصليبية ، والهجرات الجرمانية وغيرها من من الأحداث الكبرى فى التاريخ الاسلامى والأوروبى الوسيط ، لم تكن كلها حركات سياسية أو دينية فقط ، ولكن صلتها بالاوضاع الاقتصادية كان وثيقا للغاية (١) . وكانت التجارة من العوامل الرئيسية التى ساعدت على انتشار الرحلات فى الماضى ، كما كانت العامل الرئيسى فى انتشار الاسلام فى أطراف الدولة الاسلامية ، فى الهند والصين وبلاد ما وراء النهر ، وفى السودان الغربى وموريطانية وغانه وأواسط افريقيا وسواحلها الشرقية .

وظل العرب يهتمون بدراسة تاريخهم وحضارتهم ، ويسجلون الاحداث والوقائع القديمة والمعاصرة لهم ، إلى أن تعرض العالم العربى فى النصف الأول

---

(١) سيدة اسماعيل كاشف : مصادر التاريخ الاسلامى ومناهج البحث فيه ، القاهرة ١٩٦٠ ص ٦

من القرن السابع عشر الميلادى لموجة عاتية من الجمود الفكرى بعد أن نكب بالفتح العثمانى لمعظم أقطاره فى المشرق والمغرب ، وزاد الاستعمار الأوربى للعالم العربى منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر فى هذا الركود ،كما دعم الانفصال السياسى والحضارى بين شقى العالم العربى : المشرق والمغرب . ولم يفق العرب من صدمة الاستعمار الاوروبى إلا بعد أن أنقضى ما يزيد على نصف قرن من الزمان ، ثم كانت الانطلاقة التحررية الأولى من عرب المشرق فى مصر والشام والعراق ، إذ أعلنوا ثورتهم على الاستعمار ، وأخذوا يحطمون تدريجيا الاصفاد التى كبلهم بها المستعمرون ، فلما تحققت آمالهم فى آخر الأمر ، وظفروا بحريتهم ، أخذوا يمدون أيديهم إلى إخوانهم فى المغرب العربى ، الذين كانوا يعملون من جانبهم على التحرر من أغلال الاستعمار الفرنسى البغيض ، وساند العرب فى سائر الأقطار العربية كفاح الشعب العربى الثائر فى تونس والجزائر والمغرب ، إلى أن تهيأ لهذا الشعب العربى المغربى أن ينال ثمرة كفاحه ، ويسترد حريته .

وبينما كان قلب العالم العربى منذ بداية القرن العشرين يحتدم بالثورات ضد المستعمرين ، ويغلى بالحركات القومية ، كانت تجتاحه ثورة أخرى شملت معظم جوانب الحياة السياسية والفكرية والاجتماعية ، ذلك أن الحركة القومية العربية اقترنت بحركة إحياء واسعة النطاق (١) ، كان من أبرز مظاهرها البحث عن الكتب التاريخية ، ودراستها ، ونشرها ، باعتبارها أداة للكشف عن ملكات العرب ، وطاقاتهم الابداعية ، ومصدرا ملهما للأمجاد والبطولات ، ثم هى بالإضافة إلى ذلك حافز لإلهاب المشاعر القومية ، ودفع الحركة القومية للشعب العربى إلى الغاية والمنتهى ، وعلى هذا النحو تزايد الاقبال على الدراسة التاريخية

(١) فرانز روزنتال ، علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة الدكتور صالح أحمد العلى ، بغداد ١٩٦٣ المقدمة ص ج ، د

وأدى ذلك إلى الاهتمام بالبحث فى علم التاريخ عند العرب ، ودراسة مناهج البحث فيه ، وهو أمر سبقهم المستشرقون إلى تحقيقه . ولم يعب الباحثين العرب أن يأخذوا على هؤلاء المستشرقين ، فعلى الرغم من أن نفرا من المستشرقين المشتغلين بالتاريخ الاسلامى قد جانبوا المنهج العلمى ، فعمدوا إلى التضليل فى أبحاثهم لتعمية العرب عن معرفة أمجاد أسلافهم ، ومنهم من كان يسعى إلى إبراز الاخطاء التى وقع فيها العرب ، ومنهم من مجد حركات الشعوبية ، وأبرز روح المقاومة التى مارسها العجم والبربر ضد العرب ، رغبة فى تفتيت وحدة الشعوب العربية ، فإنه لا ينبغى أن نجحد فضل التواليف والأبحاث القيمة التى قام بها بعض المستشرقين فى التاريخ الإسلامى وفى مصادره وفى نشأته ، ومنهم بروكلمان وهاملتون جب ، وبارتولد ، وسوفاجيه ، فقد اتسمت أبحاث هؤلاء بالنزاهة العلمية والتحرى والصدق ، والاعتماد على المصادر العربية التى بذلوا فى نشرها وتحقيقها واستخدامها جهودا موفقة . ومن طلائع المستشرقين فى دراسة علم التاريخ عند العرب :

١ — وستنفلد (فردناند) الذى أصدر بحثا هاما فى مؤرخى العرب فى سنة ١٨٨٢ ، جمع فيه نحو ٥٩٠ اسما من أسمائهم وضمنه مصنفاتهم (١) فى القرون العشرة الأولى بعد الهجرة .

٢ — مرجليوث : وقد نشر عددا من المحاضرات كان قد القاها فى جامعة كلكوتا بالهند فى فبراير سنة ١٩٢٩ عن مؤرخى العرب (٢) ، تعرض فيها لدراسة المؤرخين العرب فى القرون الستة الأولى للهجرة .

---

(١) F. Wuestenfeld, Die Geschichtschreiber der Araber und ihre Werke, Goettingen, 1882.

(٢) D. S. Margoliouth, Lectures on Arabic Historians (delivered before the University of Calcutta, February 1929) University of Calcutta, 1930.

٣ — بروكلمان : أصدر معجما لجميع مصنفات العرب فى العصور الاسلامية ، وقسم هذه الدراسة القيمة إلى أقسام تتبع العصور التاريخية ، وقد أفاد بروكلمان فى دراسته عن التاريخ الاسلامى وكل ما كتبه وستنفلد من قبل عن المؤرخين العرب ، ويتضمن كتابه مجلدان نشرهما فى برلين فيما بين عامى ١٨٩٨ ، ١٩٠٢ ، ثم ذيلهما بملحق من ثلاث مجلدات نشرها فيما بين عامى ١٩٣٧ ، ١٩٤٢ (١) .

٤ — هاملتون جب : نشر بحثين قيمين،أحدهما فى دائرة المعارف البريطانية (الطبعة ١٤) ، عن التاريخ عند المسلمين ، والثانى فى دائرة المعارف الاسلامية تحت مادة « علم التاريخ » من القسم المعرب،فى الملحق «Supplement» الصادر سنة ١٩٣٨ (صفحات من ٢٣٣ — ٢٤٥) مادة «Tarikh» (٢) ، كما نشر بحثا عن التاريخ الاسلامى فى العصور الوسطى فى كتابه«دراسات فى حضارة الاسلام» (٣)

٥ — بارتولد : أصدر بحثا قيما عن تاريخ التركستان حتى الغزو المغولى ، ضمن مقدمته دراسة جدية عن المصادر الخاصة بالتاريخ الاسلامى (٤) .

٦ — كلود كاهن : قدم لدراسة الأصيلة عن « سورية الشمالية فى العصر

---

(١) C. Brockelmann: Geschichte der Arabischen Litteratur, 2 vols., Berlin 1898-1902 & Supplementband, 3 vols, Leiden 1937-1942.

(٢) H.A. R. Gibb : Ta'rikh, in Ency. of Islam, Supplement, pp. 233-245, Leiden-London, 1938.

(٣) هاملتون جب ، دراسات فى حضارة الاسلام،ترجمة الدكاترة إحسان عباس ومحمد نجم ومحمود زايد ، بيروت ١٩٦٤ ص ٣-٤١ .

(٤) Barthold W.: Turkestan down to the Mongol invasion, London 1928 (Gibb Memorial Series, N.s.5)

الصليبي ، بدراسة ممتازة عن المصادر العربية ، شملت الفصل الثانى كله من المقدمة التى أفردها لبحث المصادر (١) .

٧ — سوفاجيه: نشر بحثاً متكاملاً عن «مقدمة لتاريخ المشرق الاسلامى»عرض فيها مصادر تاريخ كل قطر من أقطار المشرق الاسلامى على حدة (٢) .

٨ — فرانز روزنتال : أصدر مصنفين جليلين ، أحدهما بعنوان : «علم التاريخ عند المسلمين» ، وقد تولى ترجمته الأستاذ الدكتور صالح أحمد العلى بجامعة بغداد (٣) ، والثانى بعنوان: «مناهج البحث العلمى عند المسلمين» (٤) ، وقد تولى ترجمته إلى العربية الأستاذ الدكتور أنيس فريحه ، الأستاذ بالجامعة الامريكية ببيروت ، تحت العنوان السابق (٥) .

وهناك علماء آخرون ، كتبوا فى التاريخ الإسلامى فى المغرب والأندلس نذكر منهم، ليفى بروفنسال فى بحثه القيم «Les Historiens des Chorfa» (٦)،

---

(١) Claude Cahen, la Syrie du Nord à l'époque des Croisades et la Principauté franque d'Antioche, Paris, 1940, pp. 33-93.

(٢) Jean Sauvaget; Introduction à l'histoire de l'Orient musulman, Paris, 1923.

(٣) Franz Rosenthal, a history of Muslim Historiography, Leiden, 1952. والترجمة العربية بعنوان : علم التاريخ عند المسلمين ، قام بها الأستاذ الدكتور صالح أحمد العلى ، بغداد ١٩٦٣ .

(٤) F. Rosenthal, the Technique and approach of Muslim Scholarship, Rome, 1947.

(٥) روزنتال ، مناهج العلماء المسلمين ، ترجمة الدكتور أنيس فريحة ، بيروت ١٩٦١ .

(٦) E. Lévi-Provençal, Les Historiens des Chorfa, Paris 1922

وبونز بويجس الاسبانى فى كتابه الكبير « تراجم للمؤرخين والجغرافيين الأندلسيين» (١) .ثم ظهرت بحوث عربية قيمة فى التاريخ والمؤرخين العرب، نخص بالذكر منها الدراسات التى قام بها الأستاذ أحمد أمين فى كتابيه ضحى الاسلام ، وظهر الاسلام (٢)، وقد عالج فيها نشأة علم التاريخ وتطوره فى العصر العباسى ،ومنها الفصل القيم الذى أضافه الاستاذ عبد الحميد العبادى لكتاب « علم التاريخ » لمؤلفه هرنشو ، عندما تبين له أثناء قيامه بترجمته — اختصار المؤلف لهذا الموضوع فى فصله الثانى ، فأصبح الكتاب يتضمن ثمانية فصول بدلا من سبع (٣) ، ومنها أيضا كتاب نشأة علم التاريخ عند المسلمين ، للاستاذ الدكتور عبد العزيز الدورى(٤)، والمؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر الميلادى للاستاذ الدكتور محمد مصطفى زيادة (٥) ، وموارد تاريخ الطبرى للدكتور جواد على (٦) ، ومنهج البحث التاريخى للاستاذ الدكتور حسن عثمان (٧) ، والتعريف بالمؤرخين فى عهد المغول والتركمان للاستاذ عباس العزاوى(٨) ،والبحث الذى نشره الأستاذ الدكتور زكى

---

(١) Pons Boigues (F.); Ensayo bio-bibliografico sobre los historiadores y géogràfos aràbigo-espanoles, Madrid, 1898.

(٢) أحمد أمين : ضحى الاسلام ، جزآن ، القاهرة ١٩٣٨ .

(٣) هرنشو ، علم التاريخ ، ترجمة الأستاذ عبد الحميد العبادى ، القاهرة ١٩٣٧ ، والفصل الثالث من هذه الترجمة من تأليف الأستاذ عبد الحميد العبادى (ص ٥١ — ٦٩) .

(٤) عبد العزيز الدورى ، بحث فى نشأة علم التاريخ عند العرب ، بيروت ١٩٦٠ .

(٥) محمد مصطفى زيادة ، المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر الميلادى ، القاهرة ١٩٤٩ .

(٦) جواد على ، موارد تاريخ الطبرى ، مجلة المجمع العلمى العراقى ، بغداد ، ١٩٥٠ — ١٩٥٢ (ثلاثة أجزاء) .

(٧) حسن عثمان ، منهج البحث التاريخى ، القاهرة ١٩٤٣ .

(٨) عباس العزاوى ،التعريف بالمؤرخين فى عهد المغول والتركمان ، بغداد ١٩٥٧ .

محمد حسن بعنوان : « دراسات فى مناهج البحث فى التاريخ الاسلامى » (١) ، وكتاب مصادر التاريخ الاسلامى ومناهج البحث فيه للأستاذة الدكتورة سيدة كاشف (٢) .وكتاب مقدمة لدراسة التاريخ الاسلامى ، للاستاذ الدكتور عبدالمنعم ماجد (٣) ، ومصطلح التاريخ للدكتور أسد رستم (٤) ، وكتاب استخدام المصادر وطرق البحث فى التاريخ المصرى الوسيط للدكتور على ابراهيم حسن (٥)، وكتاب التاريخ والمؤرخين فى مصر فى القرن التاسع عشر للاستاذ الدكتور جمال الدين الشيال (٦) ، والبحث القيم الذى نشره الأستاذ الدكتور حسين مؤنس عن الجغرافية والجغرافيين فى الاندلس (٧) .وأخيرا البحث الذى تقدم به الدكتور عبد القادر أحمد طليمات لنيل درجة الدكتوراه فى الآداب من جامعة عين شمس بعنوان المؤرخ ابن الأثير (٨) .

---

(١) زكى محمد حسن ، دراسات فى مناهج البحث فى التاريخ الاسلامى ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد الثانى عشر ، ج ١ ، مايو ١٩٥٠ .

(٢) سيدة اسماعيل كاشف ، مصادر التاريخ الاسلامى ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

(٣) عبد المنعم ماجد ، مقدمة لدراسة التاريخ الإسلامى ، القاهرة ١٩٥٣ .

(٤) أسد رستم ، مصطلح التاريخ ، بيروت ١٩٣٩ .

(٥) على ابراهيم حسن ، استخدام المصادر وطرق البحث فى التاريخ المصرى الوسيط ، القاهرة ١٩٤٩ .

(٦) جمال الدين الشيال ، التاريخ والمؤرخون فى مصر فى القرن التاسع عشر ، المكتبة التاريخية ، عدد ٣ القاهرة ١٩٥٨ .

Gamal el-Din el-Shayyal, a histoy of Egyptian historiography in the 19 th Century, Alexaudria, 1962.

(٧) حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيون فى الأندلس من البداية إلى الحجارى ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد ، المجلد ٧ ، ٨ ، مدريد ١٩٥٩/١٩٦٠ ص ١٩٩ - ٣٥٩ .

(٨) عبد القادر أحمد طليمات ، المؤرخ ابن الأثير ، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة فى الآداب - جامعة عين شمس فى ١٩٦٧/٧/٨ .

ويتبين لنا مما ذكرناه عن كثرة البحوث والتواليف العربية فى التاريخ والمؤرخين العرب أن الباحثين العرب حذوا حذو المستشرقين فى الاهتمام بدراسة التاريخ، فجاءت دراساتهم وقد تميزت بالدقة وتشبعت بالروح النقدى . ووافقت فى هذا المجال بحوث المستشرقين .

وقد كان من مظاهر اهتمام جامعة الاسكندرية بهذه الدراسات التاريخية أن خصصت لطلاب السنة الرابعة بقسم التاريخ مقرراً قوميا لم تجد أنسب من تخصيصه لدراسة التاريخ والمؤرخين العرب ، وقد رأيت أن أجمع محاضراتى فى هذا الكتيب حتى يتيسر للطالب أن يقوم بدراستها ، مترابطة فيما بينها ، بطريقة علمية مستساغة ، وقسمت هذا الكتاب إلى قسمين رئيسيين : الأول أفردته للكتابة التاريخية والثانى خصصته لدراسة المصادر ، واختتمت الكتاب بنصوص تاريخية وجغرافية تعين الطالب على تطبيق ما درسه فى فصول الكتاب .

أرجو أن أكون قد وفقت فيما ذهبت إليه ، والله أسأله التوفيق ؟

السيد عبد العزيز سالم

الباب الأول

الكتابة التاريخية عند العرب

الفصل الأول

علم التاريخ فى أقوال مؤرخى العرب

(١) التقويم الهجرى

(٢) آراء مؤرخى العرب فى التأريخ :

ا — فائدة التأريخ

ب — أخطاء المؤرخين العرب فى رأى ابن خلدون

ج — الشروط اللازم توفرها فى الكتابة التاريخية (فى رأى ابن خلدون والسخاوى)

الفصل الثانى

نشأة علم التاريخ عند العرب

(١) أخبار العرب فى الجاهلية

(٢) كتاب السيرة والمغازى وبداية الكتاب التاريخية عند العرب

ا — مدرسة التاريخ فى المدينة

ب — مدرسة التاريخ فى العراق

الفصل الثالث

تطور الكتابة التاريخية

(١) منهج الكتابة التاريخية عند العرب

(٢) تنوع صور الكتابه التاريخية

الفصل الأول

علم التاريخ فى أقوال مؤرخى العرب

(١)

التقويم الهجرى

أ – لفظة « تأريخ » لغة واصطلاحا :

تاريخ كل شيء من حيث اللغة ، وفقا لما ذكره محمد بن يحي الصولى(ت٣٣٦هـ) غايته ووقته الذى ينتهى إليه ، ولهذا يقال : فلان تاريخ قومه فى الجود ، أى الذى انتهى إليه ذلك . وقيل إن معناه التأخير ، وقيل أيضا إنه اثبات الشيء (١) .

« وتأريخ » مصدر من « أرخ » بلغة قيس ، وهو اللفظ الشائع عند العرب، أو « ورخ » بلغة تميم ، وهو لفظ لم يستخدمه كاتب قط (٢) ،ويزعم بعض المؤرخين أن لفظ « تأريخ » مشتق من « ياريخ » العبرية بمعنى القمر أو « يرخ » بمعنى الشهر ، وعلى أساس هذا الزعم يكون معنى لفظ « تأريخ » التوقيت ، أى تحديد الشهر (٣) . ويستبعد الأستاذ روزنثال الافتراض القائل بالأصل العبرى لوجود حرف ياء فى الصورة العبريه (٤) . وزعم آخرون أن لفظ « تأريخ »

---

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولى ، أدب الكتاب ، تحقيق محمد بهجة الأثرى ، القاهرة ١٣٤١هـ ، ص ١٧٨ ، محمود شكرى الألوسى ، بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب ، ج ٣ القاهرة ١٩٢٥ ، ص ٢١٤ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٨٠ .

(٣) بلسير ، مادة تأريخ ، دائرة المعارف الاسلامية ، (القسم المعرب) ، مجلد ٤ ، عدد ٨ ص ٤٧٣ .

(٤) فرانز روزنثال ، علم التأريخ عند المسلمين ، ص ٢١ .

مشتق من اللفظ الأكدى « أرخو » وهو أيضا أمر بعيد الاحتمال فى رأى روزنثال(١) . ويذهب بعض المؤرخين إلى أن لفظ « تأريخ » تعريب لكلمة « ماه روز » الفارسية ومعناها حساب الشهور والأيام (٢) ، أو التوقيت حسب القمر(٣) ، وتوحى لفظة ماه روز بأن المراد منها تعيين بدء الشهر القمرى (٤) ، ويعللون ذلك برواية جاء فيها أن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب لما كثرت لديه الأموال ، واختلط عليه وقت توزيعها ، جمع وجوه الصحابة ، وسألهم عن كيفية التوصل إلى ذلك ، فقال له الهرمزان ملك الأهواز ، وكان قد أسر زمن فتح فارس ، وحمل إلى عمر فأسلم : « إن للعجم حسابا يسمونه ماه روز ويسندونه إلى من غلب عليهم من الأكاسرة » ، فعربوا لفظة ماه روز بمؤرخ ، وجعلوا مصدره « التأريخ » واستعملوه فى وجوه التصريف ، ثم شرح لهم الهرمزان كيفية استعمال ذلك (٥) .

وكلمة التأريخ من حيث الاصطلاح تعنى الزمن والحقبة (٦) ، ولم يظهر هذا الاصطلاح بالمعنى الذى ذكرناه لا فى الأدب الجاهلى ، ولا فى القرآن الكريم ، ولا فى الأحاديث النبوية ، ولم يستخدم لأول مرة إلا منذ أن أدخل عمر بن

---

(١) نفس المرجع .

(٢) البيرونى ، الآثار الباقية عن القرون الخالية ، نشره ادوارد شاو ، ليزج ١٩٢٣ ص ٢٩ — حمزه الأصفهانى ، تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء ، مطبعة كاويانى ، برلين ، ص ٨ .

(٣) روزنثال ، علم التأريخ ، ص ٢٣ .

(٤) بلسير ، مادة تأريخ ص ٤٧٤ .

(٥) البيرونى ، الآثار الباقية ، ص ٣٠ - السخاوى ، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ ، امس نشره روزنثال فى كتابه ، علم التاريخ عند المسلمين ، ص ٥١٢ .

(٦) روزنثال ، ص ٢٣ .

الخطاب التقويم الهجرى ، فقد ورد هذا الاصطلاح فى بردية يرجع تاريخها إلى سنة ٢٢ هـ ، مما يدل على أن الكلمة كانت معروفة فى ذلك الحين .(١)

ثم تطور مدلول الكلمة بعد ذلك إلى أن أصبحت « الكتب التاريخية » ، وأقدمها الكتب التى تتضمن مجموعات تراجم تتعرض لسنوات الميلاد والوفاة لبعض الشخصيات التى عنى مؤلفو هذه الكتب بترجمتها ، وعلى هذا الأساس أصبح التاريخ عند العرب فنا يبحث فيه عن وقائع الزمان من حيثية التعيين والتوقيت بل عما كان فى العالم » (٢) ، وموضوعه يقوم على الإنسان والزمان ، ومسائله قوامها أحوال الإنسان والزمان والمفصلة للجزئيات تحت دائرة الأحوال العارضة الموجودة للانسان وفى الزمان » (٣) . ولهذا السبب كانت كتب السيرة والمغازى والأنساب تدخل فى عداد الكتب التاريخية ، ثم تطور معنى التاريخ إلى معناه الشائع المعروف باستعمال كتب الحوليات لهذه الكلمة (٤) ، مثل تاريخ الأمم والملوك للطبرى ، وتاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء لحمزة الأصفهانى .

ومع ذلك فلفظة « تأريخ » عند العرب لم تكن تطابق كلمة « History » عند الأوربيين . لأن القضايا الفلسفية المتصلة بفكرة التاريخ هى من تطورات الفلسفة الحديثة (٥) ، وهى تختلف كلية عن مفهوم التاريخ عند العرب .

---

(١) نفس المرجع ، ص ٢٤ .

(٢) الكافيجى ، المختصر فى علم التاريخ ، ٣٢٧ — السخاوى الاعلان بالتوبيخ ص ٣٨٥

(٣) نفس المصدر

(٤) روزنتال ، ص ٢٥ .

(٥) جوردون شايلد ، التاريخ ، ترجمة عدلى برسوم عبد الملك ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ١١٥ وما يليها — هيو اتكن ، دراسة التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية ، ترجمة الدكتور محمد زايد ، بيروت ١٩٦٣ — هرنشو ، علم التاريخ ، ص ١ — ٢٢

ب – ادخال التقويم الهجرى :

كانت فكرة الوقت وتحديده فى المجتمع القبلى الجاهلى غير محدودة ومشوشة ، فكان العرب يؤرخون بكل عام يكون فيه أمر مشهور متعارف عليه ، فأرخ العدنانيون بعام نزول اسماعيل مكة ، وعام تفرق ولد معد ، وعام رئاسة عمرو بن لحى الخزاعى الذى بدل دين ابراهيم بعبادة الأصنام ، وعام وفاة كعب بن لؤى ، وعام الغدر أو حجة الغدر (١) ، كذلك أرخوا بعام الفيل ، وفيه ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان فى السنة الثانية والثلاثين من ملك كسرى أنوشروان ، كذلك أرخوا بعام الختان لأنهم تماوتوا فيه (٢) ، فقال النابغة الجعدى فيه :

فمن يك سائلا عنى فإنى .·. من الشبان أيام الختان

مضت مائة لعام ولدت فيه .·. وعشر بعد ذاك وحجتان

وأرخت قريش أيضا بوفاة هشام بن المغيرة المخزومى والد أبى جهل لإجلالهم له ، وأرخوا أيضاً ببنيان الكعبة (٣) ، وكانت حمير تورخ بالتبابعة ، وغسان بالسد (سد مأرب) ، وأهل صنعاء بظهور الحبشة على اليمن ، ثم بغلبة الفرس . ثم أرخ العرب بالأيام المشهورة كحرب البسوس وداحس ، ويوم ذى قار ، وبحرب الفجار ، ثم أرخ العرب فى خلافة عمر بالتقويم الهجرى (٤) . وذكروا فى ذلك

---

(١) وفيه وثب قوم من بنى يربوع على رسل أحد ملوك حمير ، كان وجههم بكسوة الى الكعبة ، ونهبوا متاعهم ، فبلغ خبرهم من كان قد اجتمع بالموسم من افناء القبائل ، فوثب بعضهم على بعض . وقد حدث ذلك قبل المبعث بمائتى عام على حد قول الزبير بن بكار

(٢) الصولى ، أدب الكتاب ، ص ١٧٩ — البيرونى ، ص ٣٤.

(٣) حمزة الاصفهانى ، تاريخ سنى ملوك الأرض والانبياء ، برلين ١٣٤٠ ، ص ٩٣–٩٦

(٤) الكافيجى ، ص ٣٣٠–٣٣١ ، جواد على ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، بغداد ١٩٥٩ ، ج ٨ ص ٤٠٦

أنه قال : « ضعوا للناس تاريخا يتعاملون عليه ، وتصير أوقاتهم مضبوطة فيما يتعاطونه من معاملاتهم ، فقال بعض من حضر من مسلمى اليهود : لنا حساب مثله نسنده إلى الاسكندر ، فما ارتضاه الآخرون لما فيه من الطول . وقال قوم : يكتب على تاريخ الفرس ، فقيل إن تاريخهم غير مستند إلى مبدأ معين ، بل كلما قام منهم ملك ابتدأوا من لدن قيامه وطرحوا ما قبله ، واتفقوا على أن يجعلوا تاريخ دولة الاسلام من لدن هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة ، لأن وقت الهجرة لم يختلف فيه أحد ، بخلاف وقت مبعثه فإنه مختلف فيه ، وكذا وقت ولادته ليلة وسنة ، وأما وقت وفاته فهو وإن كان معينا ، فلا يحسن عقلا أن يجعل الأصل لمبدأ التاريخ، وأيضا ، فوقت الهجرة، ووقت استقامة ملة الاسلام وترادف الوفود ، واستيلاء المسلمين ، فهو مما يتبرك به ، ويعظم وقعه فى النفوس » (١) .

وهناك من يجعل أصل التأريخ الاسلامى مأخوذا من اليمن (٢) استنادا إلى الرأى القائل بأن أول من أرخ التاريخ يعلى بن أمية الذى كتب إلى عمر بن الخطاب كتابا من اليمن مؤرخا ، فاستحسنه عمر ، فشرع فى التأريخ(٣) ، ومنذ أن وضع عمر بن الخطاب تقويما ثابتا يتمثل فى التأريخ الهجرى،أصبح هذا التقويم عنصراً أساسيا فى نشأة الفكرة التاريخية (٤) .

وذكر آخرون أن السبب الذى دفع عمر بن الخطاب إلى اتخاذ الهجرة النبوية

---

(١) السخاوى، الاعلان بالتوبيخ ، ص ٥١٣ ، راجع فى ذلك المعنى أيضا البيرونى ، الآثار الباقية ص ٣٠

(٢) السخاوى ، الاعلان بالتوبيخ ص ٥١٠ — روزنتال ، ص ٢١

(٣) السخاوى ، المصدر نفسه ، ص ٥٠٩

(٤) عبد العزيز الدورى ، نشأة علم التاريخ ، ص ١٩

أساسا للتأريخ العربي الإسلامي أن أبا موسى الأشعرى كتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب يقول : « إنه يأتينا من قبل أمير المؤمنين كتب ليس لها تاريخ ، فلا ندرى على أيها نعمل » (١) ، وكان عمر قد دون الدواوين ، ووضع الأخرجة ، وسن القوانين ، واحتاج إلى تأريخ ، فجمع الناس ، وعرض عليهم مشكلة اختيار حادثة معروفة تكون أساسا للتأريخ الاسلامى ، فذكر له بعضهم التأريخ ببعث النبي ، وأشار عليه بعضهم ، ومنهم سعد بن أبي وقاص ، التأريخ بوفاته ، ورأى آخرون أن يكون ذلك بالمولد ، وأبدى البعض الآخر أن يكون مبدأ الهجرة الأساس فى ذلك ، لأن المبعث والمولد فيهما اختلاف ، فيستبعدا لذلك ، ولأن الوفاة لا يحسن أخذها أساسا للتاريخ ، فإن من يفعل ذلك لابد أن يكون عدوا يستبشر بموته ويستحب أن يكون موته عيدا (٢) ، فرجح لديهم جعله من الهجرة ، وهى حادث ثابت محدد التاريخ ، وأجمع المسلمون على ذلك ، فأرخوا بالهجرة ، وتم ذلك فى العام الرابع من خلافة عمر بن الخطاب ، أى فى العام السابع عشر بعد الهجرة (٣).

وهناك من يجعل أصل التأريخ الإسلامى مأخوذا عن الفرس اعتمادا على رواية ميمون بن مهران التى أوردها البيرونى ، وجاء فيها أن عمر بن الخطاب « لما رفع إليه صك محله فى شعبان ، فقال عمر أى شعبان ، الذى نحن فيه أو الذى هو آت ؟ ثم جمع أصحاب رسول الله وآله فاستشارهم فيما دهمه من الحيرة فى أمر الأوقات ، فقالوا يجب أن نتعرف الحيلة فى ذلك من رسوم الفرس ، فاستحضروا الهرمزان واستعلموه ذلك ، فقال : إن لنا حسابا نسميه ماه روز أى حساب الشهور والأيام . فعربوا « ماه روز » فقال « مؤرخ » ، وجعلوا مصدره التأريخ وشرح لهم

---

(١) الصولى أدب الكتاب ، ص ١٧٩ — السخاوى ، المصدر السابق ، ص ٥٠٩

(٢) البيرونى ، الآثار الباقية ، ص ٣

(٣) السخاوى ، الاعلان ص ٥٠٩

الهرمزان كيفية استعمالهم ذلك ، وما عليه الروم من مثله » . فتم اتخاذ الهجرة بعد ذلك أساسا للتأريخ الاسلامى (١) .

ونعتقد أن المسلمين أخذوا فكرة التأريخ عن عرب الجنوب ، فما لا شك فيه أن عرب الجنوب اهتموا بأمر التوقيت لعوامل عديدة منها الزراعة التى تخضع لتقلبات الجو وتبدل المواسم ، ومنها الأعياد والشعائر الدينية التى لها ارتباط وثيق بضبط الأوقات، ومنها التجارة فى البر والبحر (٢). وقد ورد لفظ « ورخ » فى نقوش العربية الجنوبية ، وجمعها أورخم بمعنى الشهر القمرى (٣) .

وما إن اتفق المسلمون على اعتبار هجرة الرسول إلى يثرب أساسا للتقويم الاسلامى حتى اختلفوا فى الشهر ، فرأى بعضهم أن يبدأوا برمضان، ورأى آخرون وعلى رأسهم عبد الرحمن بن عوف، أن يبدأوا التأريخ برجب باعتباره أول الأشهر الحرم، ولكن عثمان وعلى اقترحا أن يكون مبدأ التأريخ الهجرى فى المحرم، لأنه شهر حرام، فأخذ عمر برأيهما لاعتبارات منها أن المحرم شهر حرام والعرب تعظمه، ومنها أنه آخر الأشهر الحرم ومنصرف الناس من الحج (٤) ، ومنها أن بيعة العقبة التى بمقتضاها اتفق الرسول مع الأوس والخزرج على الهجرة إلى يثرب حدثت فى ذى الحجة ، ثم عزم الرسول على الهجرة فى المحرم ، فكان أول هلال استهل بعد البيعة والعزم على الهجرة هو هلال المحرم (٥) ، وكان العرب فى الجاهلية يعتبرون الأهلة مواقيت لتعيين أوائل الشهور ، كذلك اعتبر الاسلام الرؤية شهادة ابتداء

---

(١) البيرونى ، الآثار الباقية ، ص ٢٩ ، ٣٠ — السخاوى ، الاعلان ص ٥١٢

(٢) جواد على ، ج ٨ ص ٣٤٣

(٣) نفس المرجع ص ٣٦٦

(٤) الصولى ، ادب الكتاب ، ص ١٨٠

(٥) السخاوى ، الاعلان بالتوبيخ ، ص ٥٠٩

الشهر الجديد (١)، وميز العرب شهر المحرم عن غيره باعتباره أول السنة بزيادة الألف واللام .

وكان العرب يغلبون الليالى على الايام فى التاريخ ، بخلاف العجم الذين كانوا يبنون تاريخهم على الأيام دون الليالى (٢) ،لأن ليلة الشهر سبقت يومه وولدته ، ولان الاهلة لليالى دون الايام وفيها دخول الشهر (٣) . وقد قدم الله تعالى فى كتابه العزيز الليالى على الايام فى قوله تعالى « وله ما سكن فى الليل والنهار ، وهو السميع العليم» (٤) ، وقوله أيضا : « وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار » (٥) ، وفى قوله تعالى : «إن ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش ، يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين » (٦) ، وفى قوله : « هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه ، والنهار مبصرا ، إن فى ذلك

(١) جواد على ، ج ٨ ، ص ٣٦٥ . وكان العرب يكبرون عند رؤية القمر كل أول ليلة من الشهر لقربهم، يعنى الشهر الثالث،من وقت الحج ،وسرورهم بالموسم،فنسبوا الرؤية الى فعلهم،فقالوا استهل وأهل ، وسموا القمر هلالا لهذا المعنى، (راجع الصولى ، ص١٨٢) ، وكان العرب يسمون أول ليلة من الشهر البراء ، لتبرء القمر من الشمس ، كما كانوا يسمونها النحيرة لأن الهلال نحرها أى رؤى فى نحرها .

(٢) عبد الحميد العبادى ، التاريخ عند العرب ، فصل مضاف فى كتاب علم التاريخ لهرنشو ، ص ٥٢ .

(٣) الصولى ، ص ١٨٠ - الألوسى ، بلوغ الأرب ، ج ٣،ص ٢١٦ وما يليها .

(٤) القرآن الكريم ، سورة الأنعام ٦ آية ١٣ .

(٥) القرآن الكريم ، سورة الأنعام آية ٦٠ .

(٦) القرآن الكريم ، سورة الأعراف ٧ آية ٥٤ .

لأيات لقوم يسمعون » (١) ، وفى قوله : «وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون » (٢) ، وفى قوله : « وهو الذى يحى ويميت وله اختلاف الليل والنهار » (٣) ، وفى قوله : « ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل » (٤) ، وفى قوله : « ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ، لاتسجدوا للشمس ولا للقمر ، واسجدوا لله الذى خلقهن إن كنتم إياه تعبدون. فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسئمون » (٥) .

---

(١) القرآن الكريم ، سورة يونس ١٠ آية ٦٧ .

(٢) القرآن الكريم ، سورة الأنبياء ، ٢١ آية ٣٣ .

(٣) القرآن الكريم سورة المؤمنون ٢٣ آية ٨٠ .

(٤) القرآن الكريم سورة لقمان ٣١ آية ٢٩ .

(٥) القرآن الكريم ، سورة فصلت ٤٠ آية ٣٧ .

(٢)
آراء مؤرخي العرب في التأريخ

أ - فائدة التأريخ :

ارتبطت الكتابة التاريخية منذ بدايتها في صدر الاسلام بالعلوم الدينية ارتباطاً وثيقاً ، فكان المؤرخون الأولون يكتبون في السيرة النبوية وفي المغازي وفي نسب قريش ، وفي الطبقات وفي التراجم لرجال العلم والفقه الحديث . ومما لا شك فيه أن القرآن أكد على أمثلة الشعوب الماضية البائدة لما تنطوي عليه هذه الأمثلة من عبر دينية ومواعظ خلقية ، كما جاء القرآن بنظرة عالمية إلى التاريخ ممثلة في تتابع النبوات ، وكان لهذه النظرة أثرها العميق في اهتمام كتاب العرب بدراسة تاريخ الرسل والأنبياء ، يضاف إلى ذلك أن القرآن نص على أن سيرة الرسول مثل المسلمين يقتدون به ، وكان لهذا التأكيد أثره في عناية كتاب العرب بدراسة السيرة النبوية ودراسة حياة الرسول ، وقد سميت الدراسات الأولى لحياة الرسول باسم المغازي ، وتعني لغوياً دراسة أعماله الحربية ولكنها تشتمل في حقيقة الأمر على عصره كله(١) . ومنذ أن وضع عمر بن الخطاب التأريخ الهجري ، وتم للعرب إنشاء دولة إسلامية واسعة الأطراف ، وأسس ديوان الجند ، حتى زاد اهتمام المسلمين بدراسة الأنساب ، ولا يخفى ما لدراسة الأنساب من أهمية في خدمة التاريخ .

ولقد جمع كثير من أئمة المسلمين بين الفقه والتاريخ ، فكان الطبري وابن كثير الدمشقي يجمعان بين التفسير والتاريخ ، وكذلك كان الحافظ الذهبي مؤرخاً وفقيهاً

---

(١) عبد العزيز الدوري ، نشأة علم التاريخ عند العرب ، ص ١٨ — ٢٠

وحافظاً فى آن واحد ، وكان محي الدين محمد الكافيجى (ت ٨٧٩)، وشمس الدين السخاوى الحافظ المؤرخ (ت ٩٠٢)، يجمعان بين الفقه والتاريخ . وكان أكثر علماء المسلمين يرون ضرورة الاشتغال به لخدمة الغرض الدينى ، حتى يصبح علم التاريخ على هذا النحو وسيلة لفهم الفقه والشريعة . ولقد خص الكافيجى فى رسالته « المختصر فى علم التأريخ » جانباً كبيراً من عنايته لتوضيح مركز التاريخ فى العلوم الدينية الاسلامية(١) ، ولا عجب فى ذلك ، فإن الكافيجى كان عالماً دينياً قبل أن يكون مؤرخاً . كذلك أشار السخاوى فى كتابه « التبر المسبوك » إلى أهمية التأريخ لعلم الشريعة ، فقال : « (وبعد) فعلم التاريخ فن من فنون الحديث النبوى ، وزين تقر به العيون ، حيث سلك فيه المنهج القويم المستوى ، بل وقعه من الدين عظيم ، ونفعه متين فى الشرع ، بشهرته غنى عن مزيد البيان والتفهيم ، إذ به يظهر تزييف مدعى اللقا ، وبيان ما صدر منه من التحريف فى الارتقا ، إذ كان اختل عقله أو اختلط ، ولم يجاوز بلدته التى لم يدخلها الطالب قط ، ويحفظ به الانساب المترتب عليها صلة الرحم ، والمتسبب عنها الميراث والكفاءة حسبما قرر فى محله وفهم ، وكذا تعلم منه آجال الحيوف ، واختلاف النقود والأوقاف ، التى ينشأ عنها من الاستحقاق ما هو معهود ، وينتفع به فى الاطلاع على أخبار العلماء والزهاد والفضلاء والملوك والأمراء والنبلاء وسيرهم ومآثرهم، فى حربهم وسلمهم ، وما أبقى الدهر من فضائلهم أو رذائلهم ، بعد أن أبادهم الحدثان،وأبلى جديدهم الأوان ، حيث تتبع الأمور الحسنة من آثارهم ، ولايستمع منهم فيما تنفر عنهم العقول المستحسنة من أخبارهم ، ويعتبر بما فيه من المواعظ

---

(١) الكافيجى ، المختصر فى علم التأريخ ،راجع الباب الثانى الخاص بأصول علم التاريخ ومسائله ، ص ٣٣٧ ومايليها

النافعة واللطائف المفيدة »(١) .

ولقد استعرض السخاوى ما ذكره مؤرخو العرب فى العصر الاسلامى فى فائدة علم التأريخ ، وأورد فى كتابه « الاعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ » مقدمة فى فضل المشتغلين بالتاريخ ، فقال : فلما كان الاشتغال بفن التاريخ للعلماء من أجل القربات ، بل من العلوم الواجبات ، المتنوعة الأحكام الخمسة بين الاصابات . . . . » وقال أيضاً : « وأما ما لعله يذكر فيه من أخبار الأنبياء صلوات الله عليهم وسنتهم ، فهو مع أخبار العلماء ومذاهبهم ، والحكماء وكلامهم ، والزهاد والنساك ومواعظهم ، عظيم الغناء ، ظاهر المنفعة ، فما يصلح الإنسان به أمر معاده ودينه وسريرته فى اعتقاداته ، وسيرته فى أمور الدين ، وما يصلح به أمر معاملاته ومعاشه الدنيوى . وكذا ما يذكر فيه من أخبار الملوك وسياساتهم ، وأسباب مبادىء الدول وإقبالها ، ثم سبب انقراضها ، وتدبير أصحاب الجيوش والوزراء ، وما يتصل بذلك من الأحوال التى يتكرر مثلها وأشباهها أبداً فى العالم ، غزير النفع ، كثير الفائدة بحيث يكون من عرفه كمن عاش الدهر كله ، وجرب الأمور بأسرها وباشر تلك الأحوال بنفسه ، فيغزر عقله ، ويصير مجرباً غير غر ولاغمر . . . وإنه أيضاً جم الفوائد كثير النفع لذوى الهمم العالية والقرائح الصافية ، لما جبل عليه طباعهم من الارتياح عند سماعهم هذه الأخبار إلى التشبه والاقتداء بأربابها ، ليصير لهم نصيب من حسن الثناء وطيب الذكر . . . »(٢) .

لحوادث التاريخ على حد قول السخاوى عبرة وموعظة، ودرس وتجربة ،

---

(١) السخاوى ، كتاب التبر المسبوك فى ذيل السلوك ، بولاق ١٨٩٦ ، ص ٢

(٢) السخاوى ، الاعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ ، ص ٤٠٠ ، ٤٠١ .

توقف الدارس على عثرات الماضين وأسباب انقراض الدول والحضارات، وتدفع أصحاب المثل الى الاقتداء بالشخصيات البارزة، ولقد أورد السخاوى مقتطفات كثيرة لأقوال بعض المؤرخين والكتاب رتبها ترتيباً زمنياً، نستعرض بعضها، ونضيف اليها مقتطفات لم يذكرها السخاوى. ونبدأ هذه المقتطفات بما ذكره أبو الفرج الأصفهانى (ت ٣٥٦ ه) فى مقدمته للأغانى: «ان القارىء اذا تأمل مافيه من الفقر ونحوها لم يزل منتقلا بها من فائدة الى فائدة، ومنصرفاً منها بين جد وهزل، وآثار وأخبار، وسير وأشعار، متصلة بأيام العرب المشهورة، وأخبارها المأثورة، وقصص الملوك فى الجاهلية والخلفاء فى الاسلام، تجمل بالمتأدبين معرفتها، وتحتاج الأحداث الى دراستها»(١).

وأورد قطعة من مقدمة أبى الفرج بن الجوزى فى المنتظم جاء فيها: «والسير والتواريخ فوائد كثيرة أهمها فائدتان: ١ — إحداهما أنه ان ذكرت سيرة حازم، ووصفت عاقبة حاله، أفادت حسن التدبير واستعمال الحزم، أو (ان ذكرت) سيرة مفرط ووصفت عاقبته أفادت الخوف من التفريط، فيتأدب المتسلط، ويعتبر المتذكر، ويتضمن ذلك شحذ صوارم العقول، ويكون روضة للمتنزه فى المنقول.

٢ — والثانية أن يطلع بذلك عجائب الأمور، وتقلبات الزمن وتصاريف القدر وسماع الأخبار»(٢).

وذكر العماد بن حامد الأصفهانى فى الفتح القسى: «أما بعد، فان التاريخ لسان يخبر به الزمان عن عجائب الوقائع، بل أستاذ

(١) الأغانى، ج ١ (طبعة بيروت ١٩٥٦)، ص ٥ — السخاوى، الاعلان بالتوبيخ، ٤٠٧

(٢) السخاوى، الاعلان، ص ٤١٢

يقرر دروس الحوادث ليعيها السامع ، بل ما شئت من محمود ممدوح ينفس كروب النفس ، ويروح الروح ، وله رجاله أئمة فضلاء وسادة جلة نبلاء »(١).

وقال أيضاً فى موضع آخر : « وإنما بدأنا بالتاريخ به لاستقبال سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، لأن التواريخ معتادها إما أن تكون مستفتحة منذ بدء نشأة البشر الأولى ، وإما مستفتحة بمعقب من الدول الأخرى ، فلا أمة من الأمم ذوات الملل وذوات الدول إلا ولهم تاريخ يرجعون إليه ، ويعولون عليه ، ينقله خلفها عن سلفها ، وحاضرها عن غابرها ، تقيد به شوارد الأيام ، وتنصب به معالم الاعلام ، ولولا ذلك لا نقطعت الوصل ، وجهلت الدول ، ومات فى أيام الأخر ذكر الأول . . . ولولا التاريخ لضاعت مساعى أهل السياسات الفاضلة ، ولم تكن المدائح بينهم وبين المذام هى الفاصلة ، ولقل الاعتبار بمسألة العواقب وعقوبتها . . . »(٢) .

وقال الشيخ عبد الواسع بن يحيى الواسعى اليمانى ، صاحب تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن فى حوادث وتاريخ اليمن : « أما بعد ، فان علم التاريخ علم جليل المقدار ، شهدت بفضله الآيات والأخبار ، واعتنى نقله الاثبات والاخيار وأنفقوا فى ذلك نفائس الاعمار ، يطلع به العاقل على ما مر من الأعصار ، فيزيده من الكياسة والاستبصار ، بما حدث للأمم الماضية من الحوادث التى فيها عظة واعتبار »(٣) .

---

(١) عماد الدين أبو عبد الله محمد بن محمد القرشى الأصفهانى ، كتاب الفتح القسى فى الفتح القدسى ، نشره الكونت كارلو دى لاندبرج ؛ لندن ١٨٨٨ ج ١ ص ١

(٢) نفس المصدر ، ص ٤ — السخاوى ، الاعلان ، ص ٤١٣

(٣) عبد الواسع بن يحيى الواسعى اليمانى ، تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن فى حوادث وتاريخ اليمن ؛ القاهرة ١٣٤٦ ص ٣ ، ٤

ونقل السخاوى عن ابن الاثير ما ذكره عن فوائد التاريخ : « ولقد رأيت جماعة ممن يدعى المعرفة والدراية ويظن بنفسه التبحر فى العلم والرواية ، يحتقر التواريخ ويزدريها ، ويعرض عنها ويلغيها ، ظناً منه أن غاية فائدتها إنما هو القصص والأخبار ، ونهاية معرفتها الأحاديث والأسمار ، وهذه حال من اقتصر على القشر دون اللب نظره ، وأصبح مخشلباً جوهره ، ومن رزقه طبعاً سليماً ، وهداه صراطاً مستقيماً علم أن فوائدها كثيرة ، ومنافعها الدنيوية والأخروية جمة غزيرة . . . فأما فوائدها الدنيوية فمنها أن الانسان لايخفى أنه يحب البقاء ، ويؤثر أن يكون فى زمرة الأحياء ، فياليت شعرى أى فرق بين ما رآه أمس أو سمعه وبين ما قرأه فى الكتب المتضمنة أخبار الماضين وحوادث المتقدمين ؟ ، فاذا طالعها فكأنه عاصرهم ، وإذا علمها فكأنه حاضرهم ، ومنها أن الملوك ومن اليهم الأمر والنهى اذا وقفوا على ما فيها من سيرة أهل الجور والعدوان ، ورأوها مدونة فى الكتب يتناقلها الناس ، فيرويها خلف عن سلف ، ونظروا الى ما أعقبت من سوء الذكر ، وقبيح الأحدوثة ، وخراب البلاد ، وهلاك العباد ، وذهاب الأموال ، وفساد الأحوال ، استقبحوها ، وأعرضوا عنها واطرحوها ، وإذا رأوا سيرة الولاة العادلين وحسنها ، وما يتبعهم من الذكر الجميل بعد ذهابهم ، وأن بلادهم وممالكهم عمرت ، وأموالها درت ، استحسنوا ذلك ، ورغبوا فيه ، وثابروا عليه ، وتركوا ماينافيه ، هذا سوى مايحصل لهم من معرفة الآراء الصائبة التى دفعوا بها مضرات الأعداء ، وخلصوا بها من المهالك ، واستصانوا نفائس المدن ، وعظيم الممالك ، ولولم يكن فيها غير هذا لكفى به فخراً . ومنها ما يحصل للانسان من التجارب والمعرفة بالحوادث ، وما تصير إليه عواقبها ، فانه لايحدث أمر إلا وقد تقدم هو أو نظيره ، فيزداد بذلك عقلا ، ويصبح لأن يقتدى به أهلا . ولقد أحسن القائل حيث يقول :

رأيت العقــل عقلين .·. فمطبــوع ومسمــوع

فلا ينفــع مسمــوع .·. إذا لم يك مطبــوع

كما لا تنفــع الشمس .·. وضوء العــين ممنــوع

يعنى بالمطبوع العقل الغريزى الذى خلقه الله تعالى للإنسان ، وبالمسموع ما يزداد به العقل الغريزى من التجربة ، وجعله عقلا ثانيا توسعاً وتعظيما له ، والا فهو زيادة فى غفلة الأول . ومنها ما يتجمل به الإنسان فى المجالس والمحافل من ذكر شيء من معارفها ونقل طريفة من طرائفها ، فترى الأسماع مصغية اليه ، والوجوه مقبلة عليه ، والقلوب متأملة مايورده ويصدره ، مستحسنة مايذكره .

أما الفوائد الأخروية فمنها أن العاقل اللبيب إذا تفكر فيها ورأى تقلب الدنيا بأهلها ، وتتابع نكباتها الى أعيان قاطنيها ، وأنها سلبت نفوسهم وذخائرهم ، وأعدمت أصاغرهم وأكابرهم ، فلم تبق على جليل ولا حقير ، ولم يسلم من نكدها غنى ولافقير ، زهد فيها وأعرض عنها ، وأقبل على التزود للآخرة منها ، ورغب فى دار تنزهت عن هذه الخصائص ، وسلم أهلها من هذه النقائص . . . ومنها التخلق بالصبر والتأسى ، وهما من محاسن الأخلاق ، فان العاقل إذا رأى أن مصاب الدنيا لم يسلم منه نبي مكرم ، ولا ملك معظم ، بل ولا أحد من البشر ، علم أنه يصيبه ما أصابهم ، وينوبه مانابهم . . . »(١) .

ونقل من مقدمة أبى بكر محمد بن محمد بن علـى بن خميس لكتابه « تاريخ مالقة » الفقرة التالية : « إن أحسن ما يجب أن يعتنى به ، ويعلم بجانبه ، بعد الكتاب والسنة ، معرفة الأخبار ، وتقييد المناقب والآثار ، ففيها تذكرة

---

(١) ابن الاثير ، الـكامل فى التاريخ ، القاهرة ١٣٤٨ هـ ، ج ١ ، ص ٩٠٧

بتقلب الدهر بأبنائه ، وإعلام بما طرأ فى سالف الأزمان من عجائبه أونبائه ، وتنبيه على أهل العلم الذين يجب أن تتبع آثارهم ، وتدون مناقبهم وأخبارهم ، ليكونوا وكأنهم مائلون بين عينيك مع الرجال ، ومتصرفون ومخاطبون لك فى كل حال ، ومعروفون بما هم به متصفون، فيتلو سورهم من لم يعاين صورهم ، ويشاهد محاسنهم من لم يعطه السن أن يعاينهم ، فيعرف بذلك مراتبهم ومناصبهم، ويعلم المتصرف منهم فى المنقول والمفهوم ، والمتميز فى المحسوس والمرسوم ، ويتحقق منهم من كسته الآداب حليها ، وأرضعته الرياسة ثديها ، فيجد فى الطلب ليلحق بهم ، ويتمسك بسببهم »(١) .

ونقل عن أبى اسحق ابراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم بن أبى الدم الفقيه الحموى ، موضحاً أهمية التاريخ بالنسبة للعلماء فقال : « إنما الفائدة فى التاريخ الاسلامى مع قربه من الصحة ، ذكره لعلماء الأمة المحمدية ، وذكر محاسنهم ، وعلومهم ، ومواعظهم ، وحكمهم ، وسيرهم التى يستدل العامل بها فى أموره ، ويتدبرها ويتفكر فيها ، فينتفع بما قالوه وعانوه ، وما ينقل عنهم من المحاسن دنيا وأخرى »(٢) .

وقد اهتم ابن خلدون (ت ٨٠٩ هـ) فى مقدمته بفن التأريخ ، فأشار إلى أنه فى الظاهر لايعدو أن يكون مجرد أخبار عن الأيام والدول القديمة والأمم الماضية ، ولكنه فى الباطن نظر وتحقيق ، وتعليل دقيق للكائنات ومبادئها ، وهو يطلعنا على أسباب الوقائع والأحداث ، وكيفية حدوثها(٣) . ثم خصص فصلا

---

(١) السخاوى ، الاعلان، ص ٤١٧ ، ٤١٨

(٢) نفس المصدر ، ص ٤١٨

(٣) ابن خلدون ، المقدمة ، تحقيق الدكتور على عبد الواحد وافى ، القاهرة ، ١٩٥٧ ج ١ ص ٢٠٨ ومايليها

تمهيديا عدد فيه فضل علم التأريخ وتحقيق مذاهبه ، فقال : « اعلم أن فن التأريخ عزيز المذاهب ، جم الفوائد ، شريف الغاية ، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم فى أخلاقهم ، والأنبياء فى سيرهم ، والملوك فى دولهم وسياستهم ، حتى تتم فائدة الاقتداء فى ذلك لمن يرويه فى أحوال الدين والدنيا » . ثم يشير إلى ما يحتاج إليه المؤرخ فى تأريخه للأحداث ، من اتساع المعارف ، وحسن النظر ، والتثبت ، كى يتنكب عن المزلات والمغالط ، وينصحه بعدم الاعتماد على المنقول ، وبضرورة إلمامه بقواعد السياسة وطبيعة العمران فى الاجتماع الانسانى ، والاطلاع على طبائع الموجودات ، والإحاطة باختلاف الأمم والبقاع فى السير والأخلاق والعوائد والنحل والمذاهب ، ومعرفة الحاضر من ذلك ، ومماثلة ما بينه وبين الغائب ، وتعليل المتفق منها والمختلف(١) .

ب - أخطاء المؤرخين العرب فى رأى ابن خلدون :

يعتبر ابن خلدون أول من بحث من كتاب العرب فى الاجتماع الإنسانى ، والعمران ، ونظم الحكم والسياسة فى العصر الاسلامى ، وأول من طبق منهم منهج البحث العلمى فى الكتابة التاريخية ، فنظر إلى التاريخ العام الاسلامى نظرة شاملة ، واستخلص من الدراسات التاريخية السابقة عليه آراء جديدة فى علم التاريخ ضمنها نظرات فلسفيه ، تتضمن من النقد والتحليل ما لم تعرفه مصنفات العرب فى التاريخ قبله ، وقد عمل ابن خلدون على تطبيق آرائه فى فلسفة التاريخ ، عند تعرضه لدراسة تاريخ الدول الاسلامية فى المشرق والمغرب ، على نحو يختلف عن نهج من سبقه من مؤرخى العرب ، وإن كان قد وقع فى بعض الأغلاط التى

---

(١) ابن خلدون ، نفس المصدر ، ص ٢٥١

أخذها على غيره من المؤرخين(١).

وقد أخذ ابن خلدون على الباحثين فى التاريخ والمصنفين له مآخذ نلخصها فيما يلى :

١ — نقل بعض المؤرخين روايات مصنفة لكتاب سابقين عليهم بأغلاطها وزلاتها ، أو سجلوها فى كتاباتهم كما سمعوها ، دون أن يقوموا بتصفيتها من شوائبها أو تنقيحها ، ودون أن يعملوا ذهنهم فى فهمها ثم نقدها بعد ذلك . وفى ذلك يقول : « وإن فحول المؤرخين فى الاسلام قد استوعبوا أخبار الأيام وجمعوها وسطروها فى صفحات الدفاتر وأودعوها . وخلطها المتطفلون بدسائس من الباطل وهموا فيها أو ابتدعوها . وزخارف من الروايات المضعفة لفقوها ووضعوها ، واقتفى تلك الآثار الكثير ممن بعدهم واتبعوها ، وأدوها إلينا كما سمعوها ، ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والأحوال ولم يراعوها ، ولا رفضوا ترهات الأحاديث ولادفعوها . فالتحقيق قليل ، وطرف التنقيح فى الغالب كليل ، والغلط والوهم نسيب للأخبار وخليل ، والتقليد عريق فى الآدميين وسليل »(٢). والنقل إذا تم دون أن يقوم الناقل بمراجعة ما نقله ودون قياس الماضى بالحاضر، والغائب بالشاهد، عده خطأ كبيراً . وفى ذلك يقول ابن خلدون : « إن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل ، ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال فى الاجتماع الإنسانى ، ولا قيس الغائب منها بالشاهد ، والحاضر بالذاهب ، فربما لم يؤمن فيها من العثور ، ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق ، وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالط فى

(١) سيدة كاشف ، مصادر التاريخ الاسلامى ، ص ٦٠

(٢) ابن خلدون ، المقدمة ، ج ١ ، ص ٢٠٩

الحكايات والوقائع ، لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سمينا ، لم يعرضوها على أصولها ، ولاقاسوها بأشباهها ، ولاسبروها بمعيار الحكمة ، والوقوف على طبائع الكائنات ، وتحكيم النظر والبصيرة فى الأخبار . . . »(١) .

ويأتى ابن خلدون بشواهد تاريخية توضح نتائج الاعتماد على النقل دون تحكيم البصر والبصيرة فيما نقلوه خاصة فيما يتعلق بالإحصاءات العددية للجند والأموال ، فيذكر منها مانقله المسعودى وغيره فى جيوش بنى اسرائيل أن عدتهم فى التيه ستمائة ألف أو يزيدون ، وهو رقم مبالغ فيه ، لايصح لمؤرخ مثل المسعودى أن ينقله دون تعليق أو نقد . ويشير ابن خلدون الى مبالغة المؤرخين فى ذكر أعداد الجيوش، أوفى احصاء أموال الجبايات ، فيتجاوزوا فى ذلك حدود المعقول ، وكان لابد لهؤلاء المؤرخين عند قيامهم بنقل هذه الأعداد التحقق من موافقتها المنطق .

٢ — ويعيب ابن خلدون على المؤرخين المعتمدين على النقل البعد عن الواقعية فى سرد الحقائق التاريخية ، والاغراب فى الخيال الى حد تزييف الخبر وتشويهه ، ويضرب أمثلة فى ذلك . فيذكر أن بعض المؤرخين الذين ينقلون أخبار التبابعة يذكرون خروجهم من قرارهم باليمن إلى افريقيـة من بلاد المغرب ، وأن إفريقش بن قيس بن صيفى من أعاظم ملوكهم الأول ، وكان معاصراً لموسى عليه السلام على حد قولهم . غزا افريقية وأثخن فى البربر ، وأنه هو الذى أطلق عليهم اسم البربر عندما سمعهم يرطنون ، وأنه حجز هنالك قبل انصرافه من المغرب جماعات من القبائل الحميرية ، اختلطوا بأهل المغرب، ومنهم صنهاجه وكتامه ، ومن هذا ذهب الطبرى والجرجانى والمسعودى وابن الكلبى الى القول بأن صنهاجه وكتامة من حمير(٢) .

---

(١) ابن خلدون، نفس المصدر ، ص ٢١٩

(٢) ابن خلدون ، المقدمة ص ، ٢٢٣

ويواصل ابن خلدون حديثه عن هذه المبالغات الأسطورية التي لايخلو منها كتاب يتناول تاريخ التبابعة ، أو يتعرض لذكر عاد(١) ، ثم يورد أمثلة أخرى تصور الأخبار الملفقة الموضوعة لتبرير حادث من الحوادث وقع في العصر الاسلامى، من ذلك ما أدخله المؤرخون من قصة العباسة أخت الرشيد مع جعفر بن يحي بن خالد البرمكى تبريراً لنكبة الرشيد للبرامكة ، ويرجح ابن خلدون السبب الحقيقى لنكبة البرامكة الى استبدادهم بشؤون الدولة واحتجانهم أموال الجباية(٢) ، ثم يحدثنا ابن خلدون عن أخطاء المؤرخين الذين يطعنون فى نسب العبيديين خلفاء الشيعة بالقيروان والقاهرة إلى اسماعيل الامام بن جعفر الصادق ، اعتماداً على أحاديث لفقت للمستضعفين من خلفاء بنى العباس تزلفاً إليهم بالقدح فيمن ناصبهم ، ويعيب ابن خلدون على هؤلاء المؤرخين غفلتهم « عن التفطن لشواهد الواقعات وأدلة الأحوال التى اقتضت خلاف ذلك من تكذيب دعواهم والرد عليهم »(٣) . ومن الأمثلة التى يوردها ابن خلدون فى الطعن فى الأنساب ، ما ذكروه فى نسب إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن ، والتشكك فى نسبته إلى أبيه الإمام إدريس الأول فزعم هؤلاء أنه لراشد مولى إدريس فيقول: « ما أجهلهم ! أما يعلمون أن إدريس الأكبر كان أصهاره فى البربر وأنه منذ دخل المغرب إلى أن توفاه الله عز وجل عريق فى البدو ، وأن حال البادية فى مثل ذلك غير خافية ، إذ لامكامن لهم يتأتى فيها الريب ، وأحوال حرمهم أجمعين بمرأى من جاراتهن لتلاصق الجدران ، وتطامن البنيان ، وعدم الفواصل بين المساكن ؟ »(٤).

---

(١) نفس المصدر ، ص ٢٢٧

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٣٠

(٣) نفس المصدر ، ٢٤٠

(٤) نفس المصدر ، المقدمة ، ج ١ ص ٢٤٤

٣ — ومن الأخطاء الشائعة التي يقع فيها المؤرخون غفلتهم عن تبدل أحوال الامم والأجيال بمرور العصور والايام . واعتقادهم أن أحوال العالم فى عصرهم هى نفسها فى العصور الماضية لم تتغير، فيحكمون على الشخصيات التاريخية القديمة على أنها معاصرة لهم ، فيقول : « ومن الغلط الخفى فى التاريخ الذهول عن تبدل الأحوال فى الأمم والأجيال بتبدل الأعصار ومرور الأيام . وهو داء دوى شديد الخفاء، إذ لا يقع إلا بعد أحقاب متطاولة ، فلا يكاد يتفطن له إلا الآحاد من أهل الخليقة. وذلك أن أحوال العالم والامم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر ، إنما هو اختلاف على الايام والازمنة ، وانتقال من حال إلى حال»(١). ثم يقول : « فربما يسمع السامع كثيراً من أخبار الماضين ، ولا يتفطن لما وقع من تغير الاحوال وانقلابها ، فيجريها لاول وهلة على ما عرف ، ويقيسها بما شهد ، وقد يكون الفرق بينهما كثيراً ، فيقع فى مهواة من الغلط »(٢).

ويأتى ابن خلدون بأمثلة فى هذا الباب ، فيشير إلى ما يقع فيه بعض المؤرخين المتأخرين والمتصفحين لكتب التاريخ عندما يظنون أن ابن أبى عامر الحاجب المستبد على هشام المؤيد ، وكان قاضياً للمواريث فى زمن الحكم المستنصر ويخرج فى نفس الوقت بالعسكر ، أن خطة القضاء فى ذلك العهد تماثل خطة القضاء فى زمنهم .

---

(١) نفس المصدر ، ص ٢٥٢

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٥٤

ج - الشروط اللازم توفرها فى الكتابة التاريخية
(فى رأى ابن خلدون والسخاوى)

يشترط ابن خلدون فى المؤرخ أن يكون عالماً « بقواعد السياسة وطبائع الموجودات ، واختلاف الامم والبقاع والاعصار فى السير والاخلاق والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الاحوال ، والاحاطة بالحاضر من ذلك ، ومماثلة مابينه وبين الغائب من الوفاق أو بون ما بينهما من الخلاف ، وتعليل المتفق منها والمختلف ، والقيام على أصول الدول والملل ، ومبادىء ظهورها ، وأسباب حدوثها ، ودواعى كونها ، وأحوال القائمين بها وأخبارهم ، حتى يكون مستوعبا لاسباب كل حادث ، واقفاً على أصول كل خبر . . . . »(١). ويشترط السخاوى فى المؤرخ أن تتوفر فيه العدالة مع الضبط التام والتحرى فى العادات ، وعدم المداهنة للممدوح واللمز واستخدام الاشارات الخفية لشخص يبغضه بسبب منافسة فى رتبة ، أو اختلاف فى رأى أو ما نحو ذلك(٢) . والمؤرخ الفاضل لاينبغى أن يصرح بالتجريح اى باتهام زميل له بتهمة الكذب او الوضع ، اذا كان قد أخطأ فى أمر من الأمور . والافضل أن يكسو الفاظه أحسنها ، اذا أراد الجرح ، أو بأدنى تصريح (٣) ، كذلك لاينبغى للمؤرخ الفاضل أن يجزم بأمر من الأمور اذا كان هذا يحتمل قولين ، فلابد له من الإحتياط والوقوف ، الى أن يصل فى حكمه بتأويل صحيح . ويشترط السخاوى أيضاً أن يكون عارفا بما ينقله من غيره ، « حتى لايجزم الا بما يتحققه، فان لم يحصل له مستند معتمد فى الرواية ، لم يجز له

---

(١) نفس المصدر ، ٢٥١

(٢) السخاوى الاعلان ، ص ٤٨٢ ومايليها

(٣) نفس المصدر ، ص ٤٩٢

النقل لقوله صلى الله عليه وسلم(كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ماسمع)،وليكون بذلك محترزاً عن وقوع المجازفة والبهتان ، والافتئات والعدوان ، وهو لايشعر ولايبصر »(١) ، كما يشترط أيضاً فى المؤرخ التمييز بين المقبول والمردود ، وبين الرفيع والوضيع ، وفهم الألفاظ ومواقعها خوفا من اطلاق الفاظ لاتليق بالمترجمين ، والصلاح والتقوى ، حتى لايأخذ بالتوهم والقرائن التى تختلف(٢).

---

(١) نفس المصدر ، ص ٤٩٤

(٢) نفس المصدر ، ص ٤٩٨ — التبر المسبوك ، ص ٤

الفصل الثاني

نشأة علم التاريخ عند العرب

(١)

أخبار العرب فى الجاهلية

وصلت الينا أخبار العرب فى الجاهلية الأولى ، التى سجلها المؤرخون فى مدوناتهم لأول مرة فى العصر الأموى ، مشوهة ، لاتعدو أن تكون أخباراً يغلب عليها الطابع الأسطورى ، أو أخباراً أدخلها المغرضون ممن اعتنقوا الإسلام من أهل الكتاب ، لاسيما ما كان يتعلق منها بتاريخ اليمن وأخبار ملوكها وأقيالها . أما التاريخ الجاهلى القريب من الإسلام ، والذى وصل إلينا فى المصادر العربية ، فأقرب بكثير إلى الواقع التاريخى من الروايات التى سجلها الأخباريون عن عصر الجاهلية الأولى المغرقة فى القدم ، لأن أخباره كانت ماتزال ثابتة فى ذاكرة القوم لقربها من أحداث عصر النبوة ، ولاتصالها الوثيق بحياة الرسول قبل المبعث . وحتى هذه الأخبار القريبة فى جاهليتها إلى الإسلام ، رغم قربها من الواقع التاريخى عن غيرها من أخبار الجاهلية الأولى ، لاتخلو من تحريف وقصص ، الأمر الذى دعا الدارسين فى تاريخ العرب فى هذه الحقبة إلى بذل جهود هائلة لتصفيتها مما يشوبها من التحريف(١) .

ويرجع السبب فى تشويه أخبار الجاهلية الأولى واضطرابها ، واختلاطها

---

(١) السيد عبد العزيز سالم ، دراسات فى تاريخ العرب ، الجزء الأول ، عصر ما قبل الاسلام ، الاسكندرية ١٩٦٧ ، ص ٦

بالقصص والاساطير إلى انتشار الأمية بين العرب قبل الإسلام، ففضل الرواة الحفظ على الكتابة، واعتمدوا على الذاكرة(١)، ولذلك ظلت هذه الاخبار تتداول شفاها على الالسنة جيلا بعد جيل، ولحمة إثر لحمة، إلى أن دونت فى العصر الاموى عندما ثبتت دعائم الدولة الإسلامية واستقرت أركانها، وبدأ العرب يعنون بأخبارهم القديمة، وقد دخل فيها الكثير من عناصر القصص.
ولم تدون هذه الاخبار قبل العصر الاموى لعوامل ثلاثة: الاول — أن العرب بعد الإسلام نظروا إلى عصر الجاهلية على أنه عصر انحطاط أخلاق(٢)، فلم يهتموا برواية أخباره الإهتمام الكافى، والثانى — أن العرب شغلوا بالدعوة الإسلامية فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم، كما شغلوا بالفتوحات الإسلامية والتنظيمات الإدارية والإقتصادية والدفاعية للدولة العربية الإسلامية فى زمن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، وبفتنة الامصار فى خلافة عثمان، وبالصراع بين أهل العراق وأهل الشام فى خلافة على، وبالصراع بين العصبيتين العربيتين اليمنية والمضرية فى زمن مروان بن الحكم، ومن جاء بعده من خلفاء بنى أمية؛ عن تدوين أخبارهم القديمة. أما العامل الثالث فيرجع إلى أن المواد التى كان يسجل عليها العرب أخبارهم كانت سهلة الكسر، سريعة الضياع.

ولاشك أن أخباراً جاهلية، تنقل على هذا النحو فى العصر الاموى، على لسان الرواه لم تكن تعدو قصصا خرافية وأساطير تخلو من الصفة التاريخية، وتبعد عن الحس والمنظور التاريخيين اللذين يعتمدان على النقل والتحليل والنظر

---

(١) عبد المنعم ماجد، مقدمة لدراسة التاريخ الاسلامى، ص٢٣ — سيدة اسماعيل كاشف، مصادر التاريخ الاسلامى، ص ١٢ — روزنتال، ص ٩٨ — هاملتون جب، دراسات فى حضارة الاسلام، ص ١٤٤ وما يليها.

(٢) روزنتال، ص ٣٠

والتحقيق(١) . هذه الاخبار على حد قول ابن خلدون « بعيدة عن الصحة ، عريقة فى الوهم والغلط ، وأشبه بأحاديث القصص الموضوعة »(٢) ، وهى لذلك لايمكن الوثوق بها أو الاعتماد عليها لما تتضمنه من مبالغات وخرافات(٣) . ومعظم ما وصلنا فى كتب الأخباريين يتناول أخبار اليمن وملوكها من التبابعة ، وأخبار عاد وثمود وطسم وجديس وجرهم ، أو يتضمن أخباراً وقصصا عن بنى اسرائيل . أما فى شمال الجزيرة العربية فالأمر يختلف كثيراً ، فقد كان لدى المناذرة كتب تتضمن أخباراً تفصيلية عن عرب الحيرة وأنسابهم وسير ملوكهم ، كانت محفوظة فى بيع الحيرة أفاد منها ابن الكلبى فى مصنفه عن الحيرة(٤) ، ومنها استقى ابن هشام والطبرى وغيرهما أجزاء كبيرة من مادتهم التاريخية . كذلك كان لعرب الحجاز أخبارهم عن أحوالهم الاجتماعية والانساب تتمثل فى أيامهم وأشعارهم ، وأيام العرب مجموعة روايات شفوية قبلية جماعية تتخللها الأشعار ، جمعت فى القرن الثانى للهجرة(٥) . ومع أن روايات الأيام مضطربة من الناحية الزمنية والتوقيت كما أنها لم تكن تخلو من عصبية ، بالاضافة إلى انه ينقصها التماسك والحبكة التاريخية ، فانها مع ذلك كانت تتضمن كثيرا من الحقائق

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ج ١ ص ٢٠٩

(٢) نفس المصدر ، ٢٢٤

(٣) جب ، علم التاريخ دائرة المعارف الاسلامية ، القسم المعرب ، ص ٤٨٣ (مجلد ٤ ، عدد ٨)

(٤) الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، المجلد الأول ، قسم ٢ ، تحقيق دى غوية ، لندن ١٨٨١ — ١٨٨٢ ص ٧٧٠ . يقول هشام « كنت استخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ أعمار من عمل منهم لآل كسرى وتأريخ سنيهم من بيع الحيرة »

(٥) عبد العزيز الدورى ، نشأة علم التاريخ عند العرب ، ص ١٧

التاريخية(١) ، بحيث يطالب حاجى خليفة بجعلها فرعا من فروع التاريخ(٢) . أما الشعر العربى فى الجاهلية فقد كانت له أهميته فى إطلاعنا على الأحوال الاجتماعية عند العرب قبل الاسلام ، فهو ديوان العرب ، وبه حفظت الانساب ، وعرفت المآثر ، ومنه تعلمت اللغة العربية(٣) . وإلى جانب الشعر العربى وأيام العرب فى الجاهلية ، اهتم العرب فى الجاهلية بحفظ الأنساب القبلية ، ولا يخفى ما لرواية الانساب من أهمية كبرى بالنسبة للدراسة التاريخية .

وشهد القرنان الأول والثانى للهجرة اهتماما خاصا بدراسة أخبار العرب فى الجاهلية والإسلام ، وأخبار الأمم والشعوب التى اتصلت بهم أو اتصلوا بها ، وتألف من مجموع هذه الاخبار مجموعة من الكتابات التاريخية فى أخبار اليمن وأشعارها ، وفى أخبار وقائع العرب فى الجاهلية ، ومن المؤرخين العرب الذين اشتغلوا برواية أخبار العرب قبل الإسلام عبيد بن شرية الجرهمى اليمنى ، ووهب بن منبه (ت ١١٠ هـ) ، ومحمد بن السائب الكلبى (ت ١٤٦) ، وابنه أبو المنذر هشام بن محمد (ت ٢٠٤) ، وأبو عبيدة معمر بن المثنى التميمى (ت ٢٠٩ هـ). وإلى هؤلاء المؤرخين نضيف جماعة من الأخباريين ممن كان لهم إهتمام كبير بالانساب والشعر ، نخص منهم بالذكر أبا مخنف الازدى (ت ١٥٧ هـ) ، وعوانه بن الحكم الكوفى (ت ١٤٧) ، وسيف بن عمر (ت ١٨٠ هـ) ، ونصر بن مزاحم (ت ٢١٢ هـ) ،

---

(١) جب ، علم التأريخ ، دائرة المعارف الأسلامية ، القسم المعرب ، ص ٤٨٤

(٢) حاجى خليفة ، كشف الظنون ، طبعة اسطنبول ، ج ١ ص ٢٠٤ (١٩٤١)

(٣) القرشى ، جمهرة أشعار العرب ، بولاق ١٣٢٨ هـ ، ص ٣ — السيوطى . المزهر فى علوم اللغة ، شرح الأستاذ محمد احمد جاد المولى وآخرين ، ج ٢ ص ٤٧٠ ، أحمد أمين فجر الاسلام ، ص ٥٧ — السيد عبد العزيز سالم ، عصرما قبل الاسلام ، ص ٣٦

وعلى بن محمد المدائنى (ت ٢٢٥ هـ)، وممن اهتم بجغرافية بلاد العرب بوجه خاص أبو محمد الحسن بن أحمد الهمدانى (ت ٣٢٤).

ومادمنا نتحدث عن أخبار العرب فى الجاهلية ، فسنكتفى بذكر الفريق الاول من المؤرخين الذين عنوا بالكتابة عن الجاهلية :

١ - عبيد بن شرية الجرهمى اليمنى :

اختلفوا فى أصله ، فروى أنه كان من أهل صنعاء ، وقيل إنه من الرقة بالعراق، والارجح أنه كان يمنيا وجرهميا بالذات ، وكان قصاصا أخباريا ، أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ، ولكنه لم يسمع منه شيئا . ثم وفد على معاوية بن أبى سفيان، وبرز فى بلاطه(١) ، وذكروا أنه كان يسمع معاوية كل ليلة شيئا من أخبار العرب وأيامها وأخبار العجم وملوكها وسياستها لرعيتها(٢) ، وأنه ألف له «كتاب الملوك وأخبار الماضين»(٣) الذى طبع فى ذيل «كتاب التيجان فى ملوك حمير» المنشور فى حيدر أباد دكن فى الهند سنة ١٣٤٧ هـ بعنوان «أخبار عبيد بن شرية الجرهمى فى أخبار اليمن وأشعارها وانسابها» لأبى محمد بن هشام بن أيوب الحميرى (ت ٢١٣). وكتاب ابن شرية يتضمن كثيرا من أخبار العرب فى الجاهلية ، كما يشتمل على كثير من الاشعار التى وضعت على لسان عاد وثمود

---

(١) ابن قتيبة ، كتاب المعارف ، ص ١٨١ — المسعودى ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج ٢ ، طبعة محيى الدين عبد الحميد ؛ القاهرة ١٩٥٨ ص ٨٥

(٢) المسعودى ، المصدر السابق ، ج ٢ ص ٤٠

(٣) راجع مقدمة الدكتور نبيه أمين فارس للجزء الثامن من كتاب الاكليل ، برنستن ١٩٤٠ ، ص ت

وطسم وجديس والتبابعة . كذلك يضم الكتاب بعض أخبار عن بنى اسرائيل ، ويغلب على جميع هذه الاخبار طابع القصص الشعبي المتأثر بالاسرائيليات(١) . وقد أفاد الهمدانى فى كتابه الإكليل من أخبار عبيد بن شرية ، فنقل نتفا منها .

وهب بن منبه :

كان يمنيا من اهل ذمار ، واصله فارسى ، وقيل انه كان يهوديا واسلم . وينسبون إليه معظم الاسرائيليات الواردة فى المصادر العربية ، وقد ركز وهب بن منبه اهتمامه على اخبار اليمن فى الجاهلية ، وهو فى ذلك يعتمد على مصادر نصرانية ، إذ ان روايته عن نصارى نجران تطابق الروايات النصرانية(٢) . ومن الكتب المنسوبة إليه كتاب « الملوك المتوجة من حمير واخبارهم وقصصهم وقبورهم واشعارهم » ، وقد وصلت الينا اجزاء منه فى كتاب التيجان فى ملوك حمير ، لابن هشام .

ويغلب على اخبار وهب طابع القصص الشعبي الخرافى ، وقد حمل ذلك المؤرخ هاملتون جب إلى القول بأن كتابى وهب بن منبه وعبيد بن شرية يمدانا ببرهان ساطع على أن العرب الاول كانوا يفتقرون إلى الحس والمنظور التاريخيين

---

(١) جواد على ، العرب قبل الاسلام ، ج ١ ص ٤٤ — عبد العزيز الدورى ، نشأة علم التاريخ ، ٢٦. والمقصود بالاسرائيليات القصص والاساطير المأخوذة عن العهد القديم ، وقد جمع وهب بن منبه وعبيد بن شرية من هذه القصص ما كان متداولا بين المسلمين وخاصة مارواه كعب الاحبار (ت ٣٢ — ٣٤ ه) وعبد الله بن سلام (ت حوالى ٤٠ ه) ، وأضافا إليها ما تمكنا من جمعه عن طريق اتصالاتهما بأهل الكتاب ، ومن دراساتهما الشخصية للكتب المقدسة .

(٢) جواد على ، ج ١ ص ٤٥

حتى عندما يتطرقان إلى ذكر أحداث تكاد تكون معاصرة لها »(١) .

وينسب إلى وهب كذلك « كتاب المبتدأ » الذى يشير عنوانه إلى ابتداء الخليقة ، وهو أول محاولة عند العرب لكتابة تاريخ الرسالات ، وقد اعتمد عليه ابن قتيبة فى المعارف(٢) ، والطبرى فى كتابه تاريخ الرسل والملوك(٣) ، والمقدسى فى كتابه البدء والتاريخ(٤) ، واحمد بن محمد الثعلبي فى كتابه عرائس المجالس فى قصص الانبياء ، وقد وجد اتجاهه فى كتابة التاريخ العالمى منذ بدء الخلق صدى قويا عند مؤرخ مشهور من مؤرخى المدينة هو ابن اسحق(٥) . كذلك ينسبون إلى وهب كتاب المغازى الذى لم يبق منه إلا مجموعة أوراق مخطوطة ما زالت محفوظة فى مكتبة هيدلبرج بألمانيا ، وكان قد عثر عليها الاستاذ بيكر(٦) وقد اعتمد الطبرى على كثير من أقوال وهب بن منبه فى تفسيره الكبير(٧) .

وكان وهب بن منبه يجيد عدداً من اللغات القديمة ، فقد كان يتقن اليونانية والسريانية والحميرية ، كما كان يستطيع قراءة الكتابات القديمة التى يتعذر على

---

(١) جب ، دراسات فى حضارة الاسلام ، ١٤٤ .

(٢) كثيرا ما تردد اسم وهب فى صفحات كتاب المعارف لابن قتيبة فى الفصل الخاص بمبدأ الخلق (ابن قتيبة ، كتاب المعارف ، القاهرة ١٣٠٠ هـ ص ٣٠)

(٣) الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق دى غوية ، لندن ١٨٨١

(٤) مطهر بن طاهر المقدسى ، كتاب البدء والتاريخ ، نشره كلمان هوار ، باريس ١٨٩٩

(٥) عبد العزيز الدورى ، نشأة علم التاريخ ، ص ٢٦ — جب ، علم التاريخ ، دائرة المعارف الاسلامية ، ص ٤٨٧

(٦) أحمد أمين ، ضحى الاسلام ، ج ٢ ص ٣٢٣ — عبد العزيز الدورى ، المرجع السابق ، ٢٥

(٧) هاملتون جب ، المرجع السابق ، ص ١٤٤

العلماء فى زمنه قراءتها ، وفى ذلك يقول المسعودى نقلا عن عثمان بن مرة الخولانى : « لما ابتدأ الوليد ببناء مسجد دمشق ، وجد فى حائط المسجد لوحا من حجارة فيه كتابة باليونانية ، فعرض على جماعة من أهل الكتاب ، فلم يقدروا على قراءته ، فوجه به إلى وهب بن منبه ، فقال : هذا مكتوب أيام سليمان بن داود عليهما السلام ، فقرأه »(١) .

٣ - هشام بن محمد بن السائب الكلبى :

كان أبوه محمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦ هـ) عالما بالانساب واللغة والتاريخ ، وتشير دراساته للأنساب إلى محاولة لجمع الروايات القبلية معتمداً على أفضل نسابة فى كل قبيلة(٢) ، وخلفه ابنه أبو المنذر هشام فى هذا العلم ، فتتبع دراسات أبيه فى الانساب وتقدم بها ، وقد وصل الينا قطعة من كتابه « جمهرة النسب » مخطوطة محفوظة فى المتحف البريطانى ، ويتضمن ملاحظات عن مشاهير الرجال . ويقول عنه ابن قتيبة « كان هشام اعلم الناس بالانساب اخذ هذا العلم عن ابيه(٣) » اما عن دراساته التاريخية فغزيرة متنوعة ، فقد تعرض لتاريخ الانبياء ، وتاريخ العرب في الجاهلية وذكر أيامهم ، كما تناول تاريخ الفرس ، وتاريخ العرب فى العصر الاسلامى ، ولذلك يعتبر هشام من اعظم الاخباريين فى تاريخ العرب فى الجاهلية وكان يعتمد على الاصول والمصادر التاريخية التى تتعلق بموضوع دراساته ؛ ففى تاريخ الانبياء كان يعتمد على اهل الكتاب ، وفى تاريخ الفرس

---

(١) المسعودى ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ١٦٦ ومايليها

(٢) عبد العزيز الدورى ، المرجع السابق ، ص ٤٠

(٣) ابن قتيبة ، كتاب المعارف ، ص ١٨١

كان يستقى مادته من الترجمات عن الفارسية ومن الأخبار والقصص المتداولة ، وفى دراساته عن تاريخ اليمن يستمد مادته من القصص الشعبي المتواتر فى تاريخ اليمن(١) ، وفى بحثه عن الحيرة(٢) يعتمد على محفوظات كنائس الحيرة ، وعلى المواد الفارسية المترجمة .

ولهشام بن محمد الكلبي كتب كثيرة ذكرها ابن النديم فى الفهرست ، يبلغ عددها نحو ١٤٠ كتابا،وصل الينا منها قطعة من كتاب جمهرة النسب ، ووصل الينا كتاب « الأصنام » الذى نشر بمصر(٣) ، وكتاب « نسب فحول الخيل فى الجاهلية والإسلام ». وقد أفاد كثير من مؤرخى العرب بالطبرى والمسعودى وابن قتيبة . ومع ذلك فقد اتهم هشام وأبوه بالوضع(٤)، وتجنب جماعة من العلماء الرواية عنه ، ولكن الأستاذ بروكلمان يدافع عنه(٥) ، كما يدافع عنه أيضاً الأستاذ أحمد زكى محقق كتاب الاصنام(٦) .

---

(١) عبد العزيز الدورى ، ص ٤١ .

(٢) ذكر ابن النديم فى الفهرست كتابين من تأليفه بعنوان : « كتاب الحيرة » ، وكتاب « الحيرة وتسمية البيع والديارات ونسب العباديين » (راجع روزنثال ، ص ٣٩٠ — جب ، علم التأريخ ص ٤٨٥)

(٣) ابن الكلبى ، كتاب الاصنام، نشره أحمد زكى باشا، بولاق ١٣٣٢، وصورته الدار القومية للطباعة والنشر فى ١٩٦٥ .

(٤) أبو الفرج الاصفهانى ، كتاب الاغانى ، ج ١ ص ١٩ — راجع أيضاً مقدمة كتاب الاصنام ، ص ١٤ .

(٥) جب ، المرجع السابق ، ص ١٤٧ — جواد على ، ج ١ ص ٤٧ .

(٦) مقدمة كتاب الاصنام ، ص ١١، ٣٢

٤ - أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي :

كان فارسى الأصل ، يهودى الآباء ، ولكنه كان عربيا تميميا أو تيميا بالولاء(١) ، وهو لذلك السبب كان على جانب كبير من الثقافة والاطلاع ، إذ جمع بين الثقافات الفارسية واليهودية والعربية ، وقد أخذ أبو عبيدة من شيوخه أمثال أبو عمرو بن العلاء ، ويونس بن حبيب ، وعمد إلى روايات البدو لجمعها ، ولذلك كان يعتبر من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها .

وأبو عبيده من طلائع مؤرخى العرب فى الجاهلية والاسلام ، اهتم بصفة خاصة ببلاد العرب الشمالية ، فروى عن أخبار قبائلها وأيامها ، كما شملت أخباره قسما من التاريخ الاسلامى فأحاطت بتاريخ العرب فى عصر النبوة والفتوحات الاسلامية(٢) . وقد صنف أبو عبيدة عدداً كبيراً من الكتب عن المدن والأمصار ، وعن « الفاخر » و« المثالب » القبلية ، وفى الأخبار ، وعن شخصيات تاريخية ، وعن المعارك ، وعن الأحزاب (وخاصة الخوارج) ، وعن القضاة ، وعن الموالى ، بالإضافة إلى دراساته فى القرآن والحديث والشعر(٣) . وذكر فى الفهرست أنه كان شعوبيا يطعن فى الأنساب ويؤلف فى مثالب العرب(٤) . ويعلل الأستاذ احمد امين نزعته الشعوبية بأصله الفارسى الذى حرره من الخضوع -

---

(١) احمد امين ، ضحى الاسلام ، ج ٢ ص ٣٠٤ .

(٢) من بين كتبه فى الفتوحات ، كتاب فتوح أرمينية ، وكتاب السواد وفتحه ، وكتاب فتح الاهواز ، وكتاب خراسان (روزنتال ص ٢٨٤)

(٣) الدورى ، ص ٤٤ .

(٤) فجر الاسلام ، ص ٢٦٥ — ضحى الاسلام ، ج ٢ ص ٣٠٤ .

للعصبية العربية(١) ، ولكن الأستاذ جب يرفع عنه التهمة(٢) ، ويعتبر ما اتهم به حجة على الدراية المجردة من ثوب الغرض والتحيز لا عن التحيز المقصود لذاته(٣) .

٥ - أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب المعروف بابن الحائك الهمداني :

هو مؤرخ يمني ، عرف بسعة الاطلاع ، ودقة التعريف بمواضع جزيرة العرب بوجه عام ، واليمن بوجه خاص ، ووصفها ، وذكر قبائلها ، وتاريخها . ولد في صنعاء في زمن غير معروف ، ونشأ بصنعاء ، ثم رحل إلى بلاد العرب ، وارتادها دارسا معالمها وآثارها ، وأقام حينا من الوقت بمكة ، اتصل خلاله بعلمائها ومؤرخيها ، ثم عاد إلى اليمن ، وأقام بصعدة ، إلى أن اتهم بهجاء النبي ، فزج به في السجن ، وتوفى في سجنه في عام ٣٣٤ هـ(٤) .

ويعتبر كتابه «صفة جزيرة العرب» من أهم مصادر تاريخ العرب في الجاهلية ، خاصة في القسم الجنوبي من الجزيرة العربية ، لدقته البالغة في وصف الآثار ، واعتماده على المشاهدة(٥) . وقد ساعدت معرفته بخط المسند الحميرى على قراءة الكتابات الأثرية والنقوش التي شاهدها في المواضع التي ارتادها(٦) .

---

(١) أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، ج٢ ، ص ٣٠٥ .
(٢) هاملتون جب ، دراسات في حضارة الإسلام ، ص ١٤٦ .
(٣) جب ، علم التأريخ ، دائرة المعارف الإسلامية ، ص ٤٨٥ .
(٤) السيوطي ، بغية الوعاة ، القاهرة ، ١٣٢٦ هـ ، ص ٢١٧ .
(٥) الهمداني ، كتاب صفة جزيرة العرب ، نشر محمد بن عبد الله بن بليهد النجدي ، ١٩٥٣ .
(٦) وردت في كتابه الإكليل عبارات يفهم منها أنه كان عارفا بالخط المسند (الإكليل ، ج ٨ ، نشره نبيه أمين فارس ، ص ٤٢ ، ٥٣) .

وكتابه الاكليل أهم ما ألفه فى ماضى اليمن قبل أن يصنف كتاب « صفة جزيرة العرب » ، ويتكون الإكليل من عشرة أجزاء لم يصل الينا منها سوى الجزآن الأولان . والجزآن الثامن والعاشر(١) . والقسم الاعظم من كتاب الإكليل يتضمن وصفا لآثار اليمن المعمارية من قصور وسدود وقلاع ومدن وهياكل ، وصفها الهمدانى وصفا دقيقا ، اعتمد فيه على المعاينة والفحص الدقيق . ويعتبر الهمدانى أول رحالة ارتاد اليمن ، ووصف آثارها ، وقرأ نقوشها قبل أن يقوم الرواد الاوربيون فى العصر الحديث بهذا العمل بقرون طويلة .

---

(١) راجع مقدمة كتاب الإكليل ، الجزء العاشر ، لمحرره محب الدين الخطيب ، القاهرة ١٣٦٨ هاص يو — يز .

(٢)

كتاب السيرة والمغازى وبداية الكتابة التاريخية عند العرب

أ ـ مدرسة التاريخ فى المدينة

ازدهرت الحركة العلمية فى العصرين الاموى والعباسى ، وقامت مراكز علمية هامة فى الأمصار الإسلامية ، ففى الحجاز تألقت الحركة العلمية فى مكة والمدينة ، وفى العراق اشتهرت البصرة والكوفة فى العصر الاموى فى علوم النحو والصرف واللغة، وفى الادب، وفى الكلام، وفى التاريخ ، وانضمت اليهما بغداد فى العصر العباسى ، ونافستهما فى الشهرة العلمية . وفى مصر كانت الفسطاط المركز العلمى الاول فى القرآن الحديث والفقه بوجه خاص ، وكان مركزها جامع عمرو بالفسطاط . أما فى الشام فقد ازدهرت فيه الحركة الدينية ، وظهر به علماء أجلاء فى الفقه والحديث ، وكان مركزها جامع دمشق .

والقرآن هو المصدر الاول لدراسة علم التاريخ عند العرب ، ويليه الحديث والسنة ، وكانت بداية التأليف العلمى فى التاريخ وثيقة الصلة بهذين المصدرين ، وعلى هذا الاساس كان علم التاريخ العربى الاسلامى عند نشأته يقوم باديء ذى بدء على دراسة سيرة النبى وأخبار الغزوات ومن أسهم فيها ، وكان مركز النشاط فى هذه الحركة التاريخية يتمثل فى مكة والمدينة. وكان المؤرخون الاول من المسلمين يعتمدون فيه على الروايات الشفهية شأنهم فى ذلك شأن رواة الحديث ، فكان كل جيل منهم يستمد أخباره من الجيل السابق ، وكان الخبر التاريخى يستمد من السماع عن الحفاظ الموثوق بهم وهو ما يعرف بالاسانيد ، وهى وسيلة للاجماع على صحة الخبر ، وهى نفس الوسيلة التى اتبعها المحدثون فى روايتهم للحديث ، مما يدل على أن التاريخ العربى عند نشأته سلك نفس الطريقة التى سلكها الحديث ،

فكان الخبر التاريخي على هذا النحو يتألف من عنصرين : رواة الخبر على التتابع، ويعرف ذلك بالسند أو الإسناد، ثم نص الخبر ويسمى المتن(١). وينتقد ابن خلدون هذه الطريقة فى رواية الخبر ، ويهاجم الاخباريين بقوله : «كثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالط فى الحكايات والوقائع ، لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سمينا ، لم يعرضوها على أصولها ، ولاقاسوها بأشباهها ، ولاسبروها بمعيار الحكمة ، والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة فى الاخبار ، فضلوا عن الحق ، وتاهوا فى بيداء الوهم والغلط »(٢) . وفى موضع آخر يقول : «فقد زلت أقدام كثير من الإثبات والمؤرخين الحفاظ فى مثل هذه الاحاديث والآراء ، وعلقت بأفكارهم ، ونقلها عنهم الكافة من ضعفة النظر والغفلة عن القياس ، وتلقوها هم أيضاً كذلك من غير بحث ولا روية »(٣).

وأقدم الكتب التاريخية التى تجمع بين الحديث والتاريخ هى كتب المغازى والسيرة ، فقد دفع اهتمام المسلمين بأقوال الرسول وأفعاله للاهتداء بها والاعتماد عليها فى التشريع الاسلامى ، وفى النظم الادارية ، الكتاب إلى الكتابة فى سيرة الرسول وفى مغازيه ومغازى الصحابة(٤) ، وكان من الطبيعى أن تتألق هذه الحركة فى المدينة باعتبارها دار هجرة الرسول ودار السنة التى عاش فيها الصحابة، وسمعوا احاديث الرسول ورووها بدورهم إلى التابعين .

وينقسم مؤرخو السيرة والمغازى فى مدرسة المدينة ومكة إلى ثلاث طبقات:

---

(١) ضحى الاسلام ، ج ٢ ص ٣١٩ — عبد العزيز الدورى ، ص ٢٠ — سيدة كاشف ص ٢٥

(٢) مقدمة ابن خلدون ، ج ١ ص ٢١٩

(٣) نفس المصدر ، ص ٢٥١

(٤) ضحى الاسلام ، ج ٢ ص ٣١٩ — الدورى ، ص ١٩ ، ٢٠

فبرز فى الطبقة الأولى منهم : أبان بن عثمان بن عفان (ت ١٠٥) ، وعروة بن الزبير (ت ٩٢ هـ) ، وشرحبيل بن سعد (ت ١٢٣) . ومن رجال الطبقة الثانية: عبد الله بن أبى بكر بن حزم (ت١٣٥) ، وعاصم بن عمرو بن قتادة (ت١٢٠)، وابن شهاب الزهرى (ت ١٢٤) . ومن رجال الطبقة الثالثة : موسى بن عقبة (ت ١٤١) ، ومحمد بن اسحاق بن يسار (ت ١٥٢)، والواقدى (ت ٢٠٧ هـ) . وكلهم من المدينة دار السنة باستثناء ابن شهاب الزهرى فهو مكى ، ونضيف إليه وهب بن منبه الذى كتب فى السيرة بجانب كتاباته فى قصص الأنبياء وأخبار القدامى .

الطبقة الأولى :

١ — أبان بن عثمان بن عفان : كان واليا على المدينة فى خلافة عبد الملك بن مروان ، واشتهر بالحديث والفقه ولكنه كان يميل إلى دراسة المغازى ، وكتابته فى المغازى لاتعدو أن تكون صحفاً تضمنت أحاديث عن حياة الرسول . ولم ينقل له أو يرو عنه أحد من كتاب السيرة الأول كابن سعد وابن هشام ، شيئا فى السيرة(١) . ويعلل الدكتور الدورى ذلك بأنه فيما يظهر كان يمثل مرحلة انتقال بين دراسة الحديث ودراسة المغازى(٢) .

٢ — عروة بن الزبير بن العوام : ينتسب إلى بيت من أشرف بيوت

---

(١) سيدة كاشف ، مصادر التاريخ الاسلامى ، ص ٢٦

(٢) ضحى الاسلام ، ج ٢ ص ٣٢١

(٣) الدورى ، ص ٢١

العرب(١) ، ويدخل فى عداد الطبقة الأولى من مؤرخى السيرة ، وكان ثقة فيما يرويه من الحديث ، فقد مكنه نسبه من أن يروى الكثير من الأخبار والأحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فروى منها عن أبيه الزبير ، وعن أمه أسماء ، وعن خالته عائشة(٢) ، وعن أبى ذر . نشأ عروة فى المدينة ، وأخذ الحديث عن كثير من الصحابة أمثال : أبوه الزبير ، وزيد بن ثابت ، وأسامة بن زيد ، وأبو هريرة ، وعبد الله بن عمرو ، وابن عباس(٣) . ثم رحل إلى مصر وأقام بها ما يقرب من سبع سنوات ، وتزوج فيها ، وزار دمشق عدة مرات .

وعن عروة أخذ ابنه هشام بن عروة ، وابن شهاب الزهرى . وكان لعروة ابن الزبير فضل كبير على كتاب السيرة كابن هشام وابن سعد ، إذ يدين كلاهما بجزء كبير من كتابتهما لما رواه عروة ، وكذلك رجع إليه الطبرى فى صفحات عديدة من كتابه تاريخ الأمم والملوك ، كما وردت فقرات من مغازيه فى مصنفات الواقدى وابن كثير ، تتناول جوانب متعددة من حياة الرسول(٤) ، ولم تقتصر كتابات عروة على المغازى ، فقد تجاوزتها إلى فترة الخلفاء الراشدين ، ويتضح هذا فى بعض المقتبسات التى وصلت إلينا فى تاريخ الأمم والملوك للطبرى ، إذ تعرض لذكر غزوة أسامة بن زيد ، وخبر ردة القبائل ، وخبر أجنادين ، وخبر وقعة اليرموك ، وخبر وقعة الجمل ، ولكن رواياته فى هذا الشأن قصيرة موجزة .

---

(١) أبوه الزبير بن العوام ، وأمه أسماء بنت أبى بكر ، وأخوه عبد الله بن الزبير ، وجدته خديجة بنت خويلد زوج الرسول ، وخالته عائشة أم المؤمنين .

(٢) ضحى الاسلام ، ج ٢ س ٣٢٢ .

(٣) ابن سعد ، كتاب الطبقات الكبير ، طبعة ليدن تحقيق الدكتور ستر ستين ١٣٢٢ هـ (١٩٠٥) ج ٥ س ١٣٣

(٤) الدورى ، س ٢١

٣ — شرحبيل بن سعد : كان مولى من موالى الأنصار ، ويعتبر فى الطبقة الأولى من مؤرخى السيرة ، روى كثيراً عن زيد بن ثابت وأبى سعيد الخدرى وأبى هريرة(١) ، وقد أسهم شرحبيل فى كتابات السيرة بقوائم أثبت فيها أسماء الصحابة البدريين الذين اشتركوا فى غزوة بدر ، وأسماء الصحابة الذين اشتركوا فى غزوة أحد ، كما أورد أسماء المهاجرين إلى الحبشة ، وأسماء من هاجر من مكة إلى المدينة ، ولكنه مع ذلك لم يبلغ ما بلغه أبان بن عثمان بن عفان أو عروة ابن الزبير من مكانة فى هذا المجال ، فلم يرو عنه ابن اسحق والواقدى شيئاً(٢).

ويضاف إلى هذه الطبقة من مؤرخى السيرة ، مؤرخ أشرنا إليه فيما سبق هو وهب بن منبه الذى كتب فى المغازى كتابا ، وصلت إلينـــا منه قطعة مازالت محفوظة فى مكتبة هيدلبرج ذكر فيها وهب العقبة الكبرى ، واجتماع قريش فى دار الندوة ، والهجرة النبوية ، ولكننا لم ندخله فى عداد المدنيين من كتاب السيرة باعتباره يمنياً .

الطبقة الثانية :

١ — عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى : كان مدنيا من أهل المدينة ، وكان جده الأعلى عمرو بن حزم الأنصارى أحد كبار الصحابة، ولاه النبى صلى الله عليه وسلم نجران باليمن ، وكتب له حين بعثه إلى اليمن كتابا أمره فيه بتقوى الله فى أمره كله ، وأخذ خمس المغانم وعشر ماسقى بالسوانى

---

(١) ضحى الاسلام ، ج ٢ ص ٣٢٢

(٢) نفس المرجع، ص ٣٢٣

والدواليب من الصدقات ، ونصف العشر مما سقى بالدلو(١) . أما جده محمد بن عمرو فقد توفى يوم الحرة ، وأما أبوه أبو بكر فقد ولى قضاء المدينة فى ولاية عمر بن عبد العزيز ، ثم ولى أمر المدينة فى خلافة سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز ، وعرف أبو بكر بمقدرته فى رواية الحديث ، ولذلك عهد إليه عمر ابن عبد العزيز بجمع الحديث . وورث ابنه عبد الله بن أبى بكر هذه المواهب ، فاختص برواية الحديث المتصل بالمغازى ، فكان حجة فى ذلك ، وعنه روى ابن اسحق والواقدى وابن سعد والطبرى روايات تتعلق بأخبار الرسول فى المدينة .

٢ — عاصم بن عمر بن قتادة الظفرى : كان أنصاريا من أهل المدينة ، شهد جده قتادة موقعة بدر واشترك فيها مع المسلمين ، وكان عاصم بن عمر راوية للعلم ، له معرفة بالمغازى والسير ، ولذلك عهد اليه الخليفة عمر بن عبد العزيز بالجلوس فى جامع دمشق ليحدث الناس عن المغازى وعن مناقب الصحابة ، وقد اعتمد عليه كل من ابن اسحق والواقدى(٢) .

٣ — ابن شهاب الزهرى : هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب من بنى زهرة ، ويعتبر من أعظم مؤرخى المغازى والسيرة إذ يرجع إليه الفضل فى تأسيس مدرسة التأريخ فى المدينة ، واليه يرجع كذلك الفضل فى توضيح خطوط السيرة أخذ الزهرى على كبار المحدثين فى المدينة وهم سعيد بن المسيب ، وأبان ابن عثمان بن عفان ، وعروة بن الزبير ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبه ، وأبو

---

(١) البلاذرى ، فتوح البلدان . تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، القاهرة ١٩٥٦ ج ١ ص ٨٤

(٢) ضحى الاسلام ، ج ٢ ص ٣٢٥

سلمة بن عبد الرحمن ، وقد كان يعتز بتلقيه العلم عليهم ، فكان يقول . « أدركت أربعة بحور : عبيد الله بن عبد الله أحدهم ، وقال أيضا : «سمعت من العلم شيئا كثيراً فلما لقيت عبيد الله بن عبد الله كأنى كنت فى شعب من الشعاب ، فوقعت فى الوادى ، وقال مرة صرت كأنى لم أسمع من العلم شيئاً »(١) .

استقى ابن شهاب الزهرى معظم مادته فى السيرة من الحديث ، فهى تكاد تخلو من قصص الأنبياء ، كما أنه لم يستخدم الشعر فى كتابته إلا فى أحوال نادرة . وقد عرف الزهرى بقوة أسانيده . ولكنه يمتاز عن غيره فى ذلك بنوع جديد من الإسناد ، هو الإسناد الجمعى ، حيث يدمج عدة روايات فى خبر متسلسل ، وقد سار بذلك خطوة هامة نحو الكتابة التاريخية المتصلة(٢) .

واعتمد الزهرى فى المغازى على عروة بن الزبير اعتمادا كبيراً ، ولذلك فان روايات عروة تعتبر المصدر الأول الزهرى فيما وصل إلينا من مغازيه(٣) . كذلك اعتمد فى الرواية على سعيد بن المسيب وعبيد الله بن عبد الله بن عتبه(٤) ، اللذين كان يعتز كل الاعتزاز بتلقيه العلم عليهما .

ولم يقتصر الزهرى على الكتابة فى السيرة والمغازى ، بل شملت كتاباته الأنساب وتاريخ صدر الإسلام ، فصنف كتابا فى نسب قريش اتخذه المصعب

---

(١) أبو الفرج الأصفهانى ، كتاب الأغانى ، ج ٨ ص ١٧٨ .

(٢) عبد العزيز الدورى ، ص ٢٤ ، ٩٤ .

(٣) نفسه ، ص ٧٩ .

(٤) الواقدى ، مغازى رسول الله ، القاهرة ١٩٤٨ ص ٧٦ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ١١٩ ، ١٣٩ ، ١٦٤ .

البلاذرى ، أنساب الأشراف ، تحقيق الدكتور محمد حميد الله ، ج ١ ، القاهرة ١٩٥٩ ص ٩٨ ، ١٠٥ ، ١١٢ ، ١١٦ ، ١٩٤ ، ٢٠٥ ، ٢٥٦ ... الى آخره .

الزبيرى مصدراً لكتابه المعروف «نسب قريش»(١)، كما تناول فترة الخلفاء الراشدين حتى انتقال الخلافة إلى الأمويين ، فذكر الأحداث الكبرى التى كان لها أثر كبير فى كيان الدوله العربية الاسلامية فى زمن الخلافة الراشدة من فتن ومعارك . ويستدل مما أورده الطبرى نقلا عنه أنه تعرض فى كتاباته لمشكلة اختيار أبى بكر خليفة للمسلمين موضحا الأثر الذى تركه اختياره ، ورد فعل على بن أبى طالب (٢) ، ويبدو أن الزهرى لم يكتب فى تاريخ الأمويين وإنما كتب — استجابة لرغبة الوليد بن عبد الملك — عن سنى حكمهم .

ويعلق الدكتور عبد العزيز الدورى على أهمية ما كتبه الزهرى فى نشأة الكتابة التاريخية فيقول : «إن هذا القسم من دراسات الزهرى يدل أن الاهتمام بتجارب الأمة كان عاملا آخر له أهميته فى نشأة الكتابة التاريخية . فمبدأ الاجماع وظهور الأحزاب السياسية ، والجدل بينها حول الأحداث الماضية ، وخاصة «الفتنة» ، ومسألة الخلافه ، وهل هى بالانتخاب أم بالوراثة ، ومشكلة تنظيم الضرائب ، والديوان — كل هذه المسائل كانت تتطلب الإيضاح بواسطة الدراسة التاريخية ..» (٣) . وفى موضع آخر يقول الدكتور الدورى ، «وإذا كان عروة بن الزبير رائد علم التاريخ ، فإن الزهرى أسس المدرسة التاريخية فى المدينة» (٤) .

الطبقة الثالثة :

١ — موسى بن عقبة : كان مولى لآل الزبير ، واشتهر بالمغازى متبعا طريقة

(١) المصعب بن عبدالله الزبيرى ، نسب قريش ، تحقيق ليفى بروفنسال ، القاهرة ١٩٥٣

(٢) الطبرى ، ج ١ قسم ٤ طبعة ليدن ، ص ١٨٢٠ — ١٨٢٤ ، ١٨٢٥ وما يليها .

(٣) الدورى ، ص ٩٨

(٤) نفس المرجع ، ١٠١

مدرسة المدنيين إذ تتلمذ على الزهرى ، واستفاد بآثاره ، بالاضافة إلى كتابات غيره من كتاب المغازى ، وكتب كتابا فى السيرة ذكروا أنه جاء مختصراً ،وصلت إلينا بعض مقتطفات منه فيما كتبه ابن سعد والواقدى والطبرى (١) .

٢ ـ محمد بن اسحق : هو أشهر تلاميذ الزهرى ، من أصل فارسى ، إذ كان مولى لعبدالله بن قيس بن مخرمة بن عبد المطلب ، واليه تنسب أقدم كتب السيرة التى وصلت الينا ، وكتابه المغازى وصل إلينا مختصراً فى سيرة ابن هشام (٢) . وتنقسم سيرة ابن اسحق إلى ثلاثة أقسام :

١ ـ المبتدأ ، ويبحث فى هذا القسم فى تاريخ الجاهلية مبتدئا به منذ الخليقة.

٢ ـ المبعث ، وأفرده لتاريخ حيـــاة النبى صلى الله عليه وسلم حتى السنة الاولى للهجرة .

٣ ـ المغازى ، وتناول فى هذا القسم حياة الرسول فىالمدينة وغزواته حتى وفاته صلى الله عليه وسلم (٣) وفى مغـازى ابن اسحق يقول الشافعى: « من أراد التبحر فى المغازى فهو عيال على محمد بن اسحق » (٤) ،وقد روى المبتدأ والمغازى عن ابن اسحق سلمة بن الفضل الرازى ، والمغازى كل من جرير بن حازم (المتوفى سنة ١٧٠ هـ) ، ويحيى بن محمد بن عباد بن هانىء ، فى حين اعتمد ابن هشام فى

---

(١) أحمد أمين ، ضحى الاسلام ، ج ٢ ص ٣٢٧ — الدورى ، ص ٢٢ .

(٢) السخاوى ، الاعلان بالتوبيخ ، ص ٥٢٦ .

(٣) أحمد أمين ، ج ٢ص ٣٣٠ ـ جب ، علم التاريخ بدائرة المعارف الاسلامية، ص٤٨٧ ـ الدورى ص ٢٧ ـ سيده كاشف ، مصادر التاريخ الاسلامى ، ص ٣٠ .

(٤) الخطيب البغدادى ، تاريخ بغداد ، القاهرة ١٩٣١ ، ج ١ ص ٢١٩ ـ السخاوى ، المصدر السابق ، ص٥٢٦ .

سيرته عليه (١) .

وكان ابن اسحق مكروها من هشام بن عروة بن الزبير ومالك بن أنس، أما كراهية هشام بن عروة له فيرجع سببها إلى أن ابن اسحق روى بعض أخباره عن فاطمه بنت المنذر عن أسماء بنت أبى بكر ، وفاطمة كانت زوجة هشام بن عروة، فلما بلغ هشام ذلك أنكره وقال : « العدو الله الكذاب يروى عن امرأتى ؟ من أين رآها ؟ » (٢) . وأما عداء مالك بن أنس له فيرجع سببه إلى أن ابن اسحق طعن فى نسب مالك بن أنس كما طعن فى علمه ، فكان يقول : « ائتونى ببعض كتبه حتى أبين عيوبه ، أنا بيطار كتبه » (٣) . فكرهه مالك لذلك السبب وعاداه واتهمه بالكذب والدجل ، فكان يقول فيه : « إنه دجال من الدجاجلة » ، وقال فيه أيضا : « محمد بن اسحق كذاب » . كذلك اتهم ابن اسحق بالتشيع على مذهب القدرية .

وأمام هذا العداء رحل إلى العراق بعد قيام الدولة العباسية فنزل الكوفة والجزيرة والرى وبغداد ، واتصل بالمنصور ، وألف له كتابا فى التاريخ منذ خلق الله آدم إلى يومه ، واختصره فى كتابه المغازى (٤). وقد نقد ابن اسحق لاعتماده على أهل الكتاب فى الرواية ، فقد نقل عن بعض أهل العلم من أهل الكتاب الأول وعن أهل التوراه ، وأخذ عن وهب بن منبه وأخذ عن العجم ،

(١) السخاوى ، المرجع السابق ، ص٥٢٦

(٢) الخطيب البغدادى ، ج ١ ، ص ٢٢٢

(٣) نفس المصدر ، ص ٢٢٤ — ياقوت الرومى ، كتاب ارشاد الأريب إلى معرفة الأريب (معجم الأدباء) طبعة مرجليوث ، ج ٦ القاهرة ١٩١٣ ، ص ٤٠٠

(٤) الخطيب البغدادى ، ج ١ ص ٥٢١ — Margoliouth, Lectures on arabic Historians, p. 84 .

ولأنه أورد كثيرا من الشعر المنحول، ولأنه وقع فى أخطاء فى الأنساب التى أوردها فى كتابه (١) .

ومع ذلك فقد كان لابن اسحق الفضل فى الجمع بين أساليب المحدثين والقصاص فى كتاباته ، ويعلق جب على كتابات ابن اسحق فيقول « وكتابه فى السيرة كان ثمرة تفكير أبعد أفقا وأوسع نطاقا من تفكير سابقيه ومعاصريه ، لأنه نزع فيه لا إلى تدوين تاريخ النبي فحسب ،بل إلى تاريخ النبوة بذاتها» (٢) وينسب اليه كتاب فى تاريخ الخلفاء يبدو أنه جاء مختصرا ، عالج فيه تاريخ الخلفاء الراشدين والأمويين ، بدليل أن الطبرى ذكر ابن اسحق بين رواته فى تاريخ الخلفاء الراشدين .

٣ — الواقدى : هو محمد بن عمر بن واقد الواقدى ، كان مولى لبنى هاشم ، وقيل لبنى سهم بن أسلم ، وكان معاصرا لابن اسحق ، أخذ العلم عن شيوخ عصره فى المدينة ، فأخذ عن مالك بن أنس فى الحديث وعن أبى معشر السندى فى التاريخ ، ولذلك يعتبر الواقدى الثانى بعد ابن اسحق فى اتساع علمه بالمغازى والسير والتاريخ ، بل بز ابن اسحق فى دقته فى المادة وفى الأسلوب مع زيادة فى العناية بالتاريخ ، وفى تحقيق تواريخ الأحداث وتوضيح الإطار الجغرافى المتصل بالمواقع (٣) .

وقد اهتم الواقدى بالمغازى والسير والتاريخ الاسلامى الذى أصبح متخصصا

---

(١) ياقوت ، معجم الأدباء ، تحقيق مرجليوث ج ٦ ص ٤٠١ — Margoliouth, p. 85 — الدورى ص ٢٩ — جب ، علم التاريخ ، ص ٤٨٧ .

(٢) جب ، علم التأريخ ، ص ٤٨٧ .

(٣) الدورى ، ص ٣٠ ، ٣١ .

فيه ، فقد ذكر الخطيب البغدادى نقلا عن ابراهيم الحربى ،أن الواقدى كان أعلم الناس بأمر الاسلام ، « فأما الجاهلية فلم يعمل فيها شيئا» (١) .

وقد الف الواقدى عددا كبيرا من الكتب فى المغازى والتاريخ ، من بينها كتاب مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى وصل الينا (٢) ، وكتاب « الطبقات الكبير » رتبه على حسب السنين ، وكتاب «الطبقات» رتبه على حسب طبقات الصحابة والتابعين ، وكتاب « السيرة » ، وكتاب التأريخ والمغازى والمبعث » ، وكتاب « أزواج النبى » ، وكتاب « وفاة النبى » وكتاب « السقيفة وبيعة أبى بكر » ، وكتاب « سيرة أبى بكر ووفاته » ، وكتاب « مداعى قريش والأنصار فى القطائع ووضع عمر الدواوين وتصنيف القبائل ومراتبها وأنسابها» ، وكتاب « الجمل » ، وكتاب « صفين » ، وكتاب « مقتل الحسن » ، وكتاب «الردة » وكتاب « فتوح الشام » وكتاب « فتوح العراق » ، وكتاب أخبار مكة » ، وكتاب « ضرب الدنانير والدراهم ، وكتاب « حرب الأوس والخزرج » (٣) . وأعظم

= وكان الواقدى محققا للوقائع ، لايعتمد على مجرد النقل ، وإنما كان يمضى إلى مواضع المعارك والوقائع ليدرسها على الطبيعة ، وقد عبر عن ذلك بقوله : « ما أدركت رجلا من أبناء الصحابة وأبناء الشهداء ولا مولى لهم إلا وسألته ، هل سمعت أحدا من أهلك يخبرك عن مشهده وأين قتل ؟ فاذا أعلمنى ، مضيت إلى الموضع فأعاينه ، ولقد مضيت إلى المريسيع فنظرت اليها ، وما علمت غزاة إلا مضيت الى الموضع حتى أعاينه » (الخطيب البغدادى ، ج ٣ ص ٦)

(١) الخطيب البغدادى ، ج ٣ ص ٥ .

(٢) نشر المستشرق النمسوى فون كريمر جزءا منه فى كلكتا فى سنة ١٨٥٥/١٨٥٦م ، وأعيد نشره فى مصر سنة ١٩٤٨ .

(٣) راجع الكتب التى أوردها ابن النديم فى الفهرست ، ملحق ١ من كتاب علم التأريخ عند المسلمين ، ص ٢٧٣ — ٣١٦ .

ما كتبه الواقدى كتابه المعروف بكتاب « التاريخ الكبير » لم يقتصر فيه على غزوات الرسول ، بل أرخ لكثير من أحداث الاسلام فى العهود التالية حتى عهد خلافة هارون الرشيد ، اقتبس منه الطبرى فى كتابه «تاريخ الرسل والملوك» حتى سنة ١٧٩ هـ. وقد وصل الينا كتابه « فتوح الشام ومصر » ، وهو مخطوط محفوظ بالمتحف البريطانى، نشر فى ليدن تحت عنوان «كتاب فتوح مصر والاسكندرية المنسوب إلى المؤلف الشيخ ابى عبدالله محمد بن عمر بن واقد الواقدى المدنى» (١). كما وصلنا كتابه « فتح البهنسة وفيوم من ارض مصر » ، وهو مخطوط محفوظ بمدرسة الدراسات الشرقية والافريقية بلندن وملحق بمخطوط لتاريخ ابى الفداء ، وقد طبع هذا الكتاب بالقاهرة فى سنة ١٢٨٠ هـ تحت عنوان « فتوح البهنسا وما فيها من العجائب والغرائب وما وقع فيها للصحابة » ، كذلك وصلنا كتابه « فتوح مدينة إفريقية » المحفوظ فى المتحف البريطانى ، وفى مكتبات لندن وباريس وكامبريدج والجزائر وفاس ، ونشر فى سنة ١٣١٥هـ بمعرفة عبد الرحمن الصنادلى (٢) ، ولكن معظم ماجاء فى كتبه عن فتوح مصر فى هذه الكتب يتسم بصفة أسطورية تبعدها عما عرف من روايات الواقدى ، ويعتقد الأستاذ الدكتور سعد زغلول عبدالحميد أن روايات الواقدى بدأت فى اتخاذ شكلها الأسطورى فى وقت متأخر نسبيا بعد القرن السابع الهجرى ، والدليل على ذلك تلك

---

(١) طبع هذا الكتاب بمصر فى سنة ١٣٦٨ بعنوان فتوح الشام ، فى جزأين يتضمنان فتح الشام ومصر والعراق .

(٢) سعد زغلول عبد الحميد ، فتح العرب للمغرب بين الحقيقة التاريخية والأسطورة الشعبية ، دراسة ونقد لمخطوط « فتوح مدينة إفريقية » من مخطوطات الواقدى بالمتحف البريطانى ، مجلة كلية الأداب ، جامعة الاسكندرية ، المجلد ١٦ ، ١٩٦٢ ، الاسكندرية ١٩٦٣ ص ١ — ٤٣ .

الشخصيات التي يذكرها مخطوط فتح البهنسة مثل « سيدى أبو مدين» الذى توفى في أواخر القرن السادس الهجرى ، و « سيدى أبى الحجاج الأقصرى » المتوفى فى منتصف القرن السابع . . . ولما جانب الأثر الصوفى الشعبي المتأخر ، تأثرت الروايه التاريخية هنا بأحداث تاريخية متأخرة كانت لها آثارها العميقة فى خيال الناس . . . »(١) .

ولم يبق لنا مما يصح من كتبه إلا كتاب المغازى (٢) . الذى أشرنا إليه فيما سبق .

ب – مدرسة التاريخ في البصرة :

تتميز الدراسات التاريخية عند العرب فى بداية نشأتها بوجود اتجاهين متميزين : أحدهما دينى قوامه دراسة الحديث ومركزه المدينة ، والثانى قبلى كان استمراراً لبعض الأيام وروايات الأنساب فى الأسلوب والنظرة ، إذ تناول من الموضوعات المعارك والفتوح الاسلامية ، وكان مركز هـذا الاتجاه فى البصرة والكوفة .

وهكذا تميزت البصرة والكوفة بناحية خاصة من نواحى الدراسات التاريخية ، وهى دراسة الأحداث الاسلامية والانساب ، نتيجة طبيعية للصراع الحزبى وللاقليمية والقبلية (٣) . إلا أنه قام فى العراق مع هذا الاتجاه القبلى اتجاه آخر فى دراسة الحديث والسيرة ، وهو الاتجاه الذى اختصت به المدينة ، فوجد كتاب للسيرة والمغازى برز منهم : معمر بن راشـد اليمانى البصرى (ت ١٥٠ هـ) ،

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص ٣٧ ، ٣٨ .

(٢) أحمد أمين ، ضحى الاسلام ، ج ٢ ص ٣٣٥ .

(٣) عبد العزيز الدورى ، ص ١٢٣

وزياد البكائى (ت ١٨٣)، ومحمد بن سعد (ت ٢٣٠ هـ). وسنتحدث فيما يلى عن الأول والثالث منهم.

١ـ كتاب المغازى:

معمر بن راشد البصرى: هو أحد تلامذة الزهرى، وكان مثل العدد الأعظم من كتاب المغازى من الموالى، فذكروا أنه كان مولى للأزد، وولد بالبصرة ونشأ بها، ثم انتقل إلى اليمن، وكان معمر هذا عالما بالحديث والسير، وقد صنف كتابا فى المغازى، وصل إلينا مخطوطا، مايزال محفوظا فى استنبول (١).

محمد بن سعد: هو تلميذ الواقدى وكاتبه، وقد عرف لذلك بكاتب الواقدى، وكان مولى لبنى عبدالله بن عبيد الله بن العباس، ولد فى البصرة وعاش فيها الفترة الاولى من حياته، ثم رحل إلى المدينه ثم إلى بغداد، حيث اتصل بالواقدى. وقد حفظ لنا من كتبه كتاب «الطبقات الكبرى»، ويتألف من ثمانية أجزاء، أفرد الجزآن الأولان لسيرة النبى صلى الله عليه وسلم ومغازيه، وخصص الأجزاء الستة الأخرى لأخبار الصحابة والتابعين ورتبها وفقا للأمصار الاسلامية. وسيرة ابن سعد فى الطبقات أوفى بكثير ممن تقدمه من كتاب السيرة، إذ تتضمن كثيرا من الأخبار عن رسائل النبى وسفاراته، وتعنى ببابين جديدين هما «علامات النبوة»، «وصفة أخلاق رسول الله»، ولذلك كان كتابه أساسا لما جاء فى المصنفات المتأخرة (٢).

٢ ـ كتاب التاريخ (الاخباريون):

أبو مخنف لوط بن يحي بن سعيد الأزدى (ت ١٥٧ هـ): كان أخباريا من

---

(١) سيدة كاشف، مصادر التاريخ الاسلامى، ص ٢٩

(٢) نفس المرجع، ٣٢

أهل الكوفه ، وكان جده الأول مخنف صحابيا من أصحاب على بن أبى طالب، فورث أبو مخنف اولط من جده هذا الميل للعلويين ،وعنى أبو مخنف بكتابة الأحداث الأحداث التاريخية الهامة فى الاسلام بجانب اهتمامه بالأنساب ، فكتب عن الردة، وعن فتوح الشام ، وفتوح العراق ، وعن موقعة الجمل وعن موقعة صفين ، وعن مقتل حجر بن عدى ، وعن مقتل الحسين، وعن وفاة معاوية ، وعن نجدة الحرورى ، وعن الأزارقة الخوارج . ونستدل مما كتبه عن اهتمامه بالسياسة الحزبية . فقد عنى بالعلويين والخوارج . وقد اعتمد أبو مخنف فى كتاباته على الروايات العائلية والروايات القبلية أى الخاصة بقبيلته ، كما أفاد من الروايات الكوفية الأخرى والروايات المدنية (١) ، ولم يبق من كتبه الصحيحة إلا ما نقله الطبرى عنه (٢) .

سيف بن عمر الكوفى الأسدى التميمى (ت ١٨٠ هـ) : كان مثل معاصره أبى مخنف أخباريا كوفيا أخذ عن شيوخ الكوفة ، كما أفاد من الروايات المدنيه فى أخباره ، واعتمد فى مادته على روايات قبيلته تميم (٣) . ولذلك اتسمت أخباره فى الفتوحات ، وخاصة ما كان منها متعلقا بالعراق ، بميول واضحة المعالم لقبيلته وتعصب ظاهر لها (٤) .

وكتب سيف بن عمر فى الفتوح وفى الردة ، وتعرض فى كتاباته عن الفتوح للفتنة التى قامت بين الإمام على ومعاوية ، وخاصة وقعة الجمل ، وذكر له ابن النديم فى الفهرست كتابا عن « الجمل ومسير عائشة وعلى » ، وكتابا بعنوان : « كتاب

---

(١) الدورى ، ص ٣٥ ، ٣٦ ، ١٢٣

(٢) ضحى الاسلام ، ج ٢، ص ٣٤٢

(٣) الدورى ٣٧

(٤) أحمد أمين ، ضحى الاسلام ، ج ٢ ص ٣٤٣ — الدورى ، ص ٣٧

الفتوح الكبير والردة » (١) .

عوانة بن الحكم (ت ١٤٧ هـ) : كان أخباريا كونيا أيضا ، على دراية كبيرة بالأخبار والفتوح مع علم بالشعر والانساب ، (٢) ، ونستنتج من رواياته والتى أوردها الطبرى والبلاذرى أنه التزم موقفا حياديا من الصراع بين الأمويين والعلويين ، فلم يتعصب لفريق على فريق ، وقد تتلمذ على عوانة هذا الهيثم بن عدى والمدائنى . وصنف عوانة كتابا بعنوان : « سيرة معاوية وبنى أمية » ، ويعتقد فرانز روزنثال أنه نهج فيه منهج كتب التاريخ المرتبة على الدول (٣) .

نصر بن مزاحم (ت ٢١٢ هـ) : كان أخباريا من أهل الكوفة ، ويتميز عمن سبقه من الأخباريين بأنه كان شيعيا ، وتدور معظم كتاباته حول موضوعات لها علاقة بالشيعة مثل : « الجمل » ، « وصفين » ، « ومقتل الحسين » ، « ومقتل حجر بن عدى » و « أخبار المختار » ، وتنعكس فى هذه الرسائل ميوله العراقية والشيعية ، إذ يظهر فيها تحيزه للعلويين ضد معاوية وأنصاره ، وتتخلل كتابته فى « صفين » أشعار معظمها موضوعة ، وأسلوبه فى هذا الكتاب متأثر بأسلوب كتاب قصص أيام العرب (٤)

على بن محمد المدائنى (ت ٢٢٥ هـ) : كان أخباريا من البصرة ، ثم استوطن

---

(١) ابن النديم « الكتب التى أوردها فى الفهرست » ملحق ١ من كتاب : علم التأريخ عند المسلمين ، ص ٢٨٠ ، ٢٨٣

(٢) ياقوت ، معجم الأدباء » ج ٦ ص ٩٤

(٣) روزنثال ، علم التأريخ عند المسلمين » ص ١٢٨

(٤) الدورى ، ص ٣٨

المدائن فنسب اليها ، وكان من تلاميذ عوانة بن الحكم ، وقد أفاد فى كتاباته من روايات البصرة ومن روايات المدينه ،واعتمد فى رواياته على الأسناد ، كما أنه اتبع فى كتاباته أسلوب المحدثين فى نقد الروايات ، ولهذا السبب حظى المدائنى بثقة العلماء المعاصرين له والذين جاءوا من بعده ، وذكره الخطيب البغدادى ، فقال : «كان عالما بأيام الناس ، وأخبار العرب وأنسابهم، عالما بالفتوح والمغازى وروايه الشعر ، صدوقا فى ذلك » (١) . وكثرت تواليفه فى التاريخ الاسلامى والفتوحات ، فشغلت صفحات ست من معجم الأدباء لياقوت، وللاسف ضاعت كل هذه المصنفات ، ولم يبق منها الا نتف رواها الطبرى والمسعودى وأبو الفرج، والمبرد ،والبلاذرى .ومن بين كتبه التى ذكرها ابن النديم فى المغـــازى كتاب « المغازى » ، وكتاب « صفة النبى » ، وكتاب « أزواج النبى» ،وكتاب «الوفود»، وكتاب « أمهات النبى » ، وكتاب « أخبار المنافقين » ، وكتاب « المنافقين ومن نزل القرآن فيه منهم ومن غيرهم » ، وكتاب « رسائل النبى » ، وكتاب «صلح النبى»، وكتاب « خطب النبى » ،وكتاب « عهود النبى » ، وكتاب « سرايا النبى»،ومنها ماذكره فى الخلفاء مثل كتاب « أخبار الخلفاء » ، «وتاريخ الخلفاء » ، « وتسمية الخلفاء وكناهم وأعمارهم » ، وكتاب « مقتل عثمان » ،وكتاب «الجمل» ،وكتاب «النهروان»، وكتاب « الخوارج » ، وكتاب « خطب على وكتبه إلى عماله » ، وكتاب « مرج راهط » ، وكتاب « الردة » ، وكتاب «أخبار السفاح» ، ومنها ماذكره فى الفتوح : مثل كتاب « الردة » ، « وأمر البحرين » ، «وأمر عمان » ، وكتاب « فتوح الشام » ، وكتاب « فتوح مصر » ، « وكتاب « موادعة النوبة » ، وكتب أخرى فى فتح برقة،وفتوح الجزيرة،وأرمينية،العراق،والسواد،والبصرة،والأبلة

---

(١) الخطيب البغدادى ج ١٢ ص ٥٥

والأهواز ، وفارس ، وسجستان ، وكرمان ، ومكران ،وبابل ، والرى ،وجبال طبرستان ، وجرجان ، وخراسان .

٣ ـ كتاب الانساب:

كان للدراسات التى قام بها بعض النسابين فى الأنساب أثر كبير فى علم التاريخ ، فلقد عنى العرب بأنسابهم فى الجاهلية ، وتجددت عنايتهم بالأنساب عقب الفتوحات الاولى ،عندما أنشأ عمر بن الخطاب الديوان ،وبدأ بالعباس عم النبى، ثم ببنى هاشم، ثم بمن بعدهم طبقة بعد طبقة ، مراعيا فى ذلك الاعتبار الدينى والقبلى فى آن واحد (١) . وزاد اهتمام الأمويين بالأنساب ، ووضعت لهذا الغرض سجلات بها ، واشتدت العناية بالأنساب أيضـــا منذ أواخر العصر الاموى عندما قامت الخصومات القبلية ، ونشأت الشعوبية ، وأخذ الشعوبيون يفتشون عن مثالب العرب فى الوقت الذى كانت القبائل تبحث عن مفاخرها (٢) .

ومن أشهر نسابة العراق ،محمد بن السائب الكلبى (ت ١٤٦ هـ) ، وكان من علماء الكوفة ، اختص بدراسة الأنساب ، وورث ابنه هشام (ت ٢٠٤) منه هذا العلم ، وقد سبق أن أشرنا اليه . وظهر أيضا من كتاب الأنساب الزبير بن بكار أحد تلاميذ المدائنى ، وكان ابن بكار مدنى النشأة ولكنه عاش فى العراق فترة طويلة حتى اعتبر من أهله (٣) ، ومنهم أبو اليقظان النسابة (ت ١٩٠ هـ) الذى صنف كتبا كثيرة فى الانساب .

---

(١) ضحى الاسلام ، ج٢ ، ص ٢٤٩

(١) الدورى ، ص ٤٠

(٣) ضحى الاسلام ، ج٢ ، ص ٢٤٥

الفصل الثالث

تطور الكتابة التاريخية فى العصر الاسلامى

(١) منهج الكتابة التاريخية عند المسلمين

ا ــ التأريخ الحولى او حسب السنين

ب ــ التأريخ حسب الموضوعات

(٢) تنوع صور المادة التاريخية

ا ــ التأريخ العالمى

ب ــ التأريخ المحلى

ج ــ التأريخ المعاصر والمذكرات

الفصل الثالث

تطور الكتابة التاريخية فى العصر الإسلامى

(١)

منهج الكتابة التاريخية عند المسلمين

رأينا كيف أن المؤرخ المسلم بدأ كتابته التاريخية معتمداً على الرواية المسندة التى تتسم بثلاثة مظاهر :

١ ــ انفصال الأخبار فيما بينها واستقلالها .

٢ ــ الطابع القصصى الذى لا يخلو من الحوار .

٣ ــ الاستشهاد بالشعر .

ثم انقضى أكثر من نصف قرن على وفاة الرسول قبل أن يشرع المسلمون فى التدوين ، وأصبح المؤرخ المسلم بعد انتشار التدوين فى القرن الثانى للهجرة ، يعتمد فى كتابته التاريخية ، إلى جانب الذاكرة والحفظ ، على الكتب التاريخية التى سبقه فى كتابتها المؤرخون الأولون ، ولم يلبث المؤرخ المسلم أن تحرر تدريجيا من طريقة الإسناد التى كانت تلزم المؤرخ بأن يكون مجرد أخبارى ، أى ناقل للخبر ، إلى الكتابة المرسلة التى تعنى بالخبر فى ذاته ومناقشته ، وبينما كان الطبرى ومن سبقه من الأخباريين يهتمون اهتماما خاصا بالإسناد ، وتسلسل الرواة ، فقد ظهر فريق من المؤرخين المسلمين ابتعدوا فى كتابتهم عن طريقة الإسناد ، واكتفوا بإيراد الأخبار غير مسندة إلى أصحابها(١) ، ومن هؤلاء : اليعقوبى (ت ٢٨٤) ،

---

(١) محمد عبد الغنى حسن ، علم التأريخ عند العرب ، القاهرة ١٩٦١ ص ١٦٢

والمسعودى (ت ٣٤٦ هـ) ، وكان هؤلاء المؤرخين يكتفون بذكر مصادر مادتهم التاريخية فى مقدمات كتبهم ، مع دراستها فى بعض الأحيان دراسة نقدية كما فعل المسعودى فى مقدمة كتابه مروج الذهب ، فهو يثنى على كتابة الطبرى والصولى وقدامه بن جعفر ، ويحمل على سنان بن ثابت بن قرة الحرانى حملة عنيفة ، فيقول فى مدح الطبرى : «وأما تاريخ أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى، الزاهى على المؤلفات ، والزائد على الكتب المصنفات ، فقد جمع أنواع الأخبار ، وحوى فنون الآثار ، واشتمل على صنوف العلم ، وهو كتاب تكثر فائدته ، وتنفع عائدته ، وكيف لا يكون ذلك ومؤلفه فقيه عصره ، وناسك دهره ، إليه انتهت علوم فقهاء الامصار ، وحملة السنن والآثار »(١) . ومدح أصالة الصولى فى كتابته التاريخية فقال : « وكذلك سلك محمد بن يحيى الصولى فى كتابه المترجم بكتاب الاوراق فى أخبار الخلفاء من بنى العباس وبنى أمية ، وشعرائهم ، ووزرائهم ، فإنه ذكر غرائب لم تقع لغيره ، وأشياء تفرد بها لأنه شاهدها بنفسه ، وكان محظوظا من العلم ، ممدودا من المعرفة ، مرزوقا من التصنيف ، وحسن التأليف »(٢) . ويمدح كتابة أبى الفرج قدامة بن جعفر وأسلوبه ،فيقول: « فإنه حسن التأليف ، بارع التصنيف ، موجزا للألفاظ ، مقربا للمعانى ... » (٣) . ثم ينتقد كتابة سنان بن ثابت بن قرة الحرانى ، فيقول : « ورأيت سنان بن ثابت بن قرة الحرانى - حين انتحل ماليس من صناعته ، واستنهج ما ليس من طريقته - قد ألف كتابا جعله رسالة إلى بعض إخوانه من الكتاب ... »(٤) .

---

(١) المسعودى ، مروج الذهب ، ج ١ ص ١٥

(٢) نفس المصدر ، ج ١ ص ١٥

(٣) نفس المصدر ، ص ٦١

(٤) نفس المصدر ، ص ١٦ ، ١٧

وكما تطورت الكتابة التاريخية من حيث الطريقة ، تطورت من حيث الأسلوب، فبعد أن كان التاريخ يجمع فى معظمه فى صورة جمل قصيرة جافة لا ترتبط فيما بينها بصلة ، أصبح الأسلوب التاريخى مرسلا بسيطا وواضحا فى آن واحد ، يكاد يخلو فى معظمه من الشعر ، وكثيراً مااستخدم السجع فى الكتابة التاريخية ،على الرغم من أن التأريخ لم يكن قط فرعا من الآداب التى تشجع على استخدامه ، ومن المؤرخين الذين اشتهروا بالسجع فى كتابتهم التاريخية : العماد الأصفهانى والكاتب الأندلسى الفتح بن خاقان . فمن قول العماد الأصفهانى فى الفتح القدسى، يذكر خروج صلاح الدين بن أيوب من دمشق فى سنة ٥٨٣ لملاقاة الصليبيين فى حطين: «وبرز من دمشق يوم السبت مستهل المحرم قبل استنجاد الجنود ، واستحشاد الحشود ، واصحار الأسود ، وإحضار البيض والسود ، مضىء العز ماضى العزم ، صائب السهم ، ثاقب الفهم ، ثابت السعود ، كابت الحسود ، وخيم على قصر سلامة من بصرى ، وكفت يد رعبة الطولى من الفرنج اليد القصرى ، وأقام على ارتقاب اقتراب الحجاج ، وقد رتب الفرنج من الأرصاد أفواجا على تلك الفجاج ، لاسيما ابرنس الكرك ، فإنه كان حريصا على الدرك ، ناصبا شر الشرك ، نصب الشرك ... »(١) . ومن قول الفتح بن خاقان فى كتابه مطمح الأنفس ومسرح التأنس فى مدح جعفر المصحفى الحاجب : « تجرد العليا ، وتمرد فى طلب الدنيا ، حتى بلغ المنى ، وتسوغ ذلك الجنى ، فسما دون سابقة ، وارتقى إلى رتبة لم تكن لبيئته بمطابقة ، فالتاح فى افياء الخلافة ، وارتاح إليها بعطفه كنشوان السلافة ، واستوزره المستنصر ، وعنه قد كان يسمع وبه يبصر ،فأدرك بذلك ما أدرك ،

---

(١) العماد الأصفهانى ،الفتح القسى فى الفتح القدسى ، تحقيق الاستاذ محمد محمود صبيح ص ٥٨ .

ونصب لأمانيه الحبائل والشرك ... » (١).

وهناك مؤرخون جمعوا بين الكتابة المرسلة والعبارات المسجوعة أمثال المؤرخ الأندلسى أبو مروان حيان بن خلف المعروف بابن حيان المتوفى فى ٤٦٠ ﻫ ، الذى يستخدم العبارات المسجوعة فى بعض الأحيان ، كما يفعل عندما أشار إلى ابن باشة الذى تولى هدم قصور بنى أمية ، فيقول : « والكدر باثر وفاته ابن باشة هدام القصور ، ومبور المعمور ، وكان من التبجح فى اللؤم ، والالتحاف للشؤم ، مع دناءة الأصل والفرع وتنكب السداد ، وتقبل الفساد ، على ثبج عظيم ، بيده بادت قصور بنى أمية الرفيعة ، ودرست آثارهم البديعة ، وحطت أعلامهم المنيعة . . . » (٢).

ووجد من مؤرخى المسلمين من استخدم فى كتاباته أسلوبا بسيطا سهلا ، تجنب فيه الزخرفة اللفظية والألفاظ الدارجة ، من أمثال هؤلاء المؤرخين ابن حيان ، وابن الأثير وابن طباطبا ، وقد اهتم هؤلاء بإبراز المادة التاريخية فى عبارات قصيرة توضح المعنى المقصود فى براعة يستسيغها القارىء . فابن حيان استخدم للتعبير عن الأحداث أسلوبا سهلا واضحا خال من التعقيد ، ويتجلى ذلك فيما وصل الينا من كتابه المقتبس فى تاريخ رجال الأندلس ، وهو كتاب يجمع بين الكتابة حسب المنهج الحولى والكتابة حسب العهود ، فعندما يفتتح الحديث عن أحداث سنة ٣٦٣ ﻫ (زمن الحكم المستنصر) ، يقول : « فى يوم الاربعاء لثمان

(١) الفتح بن خاقان ، كتاب مطمح الأنفس ومسرح التأنس فى ملح أهل الأندلس ، قسطنطينة ، ١٣٠٢ ﻫ (١٨٨٤ م) ص ٤

(٢) ابن بسام الشنترينى ، الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، القسم الأول ، المجلد الثانى القاهرة ، ١٩٤٢ ، ص ١١١ — ١١٢

خلون من المحرم فاتحها ، قدم قند ، فتى الوزير القائد غالب بن عبد الرحمن ، بكتاب مولاه غالب ، يذكر ماصنعه الله لأمير المؤمنين من افتتاح مدينة البصرة التى كان انتزى فيها محمد بن حنون المخذول ، وأنه كان سار عنها فى خيله لبعض ما عن له من شؤونه ، وخلف بها خاله محمد بن عبدالسلام الذى كان ظهيرا له ، ومدبرا لشأنه ، لا يقدم امرا ولا يؤخره إلا عن رأيه ومشاورته ، وكان مشنوءا إلى أهل البلد ، فدبروا عليه عند إبعاد ابن حنون عنهم وقتلوه ، فتك به ثعبان بن أحمد البربرى البطل واحتز رأسه ،وذلك فى يوم الجمعة لثلاث خلون من المحرم منها ... »(١) .

أما ابن الأثير ، فينفرد عن غيره من المؤرخين بأسلوب بسيط واضح لا يجاريه فيه أحد ممن كتب قبله أو بعده ، وكثيرا ما يدخل فى كتاباته عبارات أقرب إلى الأمثال(٢). مثل قوله عندما حاصر الصليبيون دمياط فى سنة ٥٦٥ وأخفقوا فى حملتهم عليها ، فيسخر منهم ابن الأثير بقوله : « هذا موضع المثل ، ذهبت النعامة تطلب قرنين ، فعادت بلا أذنين »(٣) .

---

(١) ابن حيان ، المقتبس فى أخبار بلد الاندلس ، تحقيق الاستاذ عبدالرحمن على الحجى ، بيروت ، ١٩٦٥ ، ص ١٤١ ، ١٤٢

(٢) عبد القادر طليمات ، المؤرخ ابن الأثير ،(رسالته المقدمة لنيل درجة الدكتوراه) ، ص ٢٢١ .

(٣) ابن الأثير ، التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ، تحقيق عبد القادر طليمات ، القاهرة ، ١٩٦٣ ص ١٤٤ .

أما ابن طباطبا ، فقد التزم أسلوبا خاصا به لم يتقيد فيه بروايات المؤرخين أو الأخباريين السابقين عليه ، فهو يعرض مادته الخبرية فى وضوح وبساطة وإيجاز ، ويتجلى ذلك فى قوله عندما تعرض لترجمة يزيد بن معاوية : « كان موفر الرغبة فى اللهو والقنص والخمر والنساء والشعر . وكان فصيحا كريما شاعرا مفلقا ، قالوا بدىء الشعر بملك وختم بملك إشارة إلى امرىء القيس وإليه » ثم يذكر أهم الأحداث فى عصر يزيد ، وهما حادثان : مقتل الحسين وموقعة الحرة ، وفى مقتل الحسين يقول : « هذه قضية لا أحب بسط القول فيها استعظاما لها واستفظاعا ، فإنها قضية لم يجر فى الإسلام أعظم فحشاً منها ، ولعمرى إن قتل أمير المؤمنين عليه السلام هو الطامة الكبرى . ولكن هذه القضية جرى فيها من القتل الشنيع والسبى والتمثيل ما تقشعر له الجلود . واكتفيت أيضا عن بسط القول فيها بشهرتها فإنها أشهر الطامات . فلعن الله كل من باشرها وأمر بها ورضى بشىء منها .. وجملة ماجرى فى ذلك أن يزيد ، لعنه الله ، لما بويع لم يكن له هم إلا تحصيل بيعة الحسين رضى الله عنه ، والنفر الذى حذره أبوه منهم ، فأرسل إلى الوليد بن عتبة بن أبى سفيان ، وهو يومئذ أمير المدينة ، يأمره بأخذ البيعة عليهم . فاستدعاهم ، لحضر الحسين ، عليه السلام ، عنده ، فأخبره بموت معاويه ، رضى الله عنه ، ودعاه إلى البيعة ، فقال له الحسين عليه السلام : مثلى لا يبايع سرا ولكن إذا اجتمع الناس نظرنا ونظرت . ثم خرج الحسين ، عليه السلام ، من عنده ، وجمع أصحابه وخرج من المدينة قاصدا مكة ، متأبيا من بيعة يزيد ، آنفا من الانخراط فى زمرة رعيته .

فلما استقر بمكة اتصل بأهل الكوفة تأبيه من بيعة يزيد ، وكانوا يكرهون بنى أمية ، خصوصا يزيد لقبح سيرته ، ومجاهرته بالمعاصى ، واشتهاره بالقبائح ،

فراسلوا الحسين عليه السلام ، وكتبوا اليه الكتب يدعونه إلى قدوم الكوفة ، ويبذلون له النصرة على بنى أمية ... » (١) .

ثم غزت الكتابة التاريخية فى العصور المتأخرة ألفاظ أعجمية وعامية ، فشاعت فى كتابات المؤرخين المتأخرين فى القرنين التاسع والعاشر الهجريين أساليب عامية ، ومن هؤلاء المؤرخين ابن إياس فى كتابه « بدائع الزهور فى وقائع الدهور » ، وأبو المحاسن بن تغرى بردى فى كتابه « النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة » ، وابن الفرات فى كتابه « تاريخ الدول والملوك » . فابن اياس (ت ٩٣٠ هـ) يكثر من الألفاظ الدارجة مثل : « وكان فى تلك الأيام ديوان المفرد وديوان الدولة وديوان الخاص فى غاية الانشحات » (٢) ، ومثل « وكان السلطان مخصتكا فى جسده » (٣) (أى عليلا) ، ومثل « وقيل إن جانى بيك لما رأى أن الأمير طومان باى الدوادار محطا عليه سأل السلطان وباس رجله بأن يعفيه من التحدث » (٤) ، وقوله : « وكان السلطان من حين بلغه أن الفرنج تزايد عبثهم فى البحر الملح وطفشت به مراكب الفرنج » (٥) ، ومثل : « وتنكد السلطان » (٦)

---

(١) محمد بن على بن طباطبا ، كتاب الفخرى فى الآداب السلطانية ، بيروت ١٩٦٠ ص ١١٣ ، ١١٤ .

(٢) ابن إياس ، بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، تحقيق الدكتور محمد مصطفى ، ج ٤ القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٣٥٩

(٣) نفس المصدر ، ص ٣٧٢

(٤) نفس المصدر ، ص ٣٨٠

(٥) نفس المصدر ، ص ٤٥٨

(٦) نفس المصدر ، ص ٤٦٣

ومثل قوله : « وغالب الرعية بحلب وغيرها من ظلم النواب وجورهم بيميلوا إلى ابن عثمان »(١).

كذلك أكثر ابن الفرات (ت ٩٠٧) من استخدام الالفاظ الدارجة ، مثل ذلك قوله : « فنزل السالمى عن فرسه ومسك كم العبادى وقال له أنا وإنت إلى عند الشرع الشريف عند من تختاره من القضاة ، فقال العبادى أنا ما أروح إلا عند السلطان . . . فقال له السلطان ايش هذا الذى جرى لك يا يلبغا كفروك . . . »(٢) ، ومثل قوله : « ودخل بهما إلى عند السلطان فتحدث السلطان معهم كلام كثير وباس الأمير علاء الدين (٣) ».

* * *

ولقد سلك المؤرخون العرب فى كتاباتهم التاريخية منهجين ، الأول التاريخ الحولى أو التأريخ حسب السنين ، والثانى : التأريخ حسب الموضوعات :

١ - التأريخ الحولى أو حسب السنين :

وجد من المؤرخين المسلمين من أرخ للاحداث سنة بعد سنة ، فكانت مختلف الحوادث تجمع فى كل سنة ، وتربط فيما بينها بكلمه « وفيها » ، فإذا انتهت حوادث السنة الواحدة ، انتقل المؤرخ إلى حوادث السنة التالية ، فيستخدم الجملة الآتية : « ثم دخلت سنة كذا » أو « ثم جاء فى سنة كذا ».

---

(١) نفس المصدر ، ص ٣٦٤

(٢) ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، تحقيق الدكتور قسطنطين زريق ، مجلد ٩ ج ٢ ، بيروت ١٩٣٨ ص ٤٠٨

(٣) نفس المصدر ، ص ٤٣٦

وعيب هذا المنهج التأريخي أنه يمزق سياق الحادثة التاريخية الطويلة ، التي تتواصل وتمتد إلى عدد من السنين ، فلا يذكر المؤرخ الذي يتبع المنهج الحولي منها إلا ما يخص حوادث السنة التي يجمع كل أحداثها ، فإذا كان لهذه الحادثة بقية في سنة ثانية وثالثة ، ذكرها متفرقة ممزقة ، في جملة أحداث كل سنة . ولقد انتقد المؤرخ الكبير علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري والملقب بعز الدين (٥٥٥ — ٦٣٠ ﻫ) هذا المنهج ، فيقول: « ورأيتهم (١) أيضا يذكرون الحادثة الواحدة في سنين ، ويذكرون منها في كل شهر أشياء ، فتأتي الحادثة مقطعة ، لا يحصل منها على غرض ، ولا تفهم إلا بعد إمعان نظر ، فجمعت أنا الحادثة في موضع واحد ، وذكرت كل شيء منها في أي شهر أو سنة كانت ، فأتت متناسقة متتابعة ، قد أخذ بعضها برقاب بعض، وذكرت في كل سنة ، لكل حادثة كبيرة مشهورة ترجمة تخصها . فأما الحوادث الصغيرة التي لا يحتمل منها كل شيء ترجمة ، فإنني أفردت لجميعها ترجمة واحدة في آخر كل سنة فأقول: ذكر عدة حوادث . وإذا ذكرت بعض من تبع وملك في قطر من البلاد ولم تطل أيامه ، فإني أذكر جميع حاله من أوله إلى آخره عند ابتداء أمره لأنه إذا تفرق خبره لم يعرف للجهل به ، وذكرت في آخر كل سنة من توفي فيها من مشهوري العلماء والأعيان والفضلاء ، وضبطت الاسماء المشتبهة المؤتلفة في الخط ، المختلفة في اللفظ ، الواردة فيه بالحروف ضبطا يزيل الاشكال ، ويغني ويغني عن الانقاط والأشكال » (٢) .

---

(١) يقصد من كتب على المنهج الحولي ، أمثال الطبري وابن القلانسي .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ص ٥ ، ٦

وقد حاول ابن الأثير بقدر ما استطاع من جهد أن يتجنب الوقوع فى العيب الذى أوضحه فى الكتابة على المنهج الحولى ، فجمع عناصر الحادثة ، التى تتصل إلى عدد من السنين ، ويصل بين أجزائها فى سنة معينة وفى موضع واحد حتى تبرز القيمة الخبرية للحادثة ،وتتتابع عناصرها بانتظام وترابط يستسيغه القارىء فيستوعب الموضوع فى سهولة ويسر ، ولكنه مع ذلك لم يستطع فى جميع الأحوال أن يطبق هذه الطريقة دائما ، مثل ثورة الزنج التى دامت أحداثها ما يقرب من ١٤ سنة ، فقد وردت أخبارها فى الكامل ممزقة على السنين ، على النحو الذى عرضها الطبرى فى كتابه تاريخ الرسل والملوك (١).

وقد يسر ابن الأثير أيضا مهمة القارىء ، إذ وضع للأحداث عناوين تعلن عن مضمونها ، فى حين وضع كل مجموعة من المجموعات الصغار التى وقعت فى السنة الواحدة تحت عنوان « ذكر عدة حوادث » ، يختتمها بترجمة أشهر الوفيات فى السنة المذكورة .

كذلك انتقد الكاتب الكبير شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى (ت ٧٣٢ هـ) فى مقدمة القسم الخامس من كتابه « نهاية الأرب فى فنون الأدب» هذه الطريقة الحولية ، للعيوب نفسها ، وآثر الكتابة حسب الموضوعات ،فكتب فى تاريخ الدول دولة دولة ، فلا ينتقل من الحديث عن تاريخ دولة إلا إذا انتهى من عرض تاريخ الدولة السابقة ، متبعا فى نفس الوقت المنهج الحولى فى ذكر أحداثها وفى ذلك يقول : «ولما رأيت غالب من أرخ فى الملة الاسلامية وضع التاريخ على حكم السنين ومساقها ، لا الدول واتساقها ، علمت أن ذلك ربما قطع على المطالع

---

(١) عبد القادر طليمات ، المؤرخ ابن الاثير ، ص ٥٣

لذة واقعة استجلاها ، وقضية استجلاها ، فانقضت أخبار السنة ولا استوعب تكملة فصولها ، ولا انتهى إلى جلتها وتفصيلها ، وانتقل المؤرخ بدخول السنة التي تليها من تلك الوقائع وأخبارها ، والممالك وآثارها ، والدولة وسيرها ، والحالة وخبرها ، فتنقل من الشرق إلى الغرب ، وعدل عن السلم إلى الحرب ، وعطف من الجنوب إلى الشمال ، وتحول من البكر إلى الآصال ، وقد يجول به خيل الاستطراد فيبعد ، وتحول بينه وبين مقصده السنون ، فيغور تارة وتارة ينجد ، فلا يرجع المطالع إلى ما كان قد أهمه إلا بعد مشقة ، وقد يعدل عنه إذا طالت المسافة وبعدت عليه الشقة . فاخترت أن أقيم التاريخ دولا ، ولا أبغي عن دولة إذا شرعت فيها حولا ، حتى أسردها من أوائلها إلى أواخرها ، وأذكر جملا من وقائعها ومآثرها ، وسياقة أخبار ملوكها ، ونظم عقود سلوكها ، ومقر ممالكها وتشعب مسالكها ، فإذا مضت مدتها وانقرضت عدتها ، وانتقلت من العين إلى الأثر ، ومن العيان إلى الخبر ، رجعت إلى غيرها ، فقفوت أثرها ، وشرحت خبرها . . . » (١) . ونستدل من مقدمة كتابه على أنه قسم التاريخ الاسلامي إلى دول ، فتحدث عن السيرة النبوية ، وأخبار الخلفاء ، وأخبار الدولة الأموية ، والعباسية ، والعلوية ، ودول ملوك الاسلام المستقلة بالملك في عصر الدولة العباسية (الدول المنقطعة) (٢) . . .

والطبري ، عمدة مؤرخي العرب ، هو أول مؤرخ وصلنا إنتاجه التاريخي مرتبا على السنين ، منذ بداية التاريخ الهجري حتى سنة ٣٠٢ هـ . والطبري ينسب إلى طبرستان ، إذ ولد ببلدة آمل من طبرستان الواقعة عند الساحل الجنوبي من بحر

---

(١) محمد عبد الغني حسن ، علم التاريخ عند العرب ، (عن النويري) ص ١٧٦

(٢) راجع مقدمة النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، السفر الاول (مجموعة تراثنا) ، ص ١٨ ، ٢٥ .

طبرستان (قزوين) ، فى سنة ٢٢٤ ه . ورحل من صغره لتلقى العلم من مسقط رأسه إلى الرى ، فأخذ على شيوخ هذه المدينة ، ودرس فقه العراق ، ثم مضى إلى بغداد ، وسمع عن علمائها ، وانتقل منها بعد ذلك إلى الكوفة . وأخذ يتنقل بين مراكز العلم فى المشرق الاسلامى سعيا وراء تحصيله ، فرحل إلى الشام ، وأطال المقام فى بيروت ، ثم رحل إلى مصر ، ولقى بها أبا الحسن السراج المصرى ، وأخذ الفقه الشافعى عن الربيع والمزنى وأبناء عبد الحكم (١) . كما أخذ عن يونس ابن عبد الأعلى الصيرفى قراءة حمزة وورش . وعاد إلى بغداد وعاش فيها بقية عمره حتى توفى فى سنة ٣١٠ه. وقد ذاعت شهرة الطبرى بتفسيره للقرآن الكريم المعروف بتفسير الطبرى، وبكتابه التاريخى العظيم «تاريخ الرسل والملوك» المعروف أيضا بتاريخ الامم والملوك، وهو أقدم مصدر كامل للتأريخ العربى، بدأه بالخليقة وانتهى فيه إلى سنة ٣٠٢ه، ورتب حوادثه وفقا للمنهج الحولى. وقد اتبع الطبرى فى روايته للأخبار والحوادث طريقة الإسناد، أى إسناد الرواية إلى سلسلة من الرواة توثيقا للأخبار التى يرويها ، فلقد كانت نظرة الطبرى إلى التاريخ متأثرة إلى حد كبير بدراسته الأولى وثقافته كمحدث وكفقيه (٢) ، ولذلك كانت قيمة الروايات تعتمد فى نظره على قوة أسانيدها ، وكلما كان الإسناد فى أوله قريبا من الحادثة كان ذلك مدعاة لصحتها ، غير أن الطبرى لم يكن يفضل رواية على رواية ، وإنما كان يكتفى بعرض الروايات ، فيقف بذلك موقفا حياديا (٣) . ولعل اعتماد الطبرى على

---

(١) الطبرى، تاريخ الرسل والملوك ، مقدمة الاستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ، مجموعة ذخائر العرب، القاهرة ١٩٦٠ ، ج ١ ص ٥ — ١٠ — أحمد محمد الحوفى ، الطبري ، سلسلة أعلام العرب ، القاهرة ١٩٦٣ ص ٣٦ - ٤١

(٢) الدورى ، نشأة علم التأريخ عند المسلمين ، ص ٥٥

(٣) الدورى ، ص ٥٦ ، يشبه الطبرى فى هذا من سبقه من المؤرخين أمثال عبد الرحمن بن عبد الحكم (ت٢٥٧ه) الذى كان يعتمد فى رواياته التاريخية على الاسانيد =

الإسناد كان سببا فى وفرة مصادره ، وكان لذلك أعظم الأثر فى اعتماد من جاء بعده من المؤرخين عليه ، أمثال : مسكويه ، وابن الأثير، والذهبي .

ويشك روزنثال فى أن الطبرى هو أول من طبق الصورة الحولية على الكتابة التاريخية ، وذلك لكبر حجم كتابه من جهة ، ثم لأنه يستند فى ذلك على أنه وصلتنا أخبار تشير الى استعمال المؤرخين الأول لصورة الحوليات قبل الطبرى(١)، من ذلك أبو عيسى بن المنجم (ت ٢٧٩ هـ) الذى كتب قبل الطبرى كتابا فى «تاريخ سنى العالم» لعل حوادثه كما هو واضح من عنوانه كانت مرتبة حسب السنين ، ومنهم محمد بن يزداد الذى صنف ، حسبما يذكر ابن النديم ، كتابا أكمله ابنه عبد الله إلى سنة ٣٠٠ هـ ، مما يدل على أن كتاب محمد بن يزداد كان يتبع منهج التاريخ الحولى . كذلك يستند الأستاذ روزنثال فى رأيه على أن تاريخ حمزة الاصفهانى وتاريخ إلياس النصيبى يتضمنان مقتطفات مقتبسة من تاريخ محمد بن موسى الخوارزمى الذى عاش فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى ، تدل على أن كتاب الخوارزمى كان مرتبا على حسب السنين (٢) .

ومما يدل على أن الطبرى لم يكن أول من كتب الحوليات، أن الهيثم بن عدى (ت ٢٠٦ هـ) الف كتابا فى التاريخ على المنهج الحولى بعنوان «كتاب التاريخ على

= الكاملة ، حرصا على بيان رواتها ، وأمانة فى النقل، دون أن يعنى بنقدها ، وكذلك يشبه الطبرى مؤرخا آخر سبقه فى الكتابة التاريخية هو أحمد بن جابر البلاذرى (ت ٢٧٩ هـ) الذى تأثر بدوره بما دونه الواقدى والمدائنى وغيرهما فى الفتوح (راجع السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ج ٢، الاسكندرية ١٩٦٦ ، ص ٩٣ — ٩٦)

(١) روزنثال ، ص ١٠٢ وما يليها

(٢) نفس المرجع ، ص ١٠٤

السنين » (١) ، وهو أمر يشير إلى أن الكتابة التاريخية على المنهج الحولى كانت معروفة فى العراق فى النصف الثانى من القرن الثانى للهجرة (٢) . كذلك ورد فى الفهرست لابن النديم أن جعفر بن محمد بن الأزهر (ت ٢٧٦) ألف كتابا فى التاريخ مرتبا على السنين .

وقد اتبع طريقة المنهج الحولى بعد الطبرى عدد كبير من مؤرخى المسلمين ، نخص بالذكر منهم مسكويه وابن الجوزى وابن الأثير وأبو الفداء والذهبى .

وفكرة الكتابة التاريخية على النهج الحولى أو وفقا للسنين ليست فى رأى روزنثال ابتكارا لمؤرخى العرب ، فلقد كانت الكتابة التاريخية على طريقة الحوليات — فى رأيه — معروفة فى الكتب الإغريقية . وكانت الحوليات الإغريقية وقت ظهور الاسلام تتشابه كثيراً مع الحوليات الاسلامية المتأخرة . ويرى الاستاذ روزنثال إن الحوليات الإغريقية تتمثل فيما كتبه إيونيس ملالاس ، كما يتمثل المنهج الحولى فى الأدب السريانى فيما كتبه يعقوب الرهاوى (من القرن الاول الهجرى) ، وفكرة الكتابة التاريخية على المنهج الحولى انتقلت على هذا النحو إلى مؤرخى العرب الأولين عن طريق اتصالهم بأولى العلم من السريان المسيحيين أولا ، ثم عن طريق رجوعهم إلى المصادر الإغريقية الأصلية مباشرة (٣) . ويرى روزنثال انه ليس من الضرورى ان يكون هناك كتابا معينا أوحى بفكرة المنهج الحولى إلى المؤرخين العرب ، لان هذه الفكرة من السهل انتقالها بمجرد اطلاع

---

(١) روزنثال ، ملحق ١ ص ٢٧٤ — الدورى ، ص ٤٢

(٢) نفس المرجع ، ص ١٠٥

(٣) أوليرى ، مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ، ترجمة دكتور تمام حسان ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ٣

سطحى على تاريخ مكتوب على السنين ، او من مجرد مناقشة عرضية بين مؤرخ نصرانى ومؤرخ مسلم ، ولقد كان احتكاك العرب المسلمين بالنصارى فى المجال الثقافى قوياً بوجه خاص فى سوريه ، إذ كانوا يعيشون معاً مرتبطين فيما بينهم بروابط اجتماعية وثيقة .

وخلاصة القول أن مؤرخى العرب — فى اعتقاد روزنثال — قد استلهموا طريقة التأريخ الحولى من مؤرخى الإغريق والسريان ، على الرغم من أن الكتابة السريانية أو الإغريقية لم يكن لها تأثير على مؤرخى العرب ، وأن ما اقتبسه العرب منهم يقتصر على علوم الفلسفة والرياضيات والفلك والجغرافية والكيميا والطب والحشائش والعقاقير(١) . ثم أبدع العرب فى هذه الطريقة ، وطوروها، وتقدموا بها تقدما أبعدها عن مصدرها الأصلى ، وساعدهم على سهوله عرض المادة التاريخية استمرار العهود الإسلامية وتواصلها(٢) ، وتفاعل العرب الغالبين مع الشعوب المغلوبة . ومع ذلك فالأستاذ روزنثال يشك فى الاعتقاد بوجود صلات متينة بين علم التاريخ الإغريقى — السريانى ، وعلم التاريخ العربى الإسلامى ، ونشك فى أن التأريخ العربى القائم على المنهج الحولى عرفه العرب عن طريق مباشر من كتب التأريخ الإغريقية مثل كتاب يوزيبيوس(٢٦٥—٣٤٠م) لأن كتاب يوزيبيوس الذى عرفه بعض مؤرخى العرب عن طريق السريان والوسطاء المسيحيين لا علاقة له بالنظام الحولى فى التأريخ الاسلامى(٣) .

ولا يشك الأستاذ عبد الحميد العبادى فى أن توقيت الأحداث بالسنين

---

(١) نفس المرجع .

(٢) روزنثال ، ص ١١٠

(٣) نفس المرجع ، ص ١١٢

والشهور والأيام ضابط انفرد به مؤرخو المسلمين عن نظرائهم من اليونان والرومان وأوربا فى العصور الوسطى(١). وتؤكد الدكتورة سيدة كاشف أن الكتابة التاريخيه السريانية لم يكن لها قط تأثير على المؤرخين المسلمين على الرغم من قيام مدارسهم فى الرها ونصيبين وجنديسابور بممارسة نشاطها العلمى فى الترجمة عن الإغريق، وتذكر الأستاذة الدكتورة أن التأثير الأجنبي الذى نلمسه عند بعض المؤرخين والمسلمين القدماء إنما كان فى كتب التاريخ الفارسية فيما يختص بالتاريخ الإيرانى القديم(٢).

* * *

ثم طرأ تطور على كتابة التأريخ الحولى فى العصور الإسلامية المتأخرة، وذلك عندما أحس المؤرخون فى هذه العصور بحاجتهم إلى ترتيب إضافى للمادة التاريخية، التى كانت تزيد يوما بعد يوم، فى وحدات زمنية أوسع، فأدخل مؤرخ الاسلام الحافظ أبو عبد الله محمد بن احمد الذهبى (٦٧٣ — ٧٤٨ هـ) فى كتابه الكبير «تاريخ الإسلام» الذى يتألف من ٢١ مجلداً ضخماً، والذى بدأ به التاريخ الإسلامى حتى بداية القرن الثامن الهجرى، تقسيما فرعياً للحوادث متبعاً نظام العقود، أى من السنة الأولى إلى السنة العاشرة هـ، وهكذا . . . . . ، وطبق هذا التقسيم إلى عقود على كل أجزاء كتابه. غير أن التقسيم إلى عقود فى تاريخ الذهبى إنما استمد أصوله من تاريخ السيرة، والذهبى فى ذلك يربط بين تاريخه وبين آداب الطبقات والتراجم(٣).

---

(١) هرنشو، علم التأريخ، ص ٦٧

(٢) سيدة كاشف، مصادر التاريخ الاسلامى، ص ٩٠

(٣) روزنتال، ص ١٢١

كذلك ترجع أصول التقسيم حسب القرون إلى كتب الطبقات والتراجم ، ككتاب « الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة » للفوطى ، وكتاب « الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة » لابن حجر العسقلانى ، وكتاب « الضوء اللامع فى رجال القرن التاسع » للسخاوى ، وكتاب « النور السافر فى أخبار القرن العاشر » لابن العيدروس ، و« الكواكب السائرة فى أعيان المائه العاشرة» للغزى ، وكتاب « نخبة الزمن فى أعيان القرن الحادى عشر » للمحبى ، وكتاب « نزهة الحادى بأخبار ملوك القرن الحادى » لمحمد الصغير (وهو كتاب محلى عن المغرب) .

وهذه الكتب إما مرتبة حسب السنين كالتجارب النافعة للفوطى ، أو مرتبة حسب حروف الهجاء كالدرر الكامنة لابن حجر .

ب - التأريخ حسب الموضوعات :

وهى التزام المؤرخ طريقة التأريخ إما للدول أو لعهود الخلفاء والحكام ، وإما للسير أو للطبقات ، فالكتابة حسب هذا المنهج قوامها الأشخاص ، وأعنى بهم أشخاص الخلفاء أو الحكام ، بخلاف المنهج السابق القائم على ترتيب السنين .

١ - التأريخ للدول : وجد فريق من مؤرخى العرب كان يؤثر الكتابة التاريخية على حسب الأسرات الحاكمة أو الدول أو العهود ، فنجد بعضهم يكتب فى تأريخ الدول والأسرات الحاكمة مثل ابو حنيفة الدينورى فى « الأخبار الطوال » ، وأبو شامة فى « الروضتين فى أخبار الدولتين » ، وابن واصل فى « مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب » ، وأبو بكر الصدفى فى « الأنوار الجلية فى أخبار الدولة المرابطية » ، ولسان الدين بن الخطيب فى « اللمحة البدرية فى الدولة النصرية » ، وأبو

الوليد إسماعيل بن الأحمر فى «روضة النسرين فى دولة بنى مرين» ، وابن خلدون فى كتابه الكبير «العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر» .

كذلك نجد بعضهم يكتب فى تاريخ الخلفاء والملوك والسلاطين مثل : البلوى فى سيرته لأحمد بن طولون ، وابن الداية فى سيرة أحمد بن طولون ، وابن زولاق فى سيرة الأخشيد ، والصولى فى أخبار الراضى والمتقى بالله ، وابن شداد فى سيرة صلاح الدين ، والبيذق فى أخبار المهدى بن تومرت ، ومحى الدين بن عبد الظاهر فى «تشريف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور» ، وبدر الدين العينى فى «الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر» (ططر) ، «والسيف المهند فى سيرة الملك المؤيد» ، والسيوطى فى «تاريخ الخلفاء» ، والمقريزى فى «اتعاظ الحنفاء بذكر الأئمة الخلفاء» .

ويتميز هذا النظام فى الكتابة التأريخية بالاهتمام الخاص بالمسائل الأخلاقية والادارية ، الذى كان مظهراً من مظاهر أثر التأريخ القومى الفارسى فى مؤرخى العرب القدامى ، فلقد كان التاريخ الفارسى يطبق طريقة تقسيم المادة التاريخيه حسب عهود الحكام ، وكان مؤرخو الفرس يرون أن أخلاق الحاكم والإدارة السياسية فى عهده أهم عناصر التاريخ ، ولذلك يمكننا إرجاع منهج الكتابة التاريخيه على حسب تاريخ الدول إلى أصول فارسيه(١) .

ومن اقدم المؤرخين المسلمين الذين كتبوا فى الدول وفى العهود : أحمد بن أبى يعقوب بن واضح المعروف باليعقوبى (٢٨٤ هـ) ، وكان معاصرا للطبرى ، وكان

---

(١) روزنثال ، ص ١٢٦ — سيدة كاشف ، ص ٥٠ .

اليعقوبى مؤرخا ورحالة(١) فى آن واحد ، وكتابه فى التاريخ يتألف من جزءين:

الأول : فى التاريخ القديم ، عبر فيه عن فكرة التاريخ العالمى فى العصر السابق على الاسلام وفى التاريخ الاسلامى حتى سنة ٢٥٩ هـ ، متتبعا فى كتابته التسلسل التاريخى للاحداث ، ويبدأ فى هذا الجزء بالخليقة وتاريخ الأنبياء وتاريخ الفرس القديم ، وتاريخ العرب فى الجاهلية ، وتاريخ البابليين والآشوريين والهنود واليونان والروم وتاريخ المصريين والبربر والأحباش والزنوج والترك والصينيين(٢) . والأثر الجغرافى واضح فى كتابته عن هذه الشعوب بحكم كونه رحالة ومؤرخا فى آن واحد .

والثانى : أفرده للتأريخ الاسلامى ، رتبه حسب الخلفاء مع مراعاة تسلسل الأحداث على السنين فبدأه بمولد الرسول ومغازيه حتى وفاته . ثم تتبع تاريخ الخلفاء حتى المعتمد العباسى .

وقد تأثر المسعودى (٣٤٦ هـ) فى كتابته بكتابة اليعقوبى ، فقد جمع الحوادث التاريخية تحت رؤوس موضوعات تتعلق بالشعوب أو الأسرات والدول والحكام ، وكتابه مروج الذهب شأنه فى ذلك شأن تاريخ اليعقوبى يجمع بين التأريخ حسب الموضوعات المختلفه كتاريخ الهنود والفرس والروم واليهود والصينيين والعرب والأتراك فى العصور القديمة ، وبين التأريخ حسب الدول والحكام .

وكان معظم مؤرخى العرب الذين اتبعوا هذا المنهج فى الكتابة التاريخية أمثال

---

(١) يتجلى ذلك كتابه « البلدان » الذى نشره دى غويه مع كتاب « الأعلاق النفيسة » لابن رسته ، فى الجزء السابع من المكتبة الجغرافية العربية ، ليدن ١٨٩٢ .

(٢) الدورى ، نشأة علم التاريخ عند العرب ، ص ٥١

ابن عذارى المراكشى فى «البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب»، وابن قتيبه الدينورى فى «كتاب المعارف»، واليعقوبى فى تاريخه المرسوم باسمه، يضيفون قبل المضى فى دراستهم لشخصية الحاكم أو الخليفة موضوع الدراسة، الصفات الخلقية والمعنوية له، ويذكرون أيضا صفاته الجسمانية، وأحيانا يوردون قوائم بأسماء أولاده ونسائه وموظفيه، وبعضهم يضيف إلى ذلك قوائم بأسماء القضاة والوزراء والكتاب والعلماء والشعراء المعاصرين لهذا الحاكم. فابن عذارى عندما يكتب عن قيام دولة بنى أمية فى الاندلس وإمارة عبد الرحمن بن معاوية يحدثنا عن نسبه وكنيته، ويذكر اسم أمه، وتاريخ مولده والبلدة التى ولد فيها، وتاريخ وفاته وتاريخ مبايعته بالامارة، ويذكر اسماء وزرائه وعددهم وأسماء حجابه وقضاته، ويصفه ثم يذكر عدد أولاده(١). وابن قتيبة عندما يترجم للصحابة، يهتم بذكر أنسابهم وصفاتهم ويحصى عدد أولادهم ويذكر أسماءهم كما يذكر أسماء مواليهم(٢)

ومن أوائل المؤرخين المسلمين الذين كتبوا عن الدول والعهود، ابن قتيبة الدينورى، (ت ٢٧٠ هـ)، وكتابه المعارف مثل من أمثلة الكتابة التاريخية العالمية. يبدأ فيه ببدء الخليقة وينتهى بأيام المعتصم، اما كتابه «الأخبار الطوال» فهو مثل آخر من أمثلة التاريخ العام العالمى، وقد عالج فى القسم السابق على الاسلام تاريخ الفرس والروم والعرب.

---

(١) ابن عذارى، البيان المغرب فى أخبار المغرب، ج ٢، أخبار الأندلس، بيروت ١٩٥٠، ص ٧١

(٢) ابن قتيبه، المعارف، القاهرة ١٣٠٠ هـ: راجع ترجمة الزبير بن العوام، ص ٧٤ ومايليها وترجمة طلحة بن عبيد الله، ص ٧٧، وترجمة عبد الرحمن بن عوف، ص ٨٠، وترجمة سعد بن أبى وقاص، ص ٨٢، وترجمة سعيد بن زيد، ص ٨٣ ... إلى آخره.

٢ ـ التأريخ حسب الطبقات : التأريخ حسب الطبقات إسلامى اصيل ، لم تكن له علاقة فى الأصل بطريقه التأريخ حسب السنين ، لأن تقسيم الطبقات جاء نتيجة طبيعية لفكرة «صحابة رسول الله» ، ولذلك ارتبط التأريخ حسب الطبقات بعلم الحديث ارتباطاً وثيقاً ، كما ارتبط بالعلوم الدينيه . فطبقات ابن سعد ، لاتعدو ان تكون تراجم لشخصيات محدثة هامة . وطبقات الشافعية لتاج الدين السبكى ، وطبقات الصوفية للسلمى ، وطبقات الحنابلة لابن يعلى ، والطبقات الكبرى للشعرانى ، تراجم لشخصيات فقهية .

ثم استخدمت الكتابة فى الطبقات فى ميادين غير دينية مثل : طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ، وطبقات الشعراء لابن المعتز ، وطبقات النحويين للزبيرى ، وغير ذلك من الطبقات التى سنوردها عند دراستنا لكتب الطبقات فى المصادر .

٣ ـ التأريخ حسب الانساب : أصبح للقرشيين وللعلويين ولأبناء الصحابة الاولين مكانة كبيرة فى الاسلام ، فظهروا فى صورة ارستقراطية عربية فى الاسلام ، وساعد ذلك على الاهتمام بدراسة الانساب ، وخاصة بنسب قريش ، فظهر من النسابين فريق اهتم باحصاء فضائل قريش ، وذكر مزاياهم ومآثرهم ، وأقدمهم مصعب الزبيرى (ت ٢٢٣) الذى صنف كتابين : احدهما بعنوان «النسب الكبير» والثانى بعنوان «نسب قريش» وصلنا منهما الكتاب الثانى (١) ، ويليه فى طبقات النسابة لقريش الزبير بن بكار (ت ٢٥٩) وهو من نسل عبدالله ابن الزبير ، وقد صنف فى الانساب كتاباً بعنوان «نسب القرشيين» فى مجلدين ،

---

(١) المصعب بن عبدالله الزبيرى ، نسب قريش ، تحقيق ليفى بروفنسال ، القاهرة ١٩٥٣

م البلاذرى (ت ٢٧٩) الذى الف كتاباً بعنوان « أنساب الاشراف » وهو كتاب عنى فيه بدراسة نبلاء العرب أى الخاص منهم ومن كان يفرض له فى بيت المال الف درهم اوالفان وخمسمائة(١) ، خص فيه نسب قريش باهتمام بالغ فلا ينتهى من نسب قريش إلا فى المجلد العاشر من مجموع مجلداته وعددها ١٢ مجلداً .

ولقد وجدت الكتابه فى الانساب فى المغرب الاسلامى والاندلس ارضاً خصبه ، وكان علم الانساب يشغل فى بلاد الاندلس مكانة عظمى ربما فاقت مكانة بقيه العلوم الاسلامية ، فألف فيه عدد من المؤرخين نخص بالذكر منهم : عبد الملك بن حبيب، واحمد الرازى ، ومحمد بن حزم القرطبي وابن عبدالبر، ويرجع السبب فى العناية بالانساب فى المغرب والاندلس إلى قلة عدد العرب الصريحى النسب فى الاندلس ، بعد ان تعقد المجتمع الاندلسى ، واصبح يتكون من اخلاط بشرية غير منظمة ، مما ترتب عليه قيام طوائف جنسية مختلفة تقوم على العنصرية الجنسية او العصبية . كالعرب والبربر والمولدين ، وقد اوجد ذلك مادة خصبة لعلم الانساب(٢) .

---

(١) البلاذرى ، أنساب الأشراف ، تحقيق الدكتور محمد حميد الله ، القاهرة ١٩٥٩ ، ج ١ ص ٢٢ من المقدمة .

(٢) ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، تحقيق ليفى بروفنسال ، القاهرة ، ١٩٤٨ ، ص ٩ من المقدمة

(٢)
تنوع صور المادة التاريخية

١ - التأريخ العالمى :

أشرنا فيما سبق إلى أنه ظهرت منذ أواخر القرن الثالث الهجرى ثلاثة أنواع من كتب التأريخ العالمى، سبقها كتاب الأخبار الطوال لأبى حنيفة الدينورى، الذى يبدأ من آدم عليه السلام، ويستعرض فيه تاريخ عرب الجاهلية والفرس، ثم تاريخ صدر الإسلام، دون التعرض لسيرة النبى صلى الله عليه وسلم، وينتهى بنهاية ملك يزدجرد. ونلاحظ فى هذا الكتاب اهتماما خاصا بتاريخ الفرس.

أما النوع الأول: فيتمثل فى تاريخ اليعقوبى، وقد سبق أن تحدثنا عنه، والجزء الأول من كتابه يتضمن موضوعات متعددة ابتدأ فيها بقصة التوراة. ثم وصف الأناجيل الأربعة واستعرض التاريخ الجاهلى، ولكنه اضطر إلى التعرض لموضوعات ثقافية عامة عندما لم يجد مادة فى التاريخ السياسى، فأخذ يحدثنا عن الإغريق والهنود والعرب وعن بعض الموضوعات العامة، مثل كتب أرسطو وأبقراط والشعراء الجاهليين.

والنوع الثانى: من كتب التاريخ العالمى فى القرن الرابع الهجرى يمثله كتاب «تاريخ الرسل والملوك» لابن جرير الطبرى، وهو أهم بكثير من تاريخ اليعقوبى، إذ جمع فيه الطبرى بين تفصيل المتكلمين، وتدقيق الفقهاء، وتبصر الساسة فى الأمور، الأمر الذى رفع من قيمة الكتاب، وجعله من أهم المصادر فى التأريخ العام أو العالمى، وأنموذجا للصورة التى ينبغى أن يكتب بها التاريخ. ويقتصر القسم السابق

على العصر الإسلامى من تاريخه على مجموعة من الأخبار عن الاسرائيليات ، وتاريخ العرب ، وتاريخ الفرس . أما حديثه عن سيرة النبى فقد اتبع فيه نهج كتاب السيرة والمغازى مع تتبع الأحداث التى مرت بها الدولة العربية الإسلامية منذ الهجرة النبوية ، وفقا لترتيبها الزمنى ، والاهتمام فى آن واحد بذكر سلسلة الإسناد فى الروايات المختلفة . وقد طبق الطبرى منهج الكتابة الحولية ، واهتم فى الوقت ذاته ، بإيراد تراجم للخلفاء فى سنى وفاتهم (١) .

والنوع الثالث : يمثله كتابا « مروج الذهب ومعادن الجوهر » . و « التنبيه والإشراف » للمسعودى (ت ٣٤٦ هـ) . والكتاب الأول موسوعة تجمع فى مادتها بين الدراسة التاريخية والجغرافية ، ولم يقتصر المسعودى فى هذا الكتاب على دراسة الموضوعات المألوفة عند المؤرخين الذين سبقوه أو عاصروه ، وإنما وإنما انتقل إلى ذكر قصة خلق العالم ، ووصف طبيعة الأرض ، ودراسة الشعوب الأعجمية التى عرفها المسلمون (٢) ، وبحث فى تاريخ العرب فى الجاهلية ، مؤكدا على العناصر الحضارية فى تاريخهم، ثم كتب بإيجاز فى السيرة النبوية ، واهتم بالأحداث التى كان لها اتصال مباشر بعلى بن أبى طالب اهتماما خاصا ، ثم بحث فى تاريخ الخلفاء متتبعا الترتيب الزمنى . أما الكتاب الثانى فقـــد ضمنه آراءه فى فلسفة التاريخ والكون (٣) ، واهتم بوجه خاص بوصف البلدان المختلفة مما يجعلنا نعتبر المسعودى أدق من اليعقوبى فى تأكيد المعنى العالمى للتاريخ (٤) .

وقد اكتفى كل من اليعقوبى والمسعودى بذكر قائمة بأسماء الأخباريين الذين

---

(١) روزنتال ، ص ١٨٦ ، ١٨٧

(٢) نفس المرجع ، ١٨٨

(٣) سيدة كاشف ، ص ٣٦

(٤) روزنتال ، ص ١٨٧

أفادا منهم فى كتابتهما ، ولذلك حذفنا الأسانيد من رواياتهما بخلاف الطبرى ، الذى كان يبذل كل ما استطاع من جهد فى العناية بتسلسل السند فى الروايات المختلفة .

هؤلاء المؤرخون الثلاثة يمثلون مؤرخى العرب فى كتابة التاريخ العالمى فى القرنين الثالث والرابع الهجرى . ولكن كتب هؤلاء المؤرخين ليست الكتب الوحيدة فى هذا المجال ، فهناك كتب أخرى لمؤرخين مسلمين ونصارى وقليل منهم يهود ، حذت هذا الحذو ، ولكنها لم تبلغ فى تطبيق الصورة العالمية مبلغها ، ونستعرض أمثلة من هذه الكتب فيما يلى وفقا للترتيب الزمنى :

١ — حمزة بن الحسن الأصفهانى (ت قبل سنة ٣٦٠ هـ) : كتاب «تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء» ، ويتضمن عشرة أبواب ، قام فيها بدراسة تاريخ الفرس وطبقات ملوكهم ، وتاريخ ملوك الروم ، وتاريخ اليونان ، وتاريخ القبط ، وتاريخ ملوك الحيرة ، وتاريخ ملوك غسان ، وتاريخ ملوك كندة ، ثم تاريخ قريش . واهتم المؤرخ بتاريخ خراسان وطبرستان ، فأفرد لولاة خراسان الفصل التاسع من الباب العاشر ، وأفرد لولاة طبرستان الفصل العاشر من الباب نفسه (١) .

٢ — أغابيوس (الملقب بمحبوب بن قسطنطين الرومى المنبجى) : «كتاب العنوان» (٢) ، بحث فيه جغرافية العالم وتاريخ بنى إسرائيل واليونان والروم ، كما تعرض لتاريخ العرب ، وقد أفاد أغابيوس كثيرا من الأخبار الواردة فى الحوليات البيزنطية .

---

(٣) حمزة الأصفهانى ، تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء ، برلين ١٣٤٠ هـ .
(٤) تحقيق فازيلييف ، جزآن ، باريس ١٩٠٩

٤ — سعيد بن بطريق (المعروف بيوتيخوس ت ٣٢٨ هـ) : كتاب «التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق» (١) ، وهو تاريخ طويل مكتوب بالعربية ، بدأ فيه المؤلف من عهد آدم حتى سنى الهجرة متبعا طريقة التأريخ الحولى . والكتاب يتضمن عرضا رائعا لتواريخ ما قبل الإسلام من وجهة نظر المؤلف المسيحية ، مثل بنى اسرائيل ، والإغريق ، والرومان ، والنصارى ، والروم ، والفرس . وينعكس اهتمامه بالمسائل الدينية فى مناقشته للمانوية والنساطرة ، واشاراته إلى الأحداث الهامة فى تاريخ الكنيسة .

وقد أكمل يحي بن سعيد الأنطاكى (ت ٤٥٨ هـ) هذا الكتاب بعد أن مضى ما يقرب من قرن على تأليفه ، ووضع له العنوان التالى : «صلة كتاب سعيد بن بطريق» (٢) ، واتبع فيه منهجه التاريخى ، وإن كان يبدو من كتابته أكثر وعيا من سعيد بن بطريق فى تفهم التاريخ العام العالمى .

٤ — الأب جريجوريوس (أبو الفرج بن هرون الملطى) المعروف بابن العبرى (ت ٦٨٥ هـ) : «تاريخ مختصر الدول» (٣) ، وهو كتاب مصنف بالعربية ، تعرض فيه ابن العبرى لأحداث الدولة العربية ، وتحدث عن السيرة النبوية ، وعن الخلفاء الراشدين ، مستخدما طريقة الحوليات عند تعرضه لبعض الأحداث ، وقد استقى ابن العبرى مادته من مصادر سريانية وعربية ، وروى حوادث عصره ، خاصة الغزو المغولى ، كما شاهدها وعاينها . واهتم ابن العبرى بالترجمة لكبار النصارى من العلماء والاطباء .

---

(١) طبعة بيروت ، فى جزأين ، ١٩٠٥ — ١٩٠٩

(٢) نشره الأب لويس شيخو ، بيروت ١٩٠٩

(٣) طبعة بيروت ، تحقيق الأب أنطون صالحاني اليسوعي ، بيروت ١٨٩٠

٥ — مقتطفات من تاريخ سعديا الجاعونى اليهودى (القرن الرابع الهجرى)، واردة فى مجهول أكسفورد ، المؤلف فى القرن السادس الهجرى . يهتم المؤلف مجهول الاسم بالأحداث التى لها أهمية فى اعتباره بالنسبة للقضايا اليهودية ، ومعظم صفحات الكتاب خصصها لتاريخ الفترة الواقعة ما بين بدء الخليقة ونهاية الحياة السياسية اليهودية . أما الأخبار الخاصة باليونان والرومان والفرس والعرب فمقتضبة (١) .

٦ — مسكويه (أبو على أحمد بن محمد ،ت ٤٢١ هـ): كتاب «تجارب الأمم»(٢) كان مسكوية أمينا لمكتبة ركن الدولة الفضل بن العميد ، ثم دخل فى خدمة عضد الدولة بن بويه ، كما كان متمكنا من اللغة الفارسية (٣) ، ولذلك اتسمت كتابته بتغلب النزعة الفارسية . وكتاب تجارب الأمم يعتبر من أكثر المصادر ثقة ، إذ اتخذ فيه مسكويه من أحداث التاريخ وتجارب الأمم أمثلة ومواعظ ، ويعبر فى كتابته عن خبرة بشؤون السياسة ، وإدراك كامل وتفهم شامل للتاريخ ، وهو لذلك يقتصر على السياسيات التى يمكن لأهل زمانه أن يفيدوا من تجاربها ، فيتجنب الخوض فى تاريخ الأنبياء ، ولا يتعرض للتاريخ الدينى لدولة الرسول فى المدينة، وإنما يكتفى بعرض موجز سريع للجانب السياسى ، ولا يهتم إلا بما كان تدبيراً بشريا لا يقترن بالاعجاز ، ويبدأ مسكويه كتابه بدراسة لتاريخ ملوك فارس ، ثم يتطرق فى معرض حديثه عنهم إلى ذكر ملاحظات عرضية عن البابليين والإغريق والنصارى

---

(١) روزنتال ، ص ١٩٢

(٢) مسكويه (أبو على أحمد بن محمد) تحقيق آمدروز ، القاهرة ١٩١٤ — ١٩١٥

(٣) سيدة كاشف ، ص ٣٦

والروم والعرب قبل الإسلام ، ولا يتبع مسكويه فى القسم الاسلامى من كتابه المنهج الحولى فى السنين الأولى من الإسلام ، ولكنه ينهج هذا المنهج بعد ذلك، ويعتمد مسكويه على الطبرى اعتمادا كليا فى الحوادث التى لم يدركها ، وذلك بعد بعد أن حذف من تاريخ الطبرى سلسلة الاسناد ، واختصر الرواية (١) .

٧ — الثعالبى ، (ت ٤٢٩ هـ) كتاب الغرر فى سير الملوك وأخبارهم (٢). لم تبق من الغرر إلا أجزاء متفرقة تكفى فى حد ذاتها للحكم بأنه لم يبلغ فى الاحساس والتبصر التاريخى مبلغ مسكويه. ولقد اعتمد الثعالبى فى القسم الإسلامى (حتى عصر الدولة العباسية) اعتمادا خاصا على الطبرى ، واتبع فى هذا القسم منهج التأريخ حسب عهود الخلفاء (٣).

٨ — ابن الجوزى (أبو الفرج عبد الرحمن بن على ، ت ٥٩٨) : كتاب شذور العقود ، وقد لخص فيه ابن الجوزى كتابه المنتظم ، واهتم فى القسم السابق على الإسلام بتصوير جغرافية العالم ، وتعرض فى هذا القسم لتاريخ بنى اسرائيل حتى زمن المسيح ، ثم لتاريخ ملوك الفرس وغيرهم من الشعوب الأعجمية . ويستعرض ابن الجوزى حوادث التاريخ الإسلامى بايجاز متبعا منهج التأريخ الحولى ، إلى أن يتطرق إلى الحديث عن الاسماعيلية والقرامطة . ويهتم المؤلف بأخبار الوفيات من كبار الشخصيات ، ويذكر بعض الحوادث

---

(١) روزنتال ، ص ١٩٦ — سيدة كاشف ، ص ٣٦

(٢) الثعالبى (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل) غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم ، نشره مع الترجمة الفرنسية زوتنبرج Zotenberg ، باريس ١٨٠٠ .

(٣) روزنتال ، ص ١٩٧

التافهة التى يتوهم أنها خطيرة ، كالولادات الشاذة ، والزلازل ، والأوبئة ، والمجاعات ، والحرائق ، وموجات البرد الشديد ، وظاهرة تزوج امرأة رجلين ، وغير ذلك من الحوادث الشاذة .

٩ — سبط ابن الجوزى (أبو المظفر شمس الدين يوسف بن قزوغلى ، ت ٦٥٤ هـ) : كتاب مرآة الزمان (١) . هو تاريخ عام ، قدم المؤلف فى القسم الخاص بعصر ما قبل الإسلام من المعلومات والأخبار التاريخية ما يفوق فى الكثرة ما قدمه ابن الجوزى الجد ، ويتجلى فى كتابته غزارة العلم والدقة والتحرى .

١٠ — ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) ، الكامل فى التاريخ .

هو أحسن ما صنف من كتب التاريخ العالمى الإسلامى على نسق الحوليات ، ولقد حرص ابن الأثير فى كتابته على حفظ التوازن بين أجزاء تاريخه المختلفة كما بذل جهدا كبيرا فى مراعاة التوازن بين الأحداث فى مختلف أنحاء العالم الإسلامى ، وعندما يقترب من عصره يحاول تفصيل الأحداث التاريخية دون أن يخل بنسبة المادة التى يوردها . ومن حيث المنهج ، نلاحظ أنه طبق منهج الكتابة على حسب السنين مع عدم الإخلال برواية الحادثة الواحدة التى جاءت مقطعة فى سنة واحدة ، كما أنه وضع الأخبار الثانوية تحت عنوان « ذكر عدة حوادث » . ويمتاز كتابه الكامل بميزات منها : التمهيد للخبر بمقدمة مختصرة تذكر القارىء بما كان قد رواه منه قبل ذلك ، فيتيح للقارىء بذلك أن يربط بين أجزاء الخبر ، ومنها تلخيص الخبر أولا ، ثم روايته مفصلا بعد ذلك ، بالإضافة إلى قيامه بتنبيه القارىء إذا كان للخبر بقية أو بانقضاء حادث هام كسقوط دولة ،

---

(١) طبعة شيكاغو ١٩٠٧ ، وطبعة حيدر أباد ١٩٥١ — ١٩٥٢ .

ومن مميزات كتابه الكامل أنه يخلو من الأسانيد التى تعرقل متابعة القارىء للمادة التاريخية (١) .

* * *

ثم ظهرت منذ القرن السابع الهجرى مجموعة من الكتب العامة سيطر فى كتابتها الاهتمام الدينى ، فاهتم المؤلفون فيها بالسيرة النبوية اهتماما كبيرا ، وبدءوا تواريخهم بالسنة الأولى من الهجرة . ويعبر عن هذا الاتجاه : عماد الدين أبو الفداء اسماعيل المعروف بابن كثير الدمشقى (ت ٧٧٤ هـ) فى « البداية والنهاية » (٢) ، والفقيه ابن أبى الدم (أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم) فى تاريخ الإسلام ، يبدأ بحياة الرسول ، والكتبى (ت ٧٦٨ هـ) فى عيون الأخبار .

ثم فقد التاريخ العام العالمى قدرته على تصوير العالم تصويراً شاملا ، بعد أن آثر المؤرخون فى القرن الثامن الهجرى التراجم ، ويمثل هؤلاء المؤرخين : الذهبى فى كتابه « تاريخ الإسلام » ، والسخاوى فى « التبر المسبوك » .

ب ـ التأريخ المحلى :

هذا النوع من الكتابة هو وليد الشعور بالقومية ، وتعبير صادق عن ارتباط المؤرخ بإقليمه ، واعتزازه بوطنه ، وإن كان عدد كبير من كتب التاريخ الإسلامى المحلى صنفت من أجل اعتبارات دينية . وقد عبر كل من السلامى وابن الربيع القيروانى عن ضرورة اهتمام المؤرخ بالكتابة عن إقليمه وأرضه قبل أى اعتبار

---

(١) عبد القادر أحمد طليمات ، المؤرخ ابن الأثير ، ص ٥٢ — ٦٣

(٢) طبعة مصر ١٣٥٨ هـ

آخر ، فيذكر المؤرخ أبو علي الحسين السلامي (ت ٣٧٤ هـ) في كتابه « أخبار ولاة خراسان » أن « الواجب على صاحب المعرفة من أهلها أن يعلم جمل أبنائها ، ويحفظ أيام أمرائها ، لاشيء أزرى عليه من أن يجهل أخبار أرضه ، ولعله يتطلب أخبار غيرها ، ويكون كمن ترك الواجب وتبع النوافل » (١) كذلك يعيب أبو علي الحسن بن محمد بن الربيع (٢) التميمي القيرواني على مؤرخي الأندلس تقصيرهم في الكتابة عن بلدهم ، وذلك في رسالة وجهها إلى ابن حزم القرطبي قال فيها : « ثم هم مع ذلك في غاية التقصير ونهاية التفريط من أجل أن علماء الأمصار ، دونوا فضائل أمصارهم ، وخلدوا في الكتب مآثر بلدانهم ، وأخبار الملوك والأمراء ، والكتاب والوزراء ، والقضاة والعلماء ، فأبقوا لهم ذكرا في الغابرين ، يتجدد على مر الليالي والأيام ، ولسان صدق في الآخرين يتأكد مع تصرف الأعوام . وعلماؤكم مع استظهارهم على العلوم ، كل امرىء منهم قائم في ظله لا يبرح ، وراتب على كعبه لا يتزحزح ، يخاف إن صنف أن يعنف ، وإن ألف أن يخالف ولا يؤالف ، أو تخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق ، لم يتعب أحد منهم نفسا في جمع فضائل أهل بلده ، ولم يستعمل خاطره في مفاخر ملوكه ، ولا بل قلما بمناقب كتابه ووزرائه ، ولا سود قرطاسا بمحاسن قضاته وعلمائه » (٣) . فرد عليه الوزير الحافظ أبو محمد علي بن حزم مدافعا عن

---

(١) السخاوي ، الاعلان بالتوبيخ ، نص وارد في كتاب علم التأريخ عند المسلمين لروزنتال ، ص ٤٤٣

(٢) ورد الاسم في المقري مختلفا ، فقد ذكر المقري أنه أبو علي الحسن بن محمد بن أحمد بن الربيب التميمي القيرواني

(٣) المقري ، نفح الطيب من غصن أندلس الرطيب ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد القاهرة ١٩٤٩ ، الجزء الرابع ص ١٥٢ ، ١٥٣

مؤرخى الأندلس ، مشيدا بذكر أبحاثهم ومصنفاتهم . فقال : « . . . فإذا فيه خطاب لبعض الكتاب من مصاقبينا فى الدار أهل أفريقية ، ثم ممن ضمته حاضرة قيروانهم ،إلى رجل أندلسى لم يعينه بإسمه ، ولا ذكره بنسبه ، يذكر له فيها أن علماء بلدنا الأندلس — وإن كانوا على الذروة العليا من التمكن بأفانين العلوم ، وفى الغاية القصوى من التحكم على وجوه المعارف — فإن هممهم قد قصرت عن تخليد مآثر بلدهم ، ومكارم ملوكهم ، ومحاسن فقهائهم ، ومناقب قضاتهم ، ومفاخر كتابهم ، وفضائل علمائهم ، ثم تعدى ذلك إلى أن أخلى أرباب العلوم منا من أن يكون لهم تأليف يحيى ذكرهم ، ويبقى علمهم . . . فأما مآثر بلدنا فقد ألف فى ذلك أحمد بن محمد الرازى التاريخى كتبا جمة : منها كتاب ضخم ذكر فيه مسالك الأندلس ومراسيها ، وأمهات مدنها وأجنادها الستة ،وخواص كل بلد منها ، وما فيه مما ليس فى غيره ، وهو كتاب مريح مليح ، وأنا أقول : لو لم يكن لأندلسنا إلا ما رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر به ووصف أسلافنا المجاهدين فيه بصفات الملوك على الأسرة فى الحديث الذى رويناه من طريق أبى حمزة أنس بن مالك أن خالته أم حرام بنت ملحان ، زوج أبى الوليد عبادة بن الصامت رضى الله عنه وعنهم أجمعين، حدثته عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه أخبرها بذلك، لكفى شرفا بذلك يسر عاجله ، ويغبط آجله . . . »(١) .

ويمكننا أن نميز فى الكتابة فى التاريخ المحلى تيارين واضحى المعالم ولكنهما متصلين ، أحدهما تيار دنيوى ، والثانى دينى .

---

(٢) نفس المصدر ، ص ١٥٤ — ١٥٦

وقد تجاوز كل من روزنتال والدكتور صالح أحمد العلى الصواب فى نسبة أقوال ابن الربيب القيروانى إلى ابن حزم ، مع أن ابن حزم هو الذى دافع عن مؤرخى الأندلس ، وذكر أمثلة متعددة لمؤلفاتهم عن الأندلس .

١ - التاريخ المحلى الدنيوى :

وترجع أقدم أمثلة كتب التاريخ المحلى الدنيوى الإسلامية الى العراق ، مما يبعدها عن الأمثلة المسيحية الموجودة فى سوريا (١) . وأقدم ما ألف فى تاريخ العراق كتابان أحدهما عن تاريخ بغداد لأحمد بن أبى طاهر طيفور (ت٢٨٨ هـ) ابنه عبدالله ، والثانى عن تاريخ الموصل لأبى زكريا يزيد بن محمد بن إياس الأزدى (ت ٣٣٤ هـ) ، وقد بقيت من هذين الكتابين فى القرنين الثالث والرابع الهجرى أقسام كبيرة . وكتاب « أخبار بغداد » لابن أبى طاهر كان يشتمل على فصل خاص بخطط بغداد (٢) .

وقد أشار إلى ذلك الوزير أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم ، عندما تعرض لذكر شيوخ مؤرخى الأندلس وعلى رأسهم أحمد بن محمد بن موسى الرازى الذى ألف كتابا « فى صفه قرطبة وخططها ومنازل الاعيان بها » ، على نحو ما بدأ به ابن أبى طاهر فى أخبار بغداد وذكر منازل صحابة أبى جعفر المنصور بها (٣) . أما أبو زكريا الأزدى ، فمع اهتمامه بالترجمة لمحدثى الموصل ، فإن القطعة الباقية من هذا الكتاب ، تتضمن دراسة تاريخية على المنهج الحولى ، عنى فيها المؤلف بالموصل فيما بين سنتى ١٠١ ، ١٢٤ هـ .

وذكر ابن حزم أربع كتب عن خطط البصرة وقطائعها وذكر أسواقها

---

(١) كان التاريخ المحلى معروفا فى سورية قبل الفتوحات العربية ، ولكن هذه الكتب لم تكن فى رأى روزنتال من القدم بحيث تؤثر فى التاريخ المحلى الاسلامى (راجع روزنتال ص ٢٠٩)

(٢) تحقيق هنس كلر ، باسل ، ١٩٠٨

(٣) المقرى ، ج ٤ ص١٦٦

ومحالها وشوارعها ،أحدها من تأليف عمر بن شبة (ت ٢٦٢هـ) ، والثانى من تأليف رجل من ولد الربيع بن زياد المنسوب إلى أبى سفيان ،والثالث والرابع لرجلين من أهل البصرة (١) ،وتوجد فى كتاب معجم البلدان لياقوت مقتطفات من كتاب عمر بن شبة، اقتبسها ياقوت (٢) .كذلك ذكر ابن حزم كتابا عن الكوفة لعمر بن شبة (٣) .

أما عن الموصل فينسب إلى سعيد ومحمد بن هاشم الخالديين كتاب كان يشبه فى موضوعاته وترتيب أبوابه تاريخ أبى زكريا ، اقتبس منه ابن العديم الحلبى كثيراً من مادته فى «بغية الطلب فى تاريخ حلب» ، كما ينسب إلى ابن الأثير المؤرخ كتاب غير كامل عن تاريخ الموصل ،عنوانه : «التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية» (٤) .

أما فيما يختص بكتب التاريخ عن مصر . فإن أقدم ما وصلنا عنها يعبر فى مادته عن شعور التفاخر بماضيها وبتراثها القديم بخلاف الأمر فيما يختص بكتب التاريخ عن العراق ، فتاريخ مصر وفضائلها لأبى محمد الحسن بن زولاق (ت ٣٨٧ هـ) ، الذى يهتم فيه بذكر أخبار مصر القديمة ، وكتاب محمد بن عبيد الله بن أحمد المسبحى (ت ٤٢٠ هـ) الذى ذيل له محمد بن على بن يوسف بن ميسر (ت ٦٧٧هـ) فى كتاب عن تاريخ مصر ، أمثلة من كتب التاريخ المحلى عن مصر بوجه عام . واختصت الاسكندرية ، بوجه خاص ، بعناية بعض المؤرخين المصريين الذين اهتموا بإحصاء فضائلها وما تمتاز به دون غيرها من مدن مصر ،ومن بين المصنفات عن الاسكندرية كتاب بعنوان : «رسالة فى فضائل الاسكندرية» لمؤلف مجهول اشتملت على فتح الاسكندرية وفضل المرابطه فيها وأسوارها ومساجدها ، وكتاب بعنوان «الدرة

---

(١) نفس المرجع ، ج ٤ ص ١٦٠
(٢) السخاوى ، الإعلان بالتوبيخ ، من كتاب روزنتال ، ص ٦٢١
(٣) المقرى ، ج ٤ ص ١٥٩ ، ١٦٠
(٤) تحقيق الأستاذ عبد القادر طليمات ، القاهرة ، ١٩٦٣

السنية فى تاريخ الاسكندرية » لمنصور بن سليم السكندرى (ت٦٧٤ ﻫ)، وكتاب بعنوان « فضائل الاسكندرية » لأبى على الحسين بن عمر بن الحسن الصباغ (١)، وكتاب بعنوان « الإلمام بالاعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية فى واقعة الاسكندرية » (٢)، لمحمد بن قاسم بن محمد النويرى السكندرى، وقد ضمن المؤلف دراسته عن وقعة القبارصة فى سنة ٧٦٧ﻫ دراسة تمهيدية عن الاسكندرية منذ إنشائها .

ثم تطورت الكتابات الخلية عن مصر منذ القرن التاسع الهجرى . فظهرت كتب هامة وردت فيها أخبار تتعلق بالتخطيط والعمران والآثار، أعظمها على الاطلاق كتاب « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » للمؤرخ تقى الدين أحمد بن على المقريزى، قدم له المؤلف بدراسة جغرافية تاريخية مسهبة تناول فيها المدن المصرية والآثار الفرعونية والاسلامية، مبتدئا بالاسكندرية مع الاهتمام بخطط الفسطاط والقاهرة (٣) . ومن هذه الكتب أيضا كتاب « الدر المنظوم فيما ورد فى مصر من موجود ومعدوم » لعلى بن داود الجوهرى (ت ٩٠٠ﻫ)، وكتاب « حسن المحاضرة بأخبار مصر والقاهرة » لجلال الدين عبد الرحمن بن

---

(١) حسن عبد الوهاب، الاسكندرية فى العصر الاسلامى، مجلة الكتاب، يناير ١٩٤٧، ص ٣٧٩

(٢) مخطوطة رقم ١٤٤٩ ومخطوطة رقم ٤١٩٣ بدار الكتب المصرية (راجع كتابى تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الاسلامى، الاسكندرية، ١٩٦١ ملحق رقم و، ص ١٩٦، وملحق رقم ز، ص ١٩٨ وما يليها — وكتابى طرابلس الشام فى التاريخ الاسلامى، الاسكندرية ١٩٦٧، ملحق رقم ١ ص ٤٥٩ — ٤٧١)

(٣) محمد مصطفى زيادة، المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر الميلادى، القاهرة، ١٩٥٤، ص ١٢

محمد السيوطى (ت ٩١١) وهو كتاب لتاريخ البلاد المصرية والقاهرة بوجه خاص، مع بعض فصول إضافية فى النظم المملوكية وأساليبها وطبقات العلماء والصوفية فى مصر (١) .

وفى الشام ظهرت أقدم أمثلة الكتابة فى التاريخ المحلى منذ القرن السادس الهجرى ، فابن القلانسى (أبو يعلى حمزة ، ت ٥٥٥ هـ) خصص تاريخه الحولى لمدينة دمشق وما يدور حولها من أخبار (٢) ، ثم ألفت فى تاريخ مدن الشام ، وخاصة فى تاريخ مدينة حلب مصنفات هامة للعظيمى ولابن الملا ، ولكن أعظم ما كتب عن حلب ، ينسب إلى المؤرخ عمر بن أحمد بن العديم الحلبى (ت ٦٦٠هـ) ، الذى خصص كتابه « زبدة الحلب من تاريخ حلب » (٣) ، لدراسة التاريخ السياسى لهذه المدينة . ونلاحظ أن الحركة الصليبية أسهمت فى تنشيط الدراسات التاريخية الاقليمية فى الشام ، ويتجلى هذا فيما كتبه ابن شداد الحلبى صاحب كتاب « الأعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة » (٤) .

وهناك نوع من التاريخ المحلى السورى يجمع بين تاريخ الأسر الحاكمة ، وتاريخ المدن التى كانت تحكمها : مثل كتاب « تاريخ بيروت وأخبار الأمراء البحتريين من بنى الغرب » لصالح بن يحيى (٥) .

---

(١) نفس المرجع ، ص ٦٤

(٢) ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ١٩٠٨

(٣) كمال الدين أبو القاسم عمر بن العديم ، كتاب زبدة الحلب من تاريخ حلب ، تحقيق الدكتور سامى الدهان ، دمشق ١٩٥١

(٤) نشره الدكتور سامى الدهان ، المعهد الفرنسى بدمشق ، ١٩٦٢ (راجع روزنتال ص ٢١٥)

(٥) نشره الأب لويس شيخو اليسوعى ، بيروت ١٨٩٨

أما فيما يختص باليمن ، فقد صنفت فى تاريخها كتب محلية هامة منذ طليعة القرن الرابع الهجرى ، امتزج فيها التأريخ بالدراسة العمرانية ، بالانساب . وممن كتب عن اليمن :

الهمدانى (ت ٣٣٤هـ) فى كتابيه الاكليل ، وصفة جزيرة العرب .

عمارة اليمنى (عمارة بن الحسن الحكمى ت ٥٦٩ هـ) فى كتابه «المفيد فى أخبار زبيد » الذى أكمله ابن الديبع (ت ٩٤٤) بكتاب عنوانه «كتاب بغية المستفيد فى أخبار مدينة زبيد » . وفى زبيد أيضا كتب جياش بن نجاح كتابا بعنوان « تاريخ زبيد » وهو تاريخ محلى لليمن قريب الشبه بكتاب الاكليل للهمدانى (١) . ولابن الديبع كتاب آخر فى التاريخ السياسى لليمن ، جمع فيه تاريخ اليمن كله موضحا فضل اليمن وإسلامها وولاتها فى العصرين الأموى والعباسى ، وتعرض لذكر القرامطة فى اليمن ، واهتم بذكر دول صنعاء وعدن وزبيد (٢) .

وتتمثل الكتابة فى التاريخ المحلى ذى الطابع الدنيوى فى الأندلس والمغرب فى كتب متعددة نخص بالذكر منها كتاب ألفه أحمد بن محمد بن موسى الرازى الملقب بالتاريخى (ت ٣٢٤) أحد ثلاثة يحملون اسم الرازى اشتغلوا جميعا بالكتابة التاريخية ، فى صفة قرطبة وخططها ومنازل الأعيان بها ، على نحو ما كتبه ابن أبى طاهر فى أخبار بغداد (٣) ، كما ألف كتابا فى أخبار ملوك الأندلس ،

---

(١) روزنتال ، ص ٢٨١

(٢) نفسه

(٣) المقرى ، ج ٤ ص ١٦٦ — آنخل جنثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسى ، ترجمة الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٥٥ ، ص ١٩٦

بقيت منه ترجمة إسبانية لمقدمة هذا الكتاب عنوانها: « Cronica del Moro Rasis » نقلت عن ترجمة برتغالية وضعها القس خيل بيريس بأمر ملك البرتغال دون ديونيس (١٢٧٩ — ١٣٢٥ م) ، فأتمها بمساعدة نفر من المغاربة يسمى أحدهم « المعلم محمد Maese Mohamad » وقد كانت كتب الرازى ذات أثر كبير فى التاريخ الاسبانى الذى كتبه بدرو دل كرال (Pedro del Corral) (١) . وقد عثر فى سنة ١٩٥٢ على الاصل الاسبانى لمقدمة الرازى ، فنشر الاستاذ ليفى بروفنسال ترجمته إلى اللغة الفرنسية مع محاولة لاعادة جمع النص العربى (٢) من المقتطفات الواردة فى نص فرحة الانفس لابن غالب (٣) ، والروض المعطار للحميرى ، والمقتبس ، وغيرها من كتب التاريخ والجغرافية الاندلسية .

ومن كتب فى تاريخ الاندلس أيضا من أسرة الرازى عيسى بن أحمد بن محمد بن موسى الرازى ، فقد ألف كتبا منها : « تاريخ الاندلس » ، « وحجاب خلفاء الاندلس » (٤) . ويبدو أن هذا الكتاب الاخير كان تكملة لكتاب أحمد الرازى السابق الذكر .

---

(١) آنخل جنثالث بالنثيا ، ص ١٩٨

(٢) Lévi-Provençal, La Description de l'Espagne d'Ahmad al Razi : Essai de reconstitution de l'original arabe et traduction Française, al Andalus, vol XVIII , Fasc. 1 , Madrid 1953, pp. 51-108 .

(٣) ابن غالب الاندلسى (محمد بن أيوب) : قطعة من كتاب فرحة الانفس فى تاريخ الاندلس ، تحقيق الدكتور لطفى عبد البديع ، مجلة المخطوطات العربية ، القاهرة ١٩٥٦ — لطفى عبد البديع ، الاسلام فى أسبانيا ، ص ٦٩

(٤) آنخل جنثالث بالنثيا ، ص ١٩٨

وإلى جانب كتب آل الرازى المؤرخين ، وجدت كتب أخرى متأخرة فى تاريخ الأندلس وفى أخبارها نخص بالذكر منها : كتاب « تاريخ افتتاح الاندلس » لأبى بكر محمد بن عمر المعروف بابن القوطية القرطبى ، وكتاب « المقتبس فى تاريخ رجال الأندلس » لأعظم مؤرخى الاندلس أبى مروان حيان بن خلف بن حيان (ت ٤٦٩ هـ) (١) . ومن الكتب التاريخية المحلية عن الأندلس كتاب : « تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين » لعبد الملك ابن محمد بن أحمد بن محمد الباجى المعروف بابن صاحب الصلاة (ت فى أواخر المائة السادسة) ، نشره الأستاذ عبد الهادى التازى (٢) . ومنها كتاب « الحلة السيراء » لأبى عبد الله محمد بن عبد الله القضاعى المعروف بابن الأبار (ت ٦٥٨ هـ) نشرها الدكتور حسين مؤلس فى جزأين (٣) ، وكتاب « البيان المغرب فى ذكر أخبار الأندلس والمغرب » لابن عذارى المراكشى (٤) ، وكتاب « أعمال الأعلام ، فيمن بويع قبل الاحتلام ، من ملوك الاسلام » للوزير الكاتب لسان الدين بن الخطيب (٧٧٦ هـ) . وقد تولى المستشرق الأستاذ ليفى بروفنسال نشر وتحقيق القسم الخاص بالأندلس (٥) ، وقام الأستاذان الدكتور أحمد مختار العبادى

---

(١) نشرت قطع من هذا الكتاب أولها قطعة من عهد الأمير عبد الله الأموى نشرها الأب ملشور أنطونية ، باريس ١٩٣٧ ، ثم قطعة من هذا الكتاب موضوعها تاريخ السنين الخمسة من ٣٦٠ — ٣٦٤ من عهد الخليفة الأموى الحكم المستنصر ، نشرها الأستاذ عبد الرحمن على الحجى ، بيروت ١٩٦٥ . وأخيرا يقوم الزميل الدكتور محمود على مكى بنشر قطعة ثالثة من المقتبس تتناول عصر الأمير عبد الرحمن الأوسط والأمير محمد .

(٢) بيروت ، ١٩٦٤ .

(٣) القاهرة ١٩٦٣ .

(٤) تحقيق ليفى بروفنسال ، وطبعة بيروت ١٩٥٠ .

(٥) طبعة بيروت ١٩٥٦ .

ومحمد ابراهيم الكتانى (١) بنشر وتحقيق القسم الخاص ببلاد المغرب من هذا الكتاب ، ولابن الخطيب كتب تاريخية أخرى عن الأندلس والمغرب ، عكف الزميل الأستاذ الدكتور أحمد مختار العبادى على تحقيق بعضها ونشره (٢) . ومن كتب فى تاريخ المغرب فى عصر الموحدين محي الدين عبدالواحد بن على المراكشى (ت . فى النصف الثانى من القرن السابع) (٣) ، وابن أبى زرع الفاسى (ت فى منتصف القرن الثامن الهجرى) (٤) .

ونلاحظ أنه تغلب على كتب المغرب والأندلس الناحية الدينية والتراجم ، فمعظم ما كتب عنهما يتناول تاريخ قضاة وعلماء وفقهاء أهل المغرب والأندلس .

أما فى فارس ، فقد تفوق التاريخ المحلى الدنيوى ، باعتباره مظهرا من مظاهر القومية الفارسية التى تعرف بالشعوبية ، وقد كان للحركة الشعوبية أثرها فى الدراسات التاريخية ، إذ سعى أصحابها إلى تشويه تاريخ العرب والدس عليهم ، فاهتموا بالتوسع فى الثقافة الفارسية والتراث الفارسى ، فترجموا كتبا ذات طابع قومى مثل كتاب « خداينامة » الذى ترجمه عبد الله بن المقفع (ت ١٤٤ هـ) عن البهلوية تحت عنوان « سير الملوك » (٥) . ومن الكتب التى ألفت فى التاريخ

---

(١) طبع بالدار البيضاء ١٩٦٤ .

(٢) راجع : احمد مختار العبادى ، مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ، مجموعة رسائله ، الاسكندرية ١٩٥٨ — ولنفس المحقق ، مؤلفات لسان الدين بن الخطيب فى المغرب ، مقال فى مجلة هسبريس ، ١٩٥٩ عدد ٣ ، ٤ .

(٣) المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق الأستاذان محمد سعيد العريان ومحمد العربى العلمى ، القاهرة ١٩٤٩ .

(٤) كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، تحقيق تورنبرج ، أبسالة ١٨٤٣ (فى جزأين) .

(٥) عبد العزيز الدورى ، ص ٤٥ ، ٤٦ .

المحلى الدنيوى عن فارس كتاب « تاريخ أصفهان » لحمزة الأصفهانى (١). « وتاريخ قم » للحسن بن محمد القمى ، « ومحاسن أصفهان » للمافرخى . وفى هذه الكتب مزج واضح بين المادة التاريخية والدراسة الطوبوغرافية ، والظواهر الاقتصادية والثقافية (٢). ومن الكتب الفارسية المتأخرة ، « تاريخ طبرستان » لابن اسفنديار ، فى القرن السابع الهجرى ، وكتاب « تاريخ طبرستان ومازندران » لظهير الدين المرعشى فى القرن التاسع الهجرى .

وهناك بعض الكتب التاريخية التى يمكن أن تندرج فى التاريخ المحلى الدنيوى ، وهى الكتب الخاصة بالفتوحات الاسلامية ، وإن كان أثر موضوعاتها محدودا . وتتناول هذه الكتب المعارك التى خاضها العرب المسلمون فى الشام والعراق وفارس ومصر والمغرب والأندلس وأرمينية والجزيرة . ومن أقدم كتاب الفتوح محمد بن عمر الواقدى الذى تنسب إليه كتب فى فتوح الشام ومصر والفيوم وإفريقية (٣) . ومنهم أيضا على بن محمد المدائنى الذى كتب فى فتوح الشام وفتوح مصر والنوبة وبرقة والجزيرة وأرمينية والعراق والأبلة والأهـــواز وفارس وسجستان وكرمان ومكران وبابل والقلاع والاكراد والرى وجبال طبرستان وجرجان وخراسان (٤) .

وأول من كتب فى الفتوحات الاسلامية كتابا شاملا هو أحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى (ت ٢٧٩) الذى ينسب اليه كتاب فتوح البلدان ، وقد استقى

---

(١) راجع قائمة الكتب التى أوردها ابن النديم فى الفهرست ، نص رقم ١ فى كتاب علم التاريخ عند المسلمين ، ص ٢٩٠

(٢) روزنتال ، ص ٢٢٠

(٣) راجع ما سبق ص ٦٤ ، ٦٥

(٤) روزنتال ، ص ٢٨٣ — ٢٨٥

مادة هذا الكتاب من المصادر الخاصة بفتح مصر ، عن الواقدى والمدائنى (١) ، ومن المواد التى استطاع جمعها خلال زيارته للأمصار(٢) . وعلى الرغم من اعتماده على الإسناد فى رواياته ، إلا أن أخباره تتميز بملاحظاته الشخصية التى يرجح فيها رواية على رواية ، وهذا يفسر السبب فى أن كتابه يعرض صورة متزنة متسقة الأحداث ، تجنب فيه إيراد روايات متعددة ومتضاربة حول الحادث .

ثم ظهرت كتب للفتوح المحلية أمثال كتاب « فتوح مصر والمغرب والأندلس » لعبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم القرشى المصرى (ت ٢٥٧) (٣) ، وكتاب « الرايات » الذى ألفه محمد بن موسى الرازى (ت ٢٧٣ هـ) عن حملة موسى بن نصير إلى الأندلس (٤) ، وكتاب « تاريخ افتتاح الأندلس » لأبى بكر محمد بن عمر المعروف بابن القوطية القرطبى (٥) (ت ٣٦٧ هـ) (٦) .

ومن الجدير بالذكر أن مصر لعبت دورا هاما فى الكتابة التاريخية التى تمتزج فيها الخرافة بالتاريخ ، وقد ظهر فيها هذا النوع من الكتابة القصصية فى زمن مبكر جدا . ولم تقف عناية المصريين فى كتابة التاريخ عليها وحدها ، بل تجاوزتها إلى بلاد المغرب والأندلس ، وكانت مصر مركزا لما كان يكتب عن جميع القسم الغربى من الدولة الاسلامية ، ويرجع الفضل فى ذلك إلى طبقة التابعين الذين أخذوا عن الصحابى عبد الله بن عمرو بن العاص ، وشاركوا فى فتوح المغرب والأندلس ، واستقر معظمهم فى مصر بعد الفتح ، وأخذوا يروون قصة الفتح على

(١) السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ج ٢ ص ٩٧

(٢) عبد العزيز الدورى ، ص ٤٩

(٣) تحقيق الاستاذ عبد المنعم عامر ، القاهرة ١٩٦١

(٤) الكتاب مفقود .

(٥) تحقيق دون خليان ريبرا ، مدريد ، ١٩٢٦ .

(٦) Pons Boigues, Historiadores y Geografos, P. 85

مسامع تلاميذهم من المصريين، ولذلك فهم أول من وضع أسس تاريخ الأندلس، ومن بين هؤلاء التابعين موسى بن نصير، وعلى بن رباح، وحنش الصنعانى، وأبو عبد الرحمن الحبلى، وحبان بن أبى جبلة القرشى، وبكر بن سوادة الجذامى. وقد حظيت رواياتهم وروايات من بقى بمصر من أبنائهم أمثال موسى بن على ابن رباح، ومعارك بن مروان بن عبد الملك بن موسى بن نصير الذى عاش فى القرن الثالث وكتب فى أخبار موسى بن نصير بعد عودته إلى المشرق، حظيت روايات هؤلاء باحترام كبير فى مصر والمغرب والأندلس، وزاد هذا من مكانة العلماء المصريين فى عيون تلاميذهم من أهل الأندلس حتى أصبحت مصر المصدر الأول لأخبار المغرب الإسلامى كله. ولعل السبب فى اهتمام الفقهاء ومؤسسى المدارس الفقهية فى مصر بقصة الفتح يرجع الى اشتغال المحدثين والفقهاء المصريين منذ عصر مبكر بأخبار الفتح.

ويرأس هذه الطبقة الثانية من أصحاب الروايات عن الفتح الأندلسى موسى بن على بن رباح (ت ١٦٣) الذى تتلمذ عليه علماء ثلاث هم: الليث بن سعد (ت ١٧٥ هـ)، والواقدى (ت ٢٠٧)، وعبد الله بن لهيعة، المحدث المصرى المعروف (ت ١٧٤ هـ). وكان الليث بن سعد مهتما، إلى جانب اشتغاله بالفقه، بالتاريخ المغربى الأندلسى، الذى تلقى رواياته على موسى بن على بن رباح. ومن تلاميذ الليث عبد الملك بن مسلمة، ويحى بن عبد الله بن بكير (ت ٢٣١)، وعبد الله بن وهب (١٩٧)، وعبدالله بن عبدالحكم (ت ٢١٤)، وابنه عبدالرحمن (ت ٢٥٧)، وسعيد بن عفير (ت ٢٢٦)، وتلميذه أبو سعيد بن يونس الصدفى (ت ٣٣٦) الذى يعتبر آخر مؤرخ مصرى شارك مشاركة فعالة فى كتابة التاريخ الأندلسى.

وعلى هذه المدرسة اعتمد أبو مروان عبد الملك بن حبيب الالبيرى (ت ٢٣٨)

فى مادة كتابه التاريخى عن فتح الأندلس (١) الذى ما يزال مخطوطا فى مكتبة بودليانا بأكسفورد وعنوانه الطويل كما يلى : « كتاب فى ابتداء خلق الدنيا وذكر ما خلق الله فيها من ابتداء خلق السموات وخلق البحار والجنة والنار وخلق آدم وحواء ، وما كان من شأنهما مع إبليس ، وعدة الأنبياء نبيا نبيا إلى محمد صلى الله عليه وسلم أجمعين ، وعدة الكتب المنزلة وعدة الخلفاء إلى حين افتتاح الأندلس ، وما وجد فيها من الذهب والفضة والجوهر والياقوت والزمرد والأمتعة ، وما أخرج منها ، وعدة ملوكها ، ومن وليها ، ومن يليها ، وذكر شيء من الحدثان وما ... فى بعض البلدان ، وكم عمر الدنيا وما مضا منها وما بقى إلى أن تقوم الساعة ، تأليف الفقيه عبد الملك بن حبيب » (٢) . وفى صفحات هذا الكتاب تكثر العبارات الدالة على اعتماده على تاريخ مصر ، مثل قوله : « حدثنا عبد الله بن وهب عن الليث بن سعد » ، وقوله « وحدثنا بعض مشايخ أهل مصر » ، بالإضافة إلى اعتماده على ما تناقله الأندلسيون لعهده فى شأن افتتاح الأندلس (٣) .

وإلى جانب هذه الكتب الخاصة بالفتوحات ، هناك كتب أخرى تتعلق بالنظام

---

(١) Mahmud Makki, Egipto y los origenes de la historiografia arabe espanola ، مقال فى صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، المجلد الخامس ، العدد ١ — ٢ ، مدريد ١٩٥٧ ص ١٥٧ — ٢٤٩ من القسم الأوربى .

(٢) Pons Boigues, Ensayo Bio-Bibliografico sobre los Historiadores y Geografos arabigo-espanoles, p. 32, 33.

وقد نشر الدكتور محمود على مكى القسم الخاص بافتتاح الأندلس ذيلا لمقاله السابق ، ص ٢٢١ — ٢٤٣

(٣) انظر عبد البديع ، الاسلام فى إسبانيا ، ص ٦٧

الإدارى والقضائى فى الأقطار الاسلاميه ، يمكن أن ندخلها فى عداد كتب التاريخ المحلى الدنيوى ، مثل كتاب « رفع الإصر عن قضاة مصر» لابن حجر العسقلانى ، وتاريخ بخارى للنرشخى ، وتاريخ مكة للفاكهى ، وتاريخ ولاة خراسان للسلامى ، ففى هذه الكتب فصول خاصة عن القضاة والولاة بالاضافة إلى اهتمام بعضها بالشؤون الإدارية .

ب — التاريخ المحلى الدينى :

وهناك كتب فى التاريخ الإسلامى المحلى لم تهتم بعرض الموضوعات المتعلقة بتاريخ المدن الإسلامية موضوع الدراسة ، أو بتراجم رجالها ، وإنما استهدفت تمكين القراء من الاطلاع على التاريخ المقدس لهذه المدن ، ولذلك اعتبرناها من كتب التاريخ المحلى ذى الطابع الدينى . ومن أمثلة هذه الكتب : كتاب « أخبار مكة » لأبى الوليد محمد بن عبد الله الأزرقى (ت بعد سنة ٢٤٤ ﻫ) [١] ، « وكتاب الدرة الثمينة فى تاريخ المدينة » لمحمد بن محمود بن النجار [٢] ، (ت ٦٤٧) ، وكتاب أخبار مكة لمحمد بن اسحق الفاكهى (ت فى أواخر القرن الثالث) ، وكتاب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام لأبى الطيب تقى الدين محمد بن أحمد العباسى [٣] (٧٧٥ - ٨٣٢ ﻫ) ، وكتاب « وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى » لجمال الدين أبو المحاسن عبد الله السمهودى [٤].

---

(١) نشره رشدى الصالح ملحس ، مكة ١٣٥٢ ﻫ (جزآن)

(٢) نشر كملحق ثان بالجزء الثانى من كتاب « شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام » للفاسى ، القاهرة ١٩٥٦ .

(٣) نشر بالقاهرة فى جزأين ، ١٩٥٦

(٤) طبعة مصر ١٣٢٦ ﻫ (جزآن)

ويلاحظ أن هذه التواريخ المحلية الدينية تتميز بأنها لا تهتم بالتراجم ، فالأزرقى أفرد ما يقرب من ثلاثة أرباع كتابه لذكر قصص تواترت على ألسنة القوم منذ الجاهلية حول حرم مكة ، ووصف الشعائر المتصلة بها . أما الربع الأخير فقد خصصه لذكر الأماكن المقدسة الأخرى من مدينة مكة وخططها وأطرافها . وتاريخ الفاكهى عن مكة يقتصر على أخبار خططها ، وذكر تاريخها المقدس ، أما ابن النجار فقد اقتصر فى كتابه الدرة الثمينة على ذكر خطط المدينة (يثرب) مع عرض لتاريخها المقدس ، بقصد ترغيب الناس فى زيارة الحرمين الشريفين . وسار الفاسى على منهج الأزرقى والفاكهى وابن النجار ، فوصف سور مكة وأبوابها فى زمنه ، ثم خصص فصلا إضافيا للتراجم وأخبار عن أهل مكة وولاتها والحجاج .

وقد اتبع التاريخ المحلى الدينى ، عامة بصرف النظر عن تواريخ الأراضى المقدسة ، شكلا واحدا ميزه عن التاريخ المحلى الدنيوى ، فقد كان الكتاب يتألف من مقدمة تدور حول تخطيط المدينة وعمرانها وخططها ، وكانت هذه المقدمة فى القرون الثلاثة الأولى من الهجرة مطولة ، ولكنها أخذت تميل بعد ذلك إلى الإيجاز . أما مادة الكتاب فقوامها دراسة الشخصيات التى كان لها شأن بالبلدة أو القطر موضوع البحث ، وكانت هذه الشخصيات فى بادىء الأمر وقفا على رجال الدين ، ثم تطورت بعد ذلك ، فشملت كل الشخصيات البارزة فى المجتمع من أدباء وعلماء وتجار وأعيان . ولقد نشأ هذا النوع من التاريخ المحلى بسبب الحاجة إلى زيادة الحيطة من اختلاق الأحاديث المكذوبة ، وذلك بدراسة مواطن الرواة ورجال الحديث ورواته فيها . وأقدم ما وصلنا من هذا النوع من التاريخ كتاب تاريخ واسط (١) ، لأبى الحسن أسلم بن سهل بن حبيب الرزاز المعروف باسم

---

(١) مخطوطة « تاريخ واسط » محفوظة بالقاهرة تحت رقم ١٤٨٣ تاريخ

بحشل الواسطى (ت فيما يقرب من ٢٨٨ هـ) الذى يبحث فى تاريخ واسط وأطرافها وفى علماء الدين فيها ممن تربطهم ببحشل سلسلة متصلة من الرواة ، وصنف الرواة تبعا لعصرهم ، ومنها كتاب « تاريخ قضاة قرطبة » ، لمحمد بن حارث الخشنى (١) . (ت ٣٦١ هـ) .

وفى القرن الرابع الهجرى أصبحت التراجم ، مرتبة على حروف الهجاء ، الأساس الذى تعتمد عليه كتب التاريخ المحلى الدينى . ولقد ضاعت معظم الكتب التى صنفت فى هذا القرن ، وأقدم تاريخ محلى دينى باق ، رتبت تراجمه على نظام المعاجم أى وفقا للترتيب الأبجدى حتى يسهل الوقوف بواسطة هذا الترتيب على ترجمة كل شخص منها ، هو تاريخ علماء الأندلس (٢) لأبى الوليد عبدالله بن الفرضى الأندلسى (ت ٤٠٣ هـ) . كذلك اتبع الخطيب البغدادى الذى عاش فى القرن الخامس الهجرى فى كتابه « تاريخ بغداد » (٣) طريقة المعاجم فى ترتيب أسماء التراجم وأسماء آبائهم . وراعى الخطيب فى هذه الكتاب أن تكون التراجم شاملة ، وإن كان قد أبدى اهتماما خاصا بتراجم علماء الدين . ومحتويات التراجم تعبر عن اهتمام المؤلف بالحديث وتأكيده على الناحية الدينية دون غيرها من من النواحى الأخرى . وقدم المصنف صحابة الرسول على غيرهم فى الترتيب باعتبارهم أول من قدم إلى أطراف الموضع الذى أسست عليه بغداد قبل أن تؤسس ، ولقد قدم الخطيب كتابه بفصل طويل أورد فيه أخباراً كثيرة عن تاريخ بغداد وعن تخطيطها ، وعن أهم معالمها العمرانية .

---

(٢) تحقيق دون خليان ريبيرا Julian Ribera ، مدريد ١٩١٤

(٣) تحقيق دون فرنشسكو كوديره Francisco Codera ، مدريد ١٨٩١ (جـ ـ زآن)

(٤) طبعة مصر ، القاهرة ١٩٣١ (١٤ جزءا)

واتبع معظم مؤرخى مدينة بغداد وغيرهم من كتاب التاريخ المحلى الدينى فى العصور التالية نظام الخطيب فى تاريخه المحلى . فالحافظ أبو القاسم على بن الحسن ابن عساكر (ت ٥٧١ هـ) افتتح كتابه « تاريخ دمشق » بذكر أخبارها وذكر السيرة النبوية ، ثم انتقل بعد ذلك إلى التراجم ، وافتتحها بالأحدين، وذيل تاريخه لولده القاسم بن على (ت ٦٠٠ هـ) (١) ، ولم يهتم ابن عساكر فى هذا التقديم بوصف دمشق أو بذكر معالمها الطوبوغرافية على النحو الذى طالعناه فى تاريخ بغداد الخطيب .

وهناك مؤرخ شامى آخر هو كمال الدين أبو القاسم عمر المعروف بابن العديم الحلبى (ت ٦٦٠ هـ) ألف كتاب تراجم على مثال تاريخ بغداد ، بعنوان « بغية الطلب فى تاريخ حلب » (٢) ، هذا بالاضافة إلى كتاب تاريخى قيم عن مدينة حلب لم يتح له أن يستكمله(٣) ، ومادة هذا الكتاب التاريخى تقف إلى حوادث سنة ٦٤١ هـ ، وعنوانه « زبدة الحلب من تاريخ حلب » لم يحفظ منه سوى ثلثه(٤) . وقد قدم ابن العديم لكتابه « بغية الطلب » بفصل كبير استعرض فيه جغرافية بلاد الشام الشمالية ،وأورد فى هذا الكتاب دراسة وافيه لمصادره . ومنهم السمعانى وابن الدبيثى وابن النجار وابن أبى جراده رياقوت والقوصى والمنذرى والسلفى

---

(١) السخاوى، الاعلان بالتوبيخ ، من كتاب روزنتال : علم التاريخ عند المسلمين ، ص ٦٣١

(٢) نشرت أجزاء منه فى Recueil des Historiens des Croisades, Historiens Orientaux, pp. 695 — 732, Paris 1884

(٣) Claude Cahen, La Syrie du Nord, p. 62, 63

(٤) نشره الدكتور سامى الدهان ، دمشق ١٩٥١

والأنماطى وعبد السلام بن يوسف وعبد القاهر بن المهنا وابن أبى طى(١) ، وقد أكمل هذا الكتاب وذيل عليه العلاء بن خطيب الناصرية بعنوان: « الدر المنتخب فى تكملة تاريخ حلب » ، لخص فيه مقدمة ابن العديم وعالج فى تلخيصه لها أسماء حلب ، وبناءها ، ومونتها ، واتساع خططها ، وفضائلها . ثم انتقل بعد ذلك إلى دراسة فتح العرب لحلب ، ثم وصف مياهها وآثارها التاريخية(٢) .

وعلى هدى بغية الطلب لابن العديم ، أخذت التواليف والمصنفات عن حلب تتوالى واحداً بعد الآخر حتى القرن التاسع الهجرى ، ويمكننا أن نذكر من بينها كتاباً ألفه أحمد بن ابراهيم المعروف بسبط ابن العجمى (ت ٨٨٤ هـ) استكمالا لكتاب ابن خطيب الناصرية بعنوان « كنوز الذهب فى تاريخ حلب » ، ويعتبر وصفه لمساجد حلب من الناحية الفنية أوفى وأكمل ما يمكن أن نتوقعه من مؤرخ فى العصور الوسطى(٣) . ومنها كتاب « الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب » لأبى الوليد مجد الدين محمد بن محمد بن الشحنة الحلبى(٤) ، وقد أخذ فيه مادته عن عز الدين أبو عبد الله محمد بن على الحلبى المعروف بابن شداد ، كما أخذ عن ابن العديم وغيرهما من مؤرخى حلب ، بل يعتبره الأستاذ كلود كاهن فى الواقع مختصراً لكتاب ابن شداد(٥) . ولم يهتم ابن الشحنة بالتراجم ، وإنما اهتم بالمنشآت الدينية فى حلب من مساجد ومدارس وتواريخها . ومن مظاهر الكتابة فى التأريخ

---

(١) C. Cahen p. 37 Note 3,

(٢) روزنتال ، ص ٢٣٤

(٣) نفس المرجع .

(٤) نشره الاستاذ يوسف سركيس ، بيروت ١٩٠٩

(٥) Claude Cahen, op. cit p. 89

المحلى الدينى ، الكتب المخصصة فى فضائل البلدان أو خواصها ، وكان هذا النوع من الكتب يتضمن حتى القرن الخامس الهجرى دراسة مقارنة بين المدينة موضع المفاخرة وبين مدينة أخرى ، ثم تطورت الكتابة فى فضائل المدن إلى دراسة تتضمن مجموعة من الآيات القرآنية والأحاديث والمصادر المعتمدة التى تمتدح موضعاً معيناً مثل : كتاب « فضائل مصر وأخبارها » لأبى الحسن ابراهيم بن زولاق ، و « فضائل الاسكندرية » لأبى على الحسن بن عمر بن الحسن الصباغ (ت فى منتصف القرن الخامس) ، وكتاب « فضائل دمشق » للربعى أبى الحسن على بن محمد بن شجاع (ب ٤٣٥ هـ) ، وكتاب « فضائل الشام » لابراهيم بن عبد الرحمن الفزارى .

ج – التاريخ المعاصر والمذكرات :

لاشك أن معاصرة المؤرخ العربى لأحداث زمانه تطبع روايته التاريخية بطابع الصدق والدقه ، فالمؤرخ الذى يعيش فى زمن قريب من الزمن الذى دارت فيه الأحداث التى يقوم بتأريخها أقدر من غيره من المؤرخين اللاحقين على تصويرها بألوانها الحقيقية ، ذلك لأن الكتابة التاريخية المعاصرة لزمن الأحداث تعتمد كثيراً على المعاينة والمشاهدة والسماع من مصادر متنوعة ، والمعاينة والتحقق يجنبان المؤرخ من الوقوع فى الأخطاء التى وقع فيها من لم يحذ حذوه ، واعتمد على النقول . وقد نجح ابن الأثير فى تصوير الغزوة المغولية على ديار الاسلام ، وأبدع فى وصفه (١) للمغول وما اتصفوا به من وحشية تفوق خيال البشر ، لأنه

---

(١) يعبر ابن الأثير عن وحشية المغول التى شاهد بنفسه أمثلة كثيرة منها بقوله : « لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها ، كارها لذكرها ، فأنا أقدم=

كان معاصراً للأحداث . والمقريزى نجح أيضاً فى إماطة اللثام عن أسباب المجاعة والطاعون الذى تفشى فى مصر فى زمنه(٢) ، فعالج هذه الأسباب فى واقعية تختلف عن معالجته لأسباب الطواعين والمجاعات السابقة على عصره .

وكما أن المعاصرة فضل فى الكشف عن الحقيقة التاريخية فإنها تكون فى بعض الأحيان حجابا يمنع المؤرخ عن تصوير الحقيقة ، إما بسبب الرهبة من الحاكم ، أو رغبة فى التزلف اليه ومجاملته ، فكثيرا ما يعمد المؤرخ إلى إخفاء بعض عيوب السلطان الحاكم خوفا من بطشه أو درءاً لغضبه عليه إذا هو — أى المؤرخ — صرح بهذه العيوب ، وقد يعمد إلى الإسراف فى ذكر محاسنه وامتداحه ، مصانعة له وتزلفا إليه بغية الظفر بمنصب ، أو بجائزة سنية . ومن أمثلة هذا النوع من المؤرخين المسعودى حين يؤرخ للخليفة العباسى القاهر ، فلقد تملقه ، وتغاضى عن ذكر جرائمه ، ومنهم سبط ابن الجوزى ، الذى برر أخطاء الامير مظفر الدين صاحب إربل ، والتمس له الأعذار .

= رجلا وأؤخر أخرى ، فمن الذى يسهل عليه أن يكتب نعى الاسلام والمسلمين ، ومن الذى يهون عليه ذكر ذلك ، فياليت أمى لم تلدنى ، وياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا ... فلو قال قائل إن العالم منذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم إلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقا ، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها ... » ابن الأثير ، الكامل ، أحداث سنة ٦١٧

(٢) حدثت هذه المجاعة فيما بين عامى بين ٧٩٦ ، ٨٠٨ هـ ، وتوفيت ابنته الوحيدة سنة ٨٠٦ فى الطاعون الذى أعقب إحدى فترات تلك المجاعة ، وقد رأى المقريزى بعين المجرب البصيرة أن لهذه المجاعات والطواعين أسباب عميقة الجذور مصدرها سوء تدبير الحكام وغفلتهم عن النظر فى مصالح الرعية ، وفساد المناصب الدينية ، وولاية الخطط السلطانية بالرشوة بالاضافة إلى غلاء الاطيان ورواج الفلوس (راجع المقريزى ، إغاثة الأمة بكشف الغمة ، القاهرة ١٩٥٧)

وإذا كان المؤرخ المعاصر للأحداث يشغل منصبا إداريا رسميا فإن كتابه يكتسب صفة المذكرات . فبهاء الدين ابن شداد (ت ٦٢٢ هـ) فى النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية يسجل مذكراته عن صلاح الدين منذ أول جمادى الأولى سنه ٥٨٤ هـ ، أى منذ أن قام بخدمته ، وخصص لها ثلاثة أرباع الكتاب ، ويعتمد فى تسجيلها على المشاهدة والمعاينة أو على من يثق به من أهل الثقة ، والعماد الأصفهانى (ت٥٩٧ هـ) فى الفتح القسى فى الفتح القدسى ، وهو كتاب يعتبر سجلا لما قام به صلاح الدين من حروب من سنة ٥٨٣ حتى وفاته سنة ٥٨٩ هـ .

ومن الكتب التاريخية التى تعتبر مذكرات : كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ (١) ، وكتاب النكت العصرية فى أخبار الوزارة المصرية لعمارة اليمنى(٢) (ت ٥٦٩) . ولكن كتاب الاعتبار يمتاز بغلبة عنصر الفلسفة الشعبية ، بينما يمتاز كتاب عمارة بتغلب عنصر الأدب على العنصر التاريخى (٣) ، ومن المذكرات أيضا كتاب البيان والتبيين ، أو مذكرات الامير عبد الله بن بلقين صاحب غرناطة (٤) ، إذ يصور فيه الاحداث الاخيرة التى سبقت عزله من إمارته ، ونفيه إلى المغرب على أيدى المرابطين . ومنها كتاب أخبار المهدى بن تومرت

---

(١) مؤيد الدولة أبو مظفر أسامة بن مرشد الكنانى ، كتاب الاعتبار ، تحقيق الدكتور فيليب حتى ، برنستون ١٩٣٠

(٢) أبو الحسن نجم الدين المعروف بعمارة اليمنى ، كتاب النكت العصرية فى أخبار الوزارة المصرية ، طبعة درنبرج ، باريس ١٨٩٧

(٣) روزنتال ، ص ٢٣٨

(٤) ابن بلقين (الأمير عبد الله الزيرى) : مذكرات لأمير عبد الله الزيرى المسماة بكتاب التبيين ، تحقيق الأستاذ ليفى بروفنسال ، القاهرة ١٩٥٥

لابى بكر الصنهاجى المعروف بالبيذق (١) ، وكان رفيقا لابن تومرت ، رافقه فى رحلاته ، ووصف مشاهداته معه ، ومعاركه الاولى مع المرابطين ، ومنها مجموعة رسائل ابن الخطيب فى بلاد المغرب ، سجل فيها مشاهداته فى هذه البلاد (٢) .

ومن كتاب المذكرات اليومية القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى (ت٥٩٦ هـ) كاتب صلاح الدين ، وهى يوميات لها اعتبارها بالنسبة للدراسة التاريخية .

(١) البيذق ، كتاب أخبار المهدى بن تومرت ، تحقيق الأستاذ ليفى بروفنسال ، باريس ١٩٢٨

(٢) ابن الخطيب ، مشاهدات لسان الدين بن الخطيب فى بلاد المغرب والأندلس ، مجموعة من رسائله ، نشرها وحققها الدكتور أحمد مختار العبادى ، الاسكندرية ١٩٥٨

الباب الثاني

مصادر التاريخ الاسلامى

الفصل الرابع : المصادر الأثرية .

الفصل الخامس : المصادر المكتوبة .

الفصل الرابع

المصادر الأثرية

١ ــ الوثائق الرسمية المكتوبة والأوراق البردية والوقفيات .

٢ ــ الكتابات الأثرية أو النقوش

٣ ــ العملات .

٤ ــ الآثار المعمارية .

الفصل الرابع

المصادر الأثرية

(١)

الوثائق الرسمية والأوراق البردية والوقفيات

الوثائق الرسمية : نعنى بالوثائق الرسمية المكتوبة المستندات المعاصرة للتاريخ الذى تكتب فيه ، كالرسائل الصادرة من ديوان الانشاء فى الحاضرة إلى الولايات، أو إلى الأقاليم التابعة الحكومة المركزية ، والمنشورات، والسجلات ، والأحكام ، والفتاوى، ونصوص المعاهدات، والمحالفات وعقود البيع والشراء وغير ذلك ، وهى إما تصدر عن الدواوين أو فروع الإدارة الاسلامية كديوان الإنشاء والرسائل الذى كان يتولى تنفيذ الأوامر الصادرة من الخلفاء والسلاطين ، كالرسائل السلطانية والأحكام والمعاهدات والمحالفات ، وإما تكون مجرد اتفاقات فردية كالعقود الشخصية .

أما المستندات الأولى فهى أهم أنواع الوثائق الرسمية ، باعتبارها أوثق مصادر التاريخ السياسى الاقتصادى على الإطلاق ، وكانت تحفظ فى ديوان الانشاء الذى كانت تصدر منه معظم أوراق الدولة الرسمية ، ويحفظ مايرد منها فى أضابير عليها بطائق ، وتودع فى مخزن خاص (١) .

وكانت هذه الوثائق تكتب فى عصر الخلفاء الراشدين بلغات الشعوب التى تغلب عليها العرب ، إذ أن العرب تركوا النظم الادارية والمالية فى البلاد المفتوحة

---

(١) عبد المنعم ماجد ، تاريخ الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى ، القاهرة ، ١٩٦٣، ص ٣٦

على مثل ما كانت عليه قبل الفتوحات العربية الاسلامية دون تعديل أو تغيير (١)، وأقر عمر نظام الديوان الفارسي، ويذكر الصولى أن عمر بن الخطاب اتبع فى ذلك مشورة الفيرزان (٢). وكان ديوانا البصرة والكوفة: ديوان الجند والأعطية بالعربية، وديوان المال بالفارسية، وكان ديوانا الشام بالعربية والرومية (٣)، وكان ديوان مصر بالقبطية (٤)، فتحول ديوان العراق إلى العربية فى خلافة الوليد بن عبد الملك على يدى أبى الوليد صالح بن عبدالرحمن البصرى مولى بنى مرة بن عبيد، وكان من سبي سجستان. وكان صالح هذا كاتبا لزادان فروخ على الدواوين أيام الحجاج، فولاه الحجاج على الديوان، فعربه (٥). وتحول ديوان الشام الذى كان يتولاه سرجون بن منصور الرومى النصرانى إلى العربية فى خلافة عبد الملك على يدى أبى ثابت سليمان بن سعد والى الأردن الذى حل فى الديوان محل سرجون الرومى (٦). أما ديوان مصر فتعرب فى خلافة الوليد على يدى عبدالله بن عبدالملك، والى مصر سنة ٨٧ هـ، ووليه ابن يربوع الفزارى من أهل حمص (٧).

---

(١) برنارد لويس، العرب فى التاريخ، تعريب الدكتور نبيه أمين فارس، والدكتور محمود يوسف زايد، بيروت، ١٩٥٤ ص ٧٧ - عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسى للدولة العربية، القاهرة ١٩٦٧، ج ١ ص ٣٧.

(٢) الجهشيارى، الوزراء والكتاب، تحقيق الأساتذة مصطفى السقا وإبراهيم الأبيارى، القاهرة ١٩٢٨ ص ٣٨ – الصولى، أدب الكتاب، ص ١٩٠ وما يليهما – ابن خلدون، المقدمة، ج ٢ ص ٦١٤.

(٣) نفسه، ص ١٩٢.

(٤) الكندى، كتاب الولاة وكتاب القضاة، بيروت ١٩٠٨ ص ٥٩.

(٥) الصولى، ص ١٩٢.

(٦) نفس المصدر.

(٧) الكندى، ص ٥٩ – المقريزى، الخطط، ج ١ ص ١٧٥ (طبعة بيروت).

ونتج عن حركة التعريب انتشار اللغة العربية والخط العربى ، ونشاط حركة الترجمة من اليونانية والفارسية والهندية ، وأصبحت اللغة العربية على حد قول ابن خلدون ، لساناً حضرياً فى جميع أمصار الاسلام .

وللأسف لم تصلنا معظم هذه الوثائق الديوانية الهامة عربية أو غير عربية ، مع كثرتها ، ومع تفوق الحضارة الاسلامية على الحضارة الأوربية فى العصور الوسطى . وترجع ندرة هذه الوثائق إلى عدة عوامل ، منها : —

١ — أن الشريعة الاسلامية التى تمثل النظام الدستورى ، والتى يعول عليها فى الأحكام القانونية كانت تعتمد أساساً على القرآن الكريم والحديث ، ولذلك لم يكن من الضرورى أن يحتفظ صاحب الحق بالوثائق التى تثبت ماله من حق ، إذ أن هذه الوثائق تفقد قيمتها إذا لم يؤيدها السند الشرعى .

٢ — أن المجتمع الاسلامى كان مجتمعاً يقوم على المساواة أمام الشريعة الاسلامية التى لم تفرق بين مختلف طبقاته فى الحقوق ، فلم يكن فيه هيئات كنسية ولا نظام الطوائف والنقابات والاقطاع الذى كان سائداً فى أوربا فى العصور الوسطى ، وكلها هيئات كانت تحتفظ بالوثائق التى تثبت ما تكتسبه من حقوق (١) .

٣ — أدى قيام الدول المستقلة عن الخلافة العباسية وسقوطها وقيام دول أخرى على أنقاضها إلى ضياع الكثير من الوثائق الرسمية للحكومات البائدة ، أو

---

(١) زكى محمد حسن ، دراسات فى مناهج البحث فى التاريخ الاسلامى ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مجلد ١٢ ، ج ١ ، مايو ١٩٥٠ ، ص ١٥٧ وما يليها — سيدة كاشف ، ص ٨٤ ، ٨٥ .

تلفها بسبب الخصومات السياسية أو المذهبية القائمة بين الدولة الجديدة والدولة السابقة عليها .

٤ — تعرضت الدواوين التى كانت تحفظ فيها الوثائق الرسمية فى عصر الدولة الأموية للحرق ، مثل ديوان الكوفة الذى احترق بما كان يضمه من وثائق فى سنة ٨٢ هـ ، وديوان الفسطاط الذى تعرض للحريق فى عصر الدولة الأموية.

ومع ذلك فقد وصلت إلينا بعض المستندات والوثائق العربية ، وهى بالاضافة إلى قلتها ، يقتصر معظمها على وثائق تتعلق بالإدارة ، بينما يتعلق أقلها ، وهى الوثائق البردية ، ببعض النظم الاجتماعية والاقتصادية كالجزية ، والخراج ، والتعيين فى مناصب الدولة ، والادارة ، وطرق التجارة ، وأعمال البناء والتعمير ، وانشاء الأساطيل ، وعقود الزواج والبيع والشراء والتنازل .

البرديات : تتضح لنا الأهمية الكبرى للوثائق البردية باعتبارها مصدراً صادقاً لدراسة الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى الاسلام (١) ، اذ تتعرض لموضوعات تتناول جميع مناحى هاتين الحياتين . ولقد تطلعت أنظار الباحثين الى أهمية هذه البرديات منذ أن نشر المستشرق سلفسترى ساسى مقالا عن ورقتين من البردى مكتوبتين باللغة العربية فى صحيفة العلماء الصادرة فى باريس فى سنة ١٩٢٥ . ومنذ

---

(١) لدراسة الأوراق البردية العربية راجع : زكى محمد حسن ، دراسات فى مناهج البحث ، ص ١٥٨ - ١٦١ ، سيدة كاشف ، مصر فى عصر الولاة ، ص ٢٥ ، ٣٣ ، ٤٣ ، ٥٠ - مصادر التاريخ الاسلامى ، ص ٨٥ - ٨٧ ؛ الوليد بن عبد الملك ، سلسلة أعلام العرب ، ص ٤ - ٦

ذلك الحين ازداد العثور على أوراق بردية بالعربية واليونانية والقبطية فى إقليم الفيوم بوجه خاص ، وفى أخميم وسقارة والأشمونين وميت رهينة وإدفو وكوم أشقاو بمحافظة أسيوط . وتتضمن هذه الوثائق البردية أخبارا هامة عن حالة المجتمع المصرى الاسلامى والادارة فى عصر الولاة ، وخاصة فى عصر قرة بن شريك (٩٠—٩٦هـ) .

ولقد اهتم المستشرقون اهتماما بالغا بدراسة هذه الوثائق باعتبارها مستندات معاصرة للأحداث التى تسجلها ومحايدة فى نفس الوقت ، بالاضافة الى قيمتها العظمى فى تصوير النظم الادارية والمالية والاجتماعية للعصر الذى كتبت فيه ، هذا الى أنها تحتفظ بقيمة تاريخية أثرية لا تقل عن قيمة التحف الأثرية التى يسفر عنها البحث الأثرى ، ونذكر من بين المشتغلين من المستشرقين بأوراق البردى العربية: أدولف جروهمان(١) ، ومرجليوث (٢) ، وأمارى(٣) ، ودى ساسى (٤) ،

---

(١) A. Grohmann, Corpus Papyrorum Raineri Archiducis Austrioe, Wien, 1924, Grohmann, Arabische Papyri im Oriental Institute zu Prag (Arch Orient.) t. x, 1938.

(٢) Margoliouth, Catalogue of arabic Papyri in the John Rylands library, Manchester, 1933.

(٣) Amari, I diplomi arabi del R. Archivio Fiorentino, Florence, 1863.

(٤) De Sacy, Pièces diplomatiques tirées des Archives de Gênes (dans Notices et Extraits des Manuscrits de la Bibliothèque Nationale, t. XI).

وآبل (١)، وهوفاير (٢)، وبيكر (٣)، وبيل (٤)، وما سبيرو (٥)، وآبوت (٦).
ولكن المستشرق جروهمان — دونهم جميعاً — كرس جهوده لدراسة هذا النوع من الوثائق، بحيث أصبح بحق المتخصص الوحيد للبرديات العربية، وقد أسهم ببحوث كثيرة عن أوراق البردى نذكر منها ما يلي :

١ — A Grohmann, Aperçu de papyrologie arabe, Etudes, de papyrologie, (Société Royale égyptienne de papyrologie), t. I. Cairo, 1932

٢ — وأصدرت دار الكتب المصرية أربع محاضرات له ألقاها بقاعة الجمعية الجغرافية المصرية بالقاهرة فى أبريل سنة ١٩٣٠، ترجمها إلى العربية الأستاذ توفيق أسكاروس، القاهرة ١٩٣٠.

---

(١) Abel, Agyptische Urkunden ans den kgl. Museen zu Berlin. Arabische Urkunden, Berlin, 1895-1904.

(٢) Hofmeier, Beiträge zur arabischen Papyrusforschung (in der Islam), t. IV, 1913.

(٣) Becker, Arabische Papyri des Aphrodito fundes (in Zeitschrift für Assyriologie und verwandte Gebiete, t XX, 1907).

(٤) Bell, translations of the greeck Aphrodito Papyri in the British Museum, in (Der Islam) t. II, 1911.

(٥) Maspero, Etudes Sur les papyrus d' Aphrodito (dans Bulletin de l'Institut Français d' Archéologie Orientale, t. VI-VII.

(٦) Abbott, The Kurrah-Papyri from Ahrodito in the Oriental Institute, Chicago, 1938.

٣ — A Grohmann, Arabic Papyri in Egyptian Library, 3 vols
Cairo, 1934, 1936, 1938,

وقد تولى الأستاذ جروهمان بنفسه ترجمة هذا الكتاب إلى العربية بالاشتراك مع الدكتور حسن ابراهيم حسن ، بعنوان « أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية » ، السفر الأول ، القاهرة ، ١٩٣٤ .

٤ — وأصدر الأستاذ جروهمان المجلد الرابع من مجموعة دراسته لأوراق البردى بدار الكتب المصرية فى سنة ١٩٥٢ ، وقام بترجمته إلى العربية الأستاذ الدكتور حسن ابراهيم حسن ، وصدرت الترجمة بالقاهرة فى سنة ١٩٦٧ .

الوقفيات : الوقف نظام يقصد به حفظ العقار من التبديد . وتخصيص دخله لأسرة مؤسس الوقف حسب الأنصبة التى يحددها فى الوثيقة ، أو تخصيص هذا الدخل لمؤسسة دينيه (١) . ويرجع تاريخ الوقف الى العصر الأموى ، ثم انتشر بعد ذلك سريعا لعاملين : عامل يرجع الى التقوى ، لصيانة المساجد والقنوات والمشاريع الخاصة بالسقايات ، والمدارس ، والبيمارستانات ، وعامل يرجع الى إشباع حاجة اقتصادية (٢) .

والوقفيات وثائق لها أهميتها الخاصة دون غيرها من الوثائق السياسية ، لأننا نقف منها على عقود البيع والشراء والاستبدال ، وبيان الأبنية الموقوفة أى التى يخصص لها وقف معين ، ووثائق الوقف على هذا النحو من أهم المصادر التى يجب

---

(١) جودفروا ديمومبين ، النظم الاسلامية ، ترجمة الدكتور فيصل السامر والدكتور صالح الشماع ، بيروت ١٩٦١ ، ص ١٦٨ .

(٢) نفس المرجع ص ١٦٩ .

الرجوع إليها عند دراسة الآثار المعمارية والمنشآت المختلفة فى العصر الإسلامى ، وأكثرها أصالة ، لأن بعض هذه الوثائق تتضمن كثيرا من الحقائق والبيانات عن هذه المنشآت ، كما أن هذه الوثائق تتضمن كثيرا من الاصطلاحات السائدة فى العصر الاسلامى معمارية أو قانونية أو إدارية (١) . ولحسن الحظ يحتفظ الارشيف التاريخى بوزارة الأوقاف ومحكمة الأحوال الشخصية بالقاهرة بعدد كبير من هذه الوثائق ، ومن أهمها الوقفيات الخاصة بالسلطان قايتباى (٢) .

ولقد كان للأحباس أو الأوقاف ديوان خاص فى العصر الأموى كان يتولاه قاض ينظر فيها خوفا من ضياعها ، والحيلولة دون تجزئة الوقف بسبب الإرث . وأقدم الوقفيات التى وصلت إلينا ، وقفية من العصر الإخشيدى ، حفظ لنا المقريزى نصها فى كتابه الخطط عندما تحدث عن بئر الوطاويط (٣) ، وقد عثر على ثلاثة سطور منها منقوشة فى لوحة حجرية بحى الصليبة ، بالقرب من جامع أحمد بن طولون ، وقد ضاع معظم اللوحة (٤) .

* * *

(١) سيدة كاشف ، ص ٨٩ – عبد اللطيف ابراهيم ، وثيقة السلطان قايتباى ، محاضرة فى المؤتمر الثالث للآثار فى البلاد العربية ، القاهرة ١٩٦١ ، ص ٣٩٠ .

(٢) عبد اللطيف ابراهيم ، المحاضرة السابقة ، ص ٣٩٠ حاشية ١ .

(٣) سيدة كاشف ، ص ٩٠ .

(٤) Wiet (G.), Corpus Inscriptionum Arabicarum, Egypte, II, Cairo, 1930, pp. 91-94.

أمثلة من الوثائق الرسمية

أولا — من رسالة موجهـة من السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى الملك الفونسو ملك قشتالة (نقلا من كتاب مجموعة الوثائق السياسية العربية بمحفوظات مملكة أرغون ،رقم ١٤٦).

(بسم الله الرحمن الرحيم أطـال الله بقاء حضرة الملك الجليل الهمام الأسـد الباسل الخطـير الضرغام العـالم فى ملته العـادل فى مملكته ، دون الفونش(١) ، صاحب قشتالة وطليطلة وإشبيلية وقرطبة وجيان ، نصر الدين المسيحية ، عضد الملة النصرانية ، ذخر الطائفة الصليبية ، صديق الملوك والسلاطين ، ولا زالت مودته صافية الحلل ، صافية موارد السعد ، التى يقصر دونها الأمل ، مقتبلا من المحافظة بوادر وفاء تشيد منها ممالكه على ما هو أعـلى من الأسل ، مبتديا من الصفاء بما يؤثل قواعده اتباع سـيرة أسلافنا وأسلافـه الأول . صـدرت هذه المفاوضة متحملة إليه تحية أرجة ، وأثنية بمودات القلوب ممتزجة ، ومحبة تترجم عن مكنونها ألسنة الأقلام اللهجة ، وتوضح لعلمه الكريم ورود كتابه الجليل على يد رسوله الفـارس المحتشم الجليل الخـطير المبجـل انبرناد ريقارد (٢) ، وقبلناه بالإجلال والإكرام ، ووفور العناية والاحترام ، وابتهجنا بمـا اشتمل عليه من استقرار قواعد ملـكه ، وانتظام الأحوال على كل ما فيـه مسرة نفسه ونفـوذ كلمته ، ووافق حضور رسله توجهنا للغزاة والجهـاد وطلب التتار الذين لم تزل

(١) الرسالة موجهة خطئاً إلى الفولـو ، بدلا من فرناندو الرابـع الذى تولى عرش قشتالة سنة ١٢٩٥ .

(٢) يقصد به الفارس إن برنارد ريكارد .

رقابهم لسيوفنا من الأغمار ، فرسمنا بأن يقيم رسول الملك أبقاه الله ، المشار إليه ، ومن معه بأبوابنا العالية ، فى إنعامنا وإحساننا إلى أن يعود ركابنا من الغزاة المبرورة ، ونستحضرهم ،ونسمع رسالتهم ، ونصغى إلى مضمون مشافهتهم المباركة ، ونأمر بقضاء أشغالهم ، ونعيدهم إلى الملك أبقاه الله بجوابه الكريم ، ونجهز معهم رسلنا إلى حضرة الملك أطال الله بقاء ليتحقق ماله فى خواطرنا من المكانة الجليلة والمنزلة الرفيعة ، ويتأكـــد ما بيننا من الصداقة والمحبة والمودة الموروثة عن أسلافنا وأسلافه من الملوك الماضين،سقى الله عهدهم، ورسمنا للنواب بالأبواب العالية باعتماد الوصية التامة برسل الملك المشار إليهم ، وإنزالهم فى أجل مكان ، وتعاهدهم بالإحسان والإكرام والاحترام إلى أن نعود . وكان قد اتفق من أمر التتار المخذولين أنهم طرقوا أطراف مملكتنا الشامية (١) ، وتطرقوا إليها ، وعساكرنا فى ذلك الوقت غير مجتمعة ، ولما حملت ميسرة من كان حاضرا من عساكرنا المنصورة على المخذولين كسرتهم كسرة شديدة ، وقتلت منهم نحو عشرين ألف فارس ، ولم يقتل من أصحابنا قدر ماية فارس ، لكن كان كثير من عساكرنا متفرقا لم يجتمع بعد ، فاقتضى الحال تأخرهم فى ذلك الوقت . ولما كان الآن ، فإننا رسمنا بجمع الجيوش المنصورة ، ومضاعفة أعدادها ، وفتحنا خزاين الأموال ، وأنفقنا النفقات الجزيلة فى العساكر المنصورة بحيث عرضنا فى مايتى

---

(١) يشير الناصر هنا الى الهزيمة التى لقيها المماليك فى أوائل عام ٧٠٠ هـ فى موقعة الخازندار على أيدي جيوش التتار بقيادة غازان خان ، وفى هذه الموقعة انهزمت ميمنة عساكر الناصر وتمكنت ميسرة الجيش المملوكى من مواجهة التتار فغلبتهم ، ولكنها اضطرت فى النهاية الى التراجع بسبب هزيمة الميمنة .

ألف فارس . وتجهزنا للركوب فى طلب التتار المخذولين (١) ، وحين تحققوا التتار عزمنا فى قصدهم وركوب جيوشنا المنصورة فى طلبهم ، ولوا الأدبار ، وركنوا الى الفرار ، وانهزموا لا يلوى بعضهم على بعض . وقد ركبت الآن جيوشنا المنصورة لإدراكهم ولحاقهم أين كانوا واستئصال شأفتهم ، وتطهير الأرض منهم بالكلية ، بقوة الله تعالى وعونه . ولما عزمنا الآن على الركوب فى طلب العدو المخذول ، استحضرنا رسل حضرة الملك أطال الله بقاه إلى بين أيدينا ، وأقبلنا عليهم ، ووقفنا على مضمون كتابه الجليل ، وعلمنا مضمون ما معهم من المشافهات والرسايل ، وتحققنا ما اشتملت عليه من محافظة الملك أبقاه الله تعالى على المودات السالفة ، والعهود القديمة ، وما نؤثره من تأكد الصداقة ، وتجدد المحبة ، وإدامة المراسلات ، بما يضاعف الصحبة والصفاء ، ويوالى المحبة والوفاء ، وقابلنا ذلك بأكمل قبول ، فإننا مازلنا نكافىء المودات بأمثالها ، ونقابل من تمسك بمحبتنا من الوفاء بكل مارجاه منا ، وقد استقرت هذه القواعد من الألفة والصداقة على ما يسر الخواطر وعلمنا من مضمون كتابه ومشافهته ما قصده فى معنى التجار والمتمردين من بلاده بالبضايع ، وما سأله من أن يكونوا يترددون من بلاده إلى بلادنا ، ومن بلادنا إلى بلاده آمنين مطمأنين ، وأجبناه إلى ما قصده فى ذلك ورسمنا بأنه أى من حضر من بلاده إلى بلادنا من التجار وغيرهم يحضروا آمنين مطمأنين ، مكرمين محترمين ، يبيعون بضائعهم على ما يختارون ، ويتعوضون بما يختارون ، ويعوذون إلى أماكنهم سالمين محفوظين ، وتقدمنا إلى نوابنا بذلك،

---

(١) يشير إلى حملته الثانية التى وجهها ضد التتار ، وهى الحملة التى انتهت باسترداد الناصر لدمشق بعد أن انتصرت جيوشه على جيوش غازان فى موقعة مرج الصفر فى رمضان سنة ٧٠٢ هـ .

وأن يعرفوا التجار أن بلاد الملك قد صارت بلادنا ، وبلادنا بلاده ، وقد علم كل أحد حال التجار المترددين الى مملكتنا الشريفة من البحر وغيره ، وما يعاملون به من الكرامة والاحترام ونشر المعدلة والاحسان ، والأمن ، وأنهم يترددون آمنين مطمأنين على أنفسهم وأموالهم . وأما ما تضمنته المشافهة التى على يد رسوله الفارس المذكور فى معنى من يختار الحضور من بلاده لزيارة القدس الشريف ، وما سأله من تمكينهم من ذلك ، وأن يكونوا آمنين مطمأنين ، فقد علمنا ذلك وأجبناه إلى ما قصده من هذا الأمر . ورسمنا بأنه أى من اختار الحضور من بلاده للزيارة فيحضروا آمنين مطمأنين ، ورسمنا للنواب بالقدس الشريف وغيره باعماد الوصية التامة بكل من يحضر من بلاده لذلك ، وأن يكونوا مكرمين محترمين فى حالتى ورودهم وصدورهم ، وعند ركوبنا الآن فى طلب العدو المخذول ، أعدنا رسله وهم الفارس المحتشم أنبرناد ريقاد ومن معه ، وجهزنا معهم رسلنا ، وهم المجلسان الساميان الأمير الأجل الكبير ، الأوحد ، الأكمل ، العضد النصير ، المحبى ، المختار ، المقدم ، فخر الدين ، والقاضى الأجل ، الصدر ، الرئيس الفاضل ، الكامل ، الأوحد ، المرتضى ، المختار ، حميد الدين ، مجد الاسلام ، شرف الأمراء والقضاة ، عدتا الملوك والسلاطين ، أعزهما الله تعالى ، وحملناهما من المشافهات الشريفة ما يعيدانه على حضرة الملك ، وقد سيرنا لحضرة الملك على سبيل المودة والصداقة من خزائننا العالية من القماش ، ما تشهد به الورقة المسيرة طيهما ، ليعلم أن المحبة بيننا تأكدت ، والمودة تقررت ، وأنا قد أجبنا سؤاله إلى ما طلبه فى الصحبة والمودة ، فليبسط عليه بذلك ، ويواصل بكتبه وأخباره ، والله تعالى يحرس من الغير مهجته ويديم سروره وبهجته ، ان شاء الله تعالى .

كتب فى خامس شهر رجب الفرد سنة تسع وتسعين وستماية حسب المرسوم الشريف (١) . الحمد الله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه . حسبنا الله ونعم الوكيل) .

ثانيا — عقد زواج مؤرخ فى ١٥ جمادى الأولى سنة ٤١٩ هـ

(نقلا عن كتاب ، أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية ، ج ١)

(بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أصدق صلاح بن موسى الشميرى كريمة ابنة على بن رجا الطحان ، عندما خطبها إلى نفسها وهى يومئذ امرأة أيم بكر بالغ فى صحة العقل والبدن جايزة الأمر لها وعليها ، وأبدلها بالصداق العاجل والآجل دينارين وازنين جيدين ، أنقدها منها دينار واحد مقبوضا عند عقده نكاحها ، قبضته منه تاما وافيا ، وأبرأته من ذلك براة قبض واستيفا ، وعلى أن الدينار الآخر الذى هو بقية صداقها مؤخر لها عليه إلى انقضى سنة واحدة ، أولها فى النصف من جمادى الأولى من سنة تسع عشره وأربعمائة ، وعليه أن يتقى الله الكريم فيها ويحسن صحبتها ومعاشرتها ، ولا يضارها كما أمر الله عز وجل به فى كتابه وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فى الامساك بمعروف أو التسريح باحسان .... به الطاهرين أبا مولانا أمير المؤمنين الظاهر لاعزاز دين الله ..) (٢)

---

(١) Los Documentos arabes diplomaticos del archivo de la Corona de Aragon, ed. por Maximiliano Alarcon Y Santon, Madrid, 1940, p. 344-346

(٢) جروهمان ، أوراق البردى العربية ص ٩٧ ، ٩٨

ثالثا ــ عقد اتفاق خاص بحائط مملوك لشخصين في سنة ٢٧٤ هـ

(نقلا عن كتاب : أوراق البردى العربية بدار الكتب المصريه ، ج ١)

(بسم الله الرحمن الرحيم . شهد الشهود المسمون فى هذا الكتاب على إقرار الحسين بن صالح الزجاج وقامة ابنه ادريس ، الساكنى مدينة أشمون أن الحايط الذى يجرى منزل الحسين بن صالح وقبلى منزل قامة بنت إدريس فيما بينهما بنصفين ليس لأحد منهما أن يمنع صاحبه من وضع خشبة أو جريدة على هذا الحايط ، ولهما .... كل حقه ومتى أصاب هذا الحايط عدم أو استرم فعلى الحسين بن صالح بناءه ، وترمه من ماله ، وجدر شهد على ذلك سليمان بن داود المؤذن على إقرارهما جميعا بجميع مافى هذا الكتاب .وكتب فى ذى الحجة سنة أربع وسبعين ومائتين، شهد فلان بن فلان على إقرارهما جميعا بجميع مافى هذا الكتاب . وكتب شهادته فى ذى الحجة من سنة أربع وسبعين ومائتين . شهد عثمان بن ... على إقرارهما جميعا بجميع ما فى هذا الكتاب ، وكتب شهادته فى ذى الحجه سنة أربع وسبعين ومائتين . شهد ... بن جوهر على إقرارهما جميعا بجميع مافى هذا الكتاب وكتب شهادته فى ذى الحجة سنة أربع وسبعين ومائتين ...) (١)

رابعا ــ رسالة من قرة بن شريك والى مصر الى بسيل صاحب أشقوه سنة ٩٠ هـ

(نقلا عن كتاب Arabic Papyri ، الجزء الثالث)

(بسم الله الرحمن الرحيم من قرة بن شريك إلى بسيل صاحب أشقوه ، فإنى أحمد الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد فإنك قد علمت الذى كتبت اليك به من جمع

---

(١) نفس المصدر ، ص ١٢٣ — ١٢٤

المال ، والذى قد حضر من عطاء الجند وعيالهم وغزو الناس ، فإذا جاءك كتابى هذا فخذ فى جمع المال ، فإن أهل الأرض قد حموا منذ أشهر ، ثم عجل إلى بما اجتمع عندك من المال بالأول فالأول ، ولا أعرفنك ماحبستنا بما قبلك ، فان أهل الأرض قد فرغوا من الحراثة وعلموا ما عليهم ، وصلحت أقراطهم لبيع ما أزادوا منها ، فعجل عجل بما اجتمع عندك من المال فإنه لو قد قدم إلى المال قد أمرت للجند بعطائهم إن شاء الله ، فلا تكونن آخر العمال بعثا بما قبله ،ولا ألومنك فى ذلك ، والسلام على من اتبع الهدى ، وكتب يزيد يوم الجمعة)(١)

خامسا — رسالة من قرة بن شريك الى بسيل صاحب أشقوه

يطلب منه أن يرسل التعليمات الخاصة بدفع الجزية إلى جسطال كورته (٢) ، والى موازيت القرى (٣) ، سنة ٩٠ هـ / ٩١ هـ

(نقلا من : Arabic Papyri ، الجزء الثالث)

(. . . الأجل أعاقبه أشد العقوبة ، وأغرمه أثقل الغرامة ، ولا أخال ذلك إلا قد كان بلغك وبلغ أهل كورتك ، ولعمرى حال الأجل منذ أكثر من شهرين

---

(١) وثيقة رقم ١٤٨ ، س ١١ — ١٣

(٢) المشرف على مالية الكورة أى مندوب ديوان الخراج والأموال (راجع : سيدة كاشف ، مصر فى عصر الولاة ، ص ٢٥) ، واللفظة مشتقة من الكلمة البيزنطية أو جستاليوس

(٣) رؤساء أو مشايخ القرى ، والكلمة مشتقة من الكلمة البيزنطية ميزوتروس (نفس المرجع ، ص ٢٥)

وقد كتبت اليك قبل كتابى هذا آمرك أن تعجل الينا بما قد جمعت من جزية كورتك، وأردت أن أرفق بهم وأتجاوز عنهم بما قد قبضت منهم على نحو الذى كانوا يؤدون فى بيت المال كل سنة ، فلا أظن كتابى هذا قادما عليك إن كان فيك خير إلا وقد بعثت بالذى قد جمعت من جزية كورتك . فإذا جاءك كتابى هذا فلا أعرفن ما استوفيت من الجزية بعد الذى ترسل مما قد جمعت من الجزية دينارا ولا نصفا ولا ثلثا إلا ما كان على وزن بيت المال ، وتفذت فى ذلك إلى جسطال كورتك وإلى موازيت القرى ، فإنك . . .) (١)

سادسا — عقد بيع دار بطليطلة مؤرخ فى ابريل ١٠٩٣ م

(نقلا من كتاب Los Mozarabes de Toledo (٢))

(اشترى خير بن ركوى من يحي بن عبد السلام جميع الدار الذى له بحومة رحبة القشالى ، حد الدار فى الشرق : دار خلف بن جواد ، وفى الغرب دار جلبارت الفرنجى ، وفى القبله دار أبى الحسن بن زكرى ، وفى الجوف دار مفرج بن عثمان ، بثمن عدته اربعون دينارا من الدينارات الجارية بطليطلة حين هذا التاريخ فى شهر ابريل الكاين فى سنة واحد وثلاثين ومماية وألف من تاريخ الصفر

وشهود الأصل فيه وفرج بن عبد الله ، ومسعود زرقون شهد وكتب ، عبد الرحمن بن يحي شاهد على ذلك ، وعيسى بن الحسن شاهد وكتب عنه بأمره

(١) وثيقة رقم ١٤٩ ، ص ١٥ — ١٧

(٢) Angel Gonzalez Palencia, Los Mozarabes de Toledo, en los siglos XII y XIII, vol. I, Madrid 1926, p.3

وعيشون بن يحي شاهد ،هذيل حكم شاهد وكتب ، زكرى بن عثمان شاهد وكتب عنه ، وبالأعجمى يشتش فليش بطرة تشتش.صحت هذه النسخة فى العشر الأوسط من شهر شتنبر سنة ثلاثين ومائتين وألف الصفر يوان بن يليان السقلى شهد ، ويوانش بن مقايل بن عبد العزيز المشنارى ، وباطره بن عمر بن غالب بن القلاس) .

سابعا — نص وقفية جامع طينال بطرابلس الشام

(نقلا عن Répertoire Chronoloigque d'Epigraphie Arabe) [1]

(بسم الله الرحمن الرحيم أمر بانشاء هذا الجامع المعمور بذكر الله تعالى مولانا المعز الأشرفى العالى المولوى الكافلى السيدى المالكى المخدومى السيفى طينال المالكى الناصرى ، كافل الممالك الشريفة الطرابلسية بلغه الله آماله ، وتقبل فى الصالحات أعماله ، ووقف عليه لمصالحه المعينة فى كتاب وقفه جميع البستان المعروف بالحوى بظاهر طرابلس ، وجميع الحانوتين الملاصقين لبابه ، وجميع البستان المعروف قديما بالطنطاش بسقى طرابلس ، وجميع الحانوتين الملاصقين لسوق السلاح بجوار الحمام المعروف بأسندمر ، وهى الآن ملك الواقف ، وجميع ثلث الخان بدار الوكالة القديمة ، وجميع القرية المعروفة بأزرونية من

---

(١) R. C. E. A., t. XV, p. 60

السيد عبد الزيز سالم ، طرابلس الشام فى التاريخ الاسلامى ، الاسكندرية ١٩٦٧ ، ملحق رقم ٣ ص ٤٧٥

عمل عرقا بجون طرابلس ، وشرط أنه مهما فضل من ريع هذا الوقف عن أرباب وظائفه ومصالحه المعينة فى كتاب يصرف للفقراء والمساكين المقيمين بطرابلس والواردين إليها حسب ما يراه الناظر فى ذلك من غير أن يرتب لأحد مرتبا فى كل شهر أو كل يوم ، ومن غير ذلك أو بدله ، أو رتب شيئا مستمرا ، كانت عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) .

(٢)
الكتابات الأثرية أو النقوش

النقوش الكتابية الأثرية من أهم مصادر التاريخ بوجه عام ، والاسلامى بوجه خاص ، لأن أكثر ما وصل إلينا عن العصر الجاهلى وعصر صدر الاسلام فى المصادر العربية المدونة لا يعدو أن يكون روايات يغلب عليها الطابع الأسطورى ، وتختلط فيها الحقيقة بالخيال ، والنقوش الكتابية لذلك تلى الوثائق السياسية فى الأهمية التاريخية ، لأن الكتابات الأثرية بما تتضمنه من أخبار تعد مادة أساسية للتاريخ الاسلامى والحضارة . ولا شك أن الكتابات الأثرية والنقوش المسجلة على الآثار وثائق أصيلة يستند عليها المؤرخ فى تأريخه للحوادث ، فهى كتابات محايدة غير مغرضة ، وهى كذلك معاصرة للأحداث التى تسجلها ، لم تشوهها الروايات والنقول (١) ، ولذلك فطن الباحثون فى التاريخ الاسلامى حديثا إلى أن فى الإمكان تصحيح الكثير من الأخطاء التاريخية التى وقع فيها بعض الأخباريين والمؤرخين فى العصر الاسلامى ، وإماطة اللثام عن حقائق تاريخية جديدة كانت خافية عنهم ، عن طريق النقوش الكتابية التى وصلت إلينا ، وما أكثر ما سجل منها على الآثار . فالنقوش الكتابية التى تدور حول قباب المحراب والبهو بجامعى

---

(١) زكى محمد حسن ، دراسات فى مناهج البحث ، والمراجع فى التاريخ الإسلامى ، ص ١٦٢ — سيدة كاشف ، مصادر التاريخ الاسلامى ، ص ٦٣ .

من المعروف أن النقوش الأثرية تثبت حقائق ثابتة وتتضمن تواريخا صحيحة وأعلاما يقل فيها التحريف ، بينما كان الكتاب والمؤلفون كثيراً ما ينحرفون عن ذكر الحقائق لعوامل شخصية أو عاطفية ، وقد يتحيز المؤلف للأسرة التى يكتب فى ظلها ، أو قد يتعصب لمذهبها ،

القيروان والزيتونة بتونس ، والكتابات التى نطالعها على واجهة المحراب وحول قاعدة قبته بجامـــع قرطبة ، وآلاف النقوش المسجلة على آثار القاهرة المعزية والايوبية والمملوكية ، وعلى الأسوار وأبواب القلاع ومداخل الفنادق والقصور فى مصر والشام والعـراق والمغـرب ، تتضمن تواريخا ثابتة لهـذه المنشآت ، كما تتضمن فى كثير من الأحيان أسمـاء منشئيها من الأمراء والحكام والسلاطين والخلفاء ، وفى بعض الأحيان أسماء العرفاء والمهندسين والمزوقين الذين أشرفوا على إنشائها وتزيينها ، وهى أمور غفلت الوثائق التاريخية عن ذكرهـا على هذا النحو من الدقة .

ولا تقتصر أهمية الكتابات الأثرية على النواحى السياسية فحسب ، بل تتجلى أهميتها فى النواحى الدينيـة والاقتصادية أيضا : فصلاح الدين قضى عـلى الدولة الفاطمية وقضى فى نفس الوقت على مـذهبها الشيعى الاسمـاعيلى فى مصر (٢) ،

---

(١) عثر على كتابة نسخية فى لوحة على باب القرافة (برج الإمام حاليا) من أبواب قلعة صلاح الدين نصها (بسم الله الرحمن الرحيم ، أمر بإنشاء هذا الباب المبارك والسور المتصل به الملك الناصر جامع كلمة الإيمان ، قامع عبدة الصلبان صلاح الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شادى ، محيى الدولة أمير المؤمنين فى شهور سنة ست وسبعين وخمسمائة)

Répertoire Chronologique d'Epigraphie arabe, t. IX, p.108

وعلى باب المدرج من أبواب القلعة نقش تأسيسى نصه (بسمله أمر بانشاء هـذه القلعة الباهرة المجاورة لمحروسة القاهرة بالعزمة التى جمعت نفعا وتحسينا وسعة على من التجى إلى ظل ملكه ، وتحصينا ، مولانا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين أبو المظفر يوسف بن أيوب ، محيى دولة أمير المؤمنين ، فى نظر أخيه وولى عهده الملك العادل سيف الدين أبو بـكر محمد ، خليل أمير المؤمنين على يد أمير مملكته ، ومعين دولته قراقوش بن عبد الله الملكى الناصرى فى سنة تسع وسبعين وخمس مائة) Répertoire, p.123 .

ويجل ذلك فى كثير من النقوش . ومن الناحية الاقتصادية ، كان سلاطين المماليك يسجلون مراسيمهم الخاصة بإلغاء بعض الضرائب أو تخفيف بعض المكوس ، على جدران الآثار (١) .

وعلى الرغم من أن الكتابات الأثرية العربية ينقصها التنوع ، ويكثر فيها التكرار ، فإنها تعتبر مصدرا هاما للباحث فى التاريخ الاسلامى ، ولذلك اهتم المستشرقون بالنقوش العربية اهتماما خاصا ، فصنفوا فيها الكتب والتواليف ، واهتموا بجمعها وترتيبها . ومن أشهر المشتغلين بالكتابات الأثرية العربية من المستشرقين الأساتذة ماكس فان برشم (٢) ، وادمون فاتيو (٣) ، واتيين

---

(١) Sobernheim, Corpus Inscriptionum Arabicarum, t. XXV, 1909, pp.62 - 69 - السيد عبد العزيز سالم ، طرابلس الشام فى التاريخ الإسلامى ، ص ٤٢٢ ، ص ٤٧٧ .

(٢) Max Van Berchem, Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum, L'Egypte, dans M. M. A. F. C., t. 19. 1894,

.... : Materiauxpour un Corpus Inscriptiouum Arabicarum, t. II, Syrie du Sud, 1922

.... : Matériaux pour un Corpus, t. II, Syrie du Nord.

.... : Matériaux pour un Corpus, t. III, Asie Mineure.

(٣) Max Van Berchem & Edmond Fatio, Voyage en Syrie, 2 vols, dans Mémoires de l'Institut Français d'Archéologie Orientale du Caire, t. 37, le Caire, 1914 - 1915,

كومب (١)، وجاستون فييت (٢)، وليفي بروفنسال (٣)، وجان سوفاجيه، وسوبرنهايم (٤)، وأمادور دى لوس ريوس (٥)، وفيل (٦)،

---

(١) Combe, Sauvaget, Wiet : Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe, le Caire, 1931 - 1944

(٢) Wiet, Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum, l'Egypte, vol. II, Mémoires I. F. A. O., t. 52, 1930.

Wiet, une inscription d'un prince de Tripoli de la dynastie des Banu Ammar, dans Mémorial H. Basset, par l'Institut de H.E.M., t. XVIII, Paris 1928.

(٣) Lévi - Provençal, Inscriptions Arabes d'Espagne, Paris, 1931.

(٤) Sobernheim (Moritz) : Corpus Inscriptionum Arabicarum, t. XXV, 1909

(٥) Amador de los Rios, Inscripciones àrabes de Sevilla, Madrid, 1875.

Amador de los Rios Inscripciones àrabes de cordoba, Madrid, 1879

Amador de los Rios: Epigrafia arabe : Capiteles con inscripciones descubiertos en Cordoba, Revista de Archivos, II, 1898

(٦) Weill, les bois à Epigraphes jusqu' à l'époque Mameloukе, Catalogue générale, de Musée arabe du Caire, 2 vols., 1931, 1936.

وبل (١) ، ومانويل أوكانية (٢) .

(١) A. Bell, Inscriptions arabes de Fès, J. A. 1917—1919.

(٢) M. Ocana Jimenez, La inscripcion Fundacional de la Mezquita de Ibn Adabbas en Sevilla, al-Andalus, vol. XII, fasc. I, 1947.

(٣)

العملات أو النميات أو المسكوكات

السكة على حد قول ابن خلدون الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد ينقش فيه صور أو كلمات مقلوبة ،ويضرب بها على الدينار أو الدرهم ، فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة ، بعد أن يعتبر عيار النقد من ذلك الجنس فى خلوصه بالسبك مرة بعد أخرى ، وبعد تقدير أشخاص الدراهم والدنانير بوزن معين صحيح يصطلح عليه ، فيكون التعامل بها عددا ، وإن لم تقدر أشخاصها يكون التعامل بها وزنا . ولفظ السكة كان اسما للطابع ، وهى الحديدة المتخذة لذلك، ثم نقل إلى أثرها وهى النقوش الماثلة على الدنانير والدراهم، ثم نقل الى القيام على ذلك والنظر فى استيفاء حاجاته ،وهى الوظيفة ، فصار علما عليها فى عرف الدول ، وهى وظيفة ضرورية للملك إذ بها يتميز الخالص من المغشوش بين الناس فى النقود عند المعاملات ، ويتقون فى سلامتها الغش بختم السلطان عليها بتلك النقوش المعروفة » (١) .وقد أشار الماوردى فى الاحكام السلطانية إلى أن السكة « الحديدة التى يطبع عليها الدراهم ، ولذلك سميت الدراهم المضروبة سكة » (٢) ، وفسر المقريزى فى كتاب الأوزان والأكيال الشرعية السكة بأن « الدينار والدرهم المضروبين سمى كل منهما سكة لأنه طبع بالحديدة المعلمة، ويقال لها السكة» (٣) .وأول من سك العملات العربية الاسلامية الخالصة

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ج ٢ ص ٦٣٩

(٢) الماوردى ، الأحكام السلطانية ، القاهرة ١٣٢٨ ﻫ ،ص ١٤٠

(٣) المقريزى ، الأوزان والأكيال الشرعية ، نشرة تيشن ، Tychsen ، روستوك ١٧٩٧ ص ٨٦

هو الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان سنة ٧٧ هـ ، الذى رأى فى ضرب عملات عربية إسلامية ضرورة لازمة لتدعيم البناء الاقتصادى والسياسى للدولة العربية ، ومن الملاحظ أن عصر عبد الملك شهد ظاهرة جديدة هى صبغ الدولة بصبغة قومية عربية فى جميع الشؤون الإدارية والمالية ، فإليه يرجع الفضل الأعظم فى تعريب الدواوين ، وإليه يرجع الفضل أيضا فى تعريب السكة الإسلامية ، وكان ذلك ضرورة من ضرورات الحكم فى مرحلة الاستقرار التى أعقبت مرحلة الفتوحات (١) .

وتعتبر دراسة العملات الاسلامية أساسا هاما لدراسة التاريخ السياسى والاقتصادى للدولة الاسلامية ، فالكتابات المنقوشة على السكة تتضمن أسماء الخلفاء والسلاطين وألقابهم ، وتاريخ الضرب ، وبعض عبارات خاصة بالمذهب الدينى السائد ، والمدينة التى ضربت فيها العملة، ولذلك فإن العملات سجل للألقاب والنعوت التى توضح كثيرا من الأحداث السياسية ،وتثبت أو تنفى تبعية الولاة والحكام للخلافة ، كذلك تفيد دراسة العملات فى تحقيق كثير من الحوادث السياسية المتعلقة بفتح البلاد عنوة أو صلحا وذلك عن طريق ظهور اسم الخليفة على سكة إقليم من الأقاليم ،فإن الدراسين للعملات يطالعون أسماء حكام وأسرات حاكمة قد تسد فراغا فى جداول الأسرات الحاكمة فى الشرق (٢) ، وتفيدنا العبارات الدينية المنقوشة على وجه العملة أو على ظهرها فى بيان المذهب الدينى للأسرة الحاكمة . وكثيرا ما تساهم النقوش المسجلة على العملات فى تصحيح بعض

---

(١) عبد الرحمن فهمى ، فجر السكة العربية ، من مجموعات متحف الفن الإسلامى ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ٣٨

(٢) نفس المرجع ، ص ٢٢

الأخطاء التاريخية المعروفة ومثل ذلك أن بعض المصادر العربية تؤكد على أن إدريس ابن إدريس بن عبدالله بن حسن هو الذى أسس مدينة فاس فى سنة ١٩٢ هـ، فى حين أن مصادر أخرى تؤكد أن فاس من بناء إدريس الأول بن عبد الله، وأنه أسسها فى سنة ١٧٢ هـ . وقد كان ذلك الاختلاف فى تأريخ إنشاء فاس سببا فى حيرة المؤرخين المحدثين، إلى أن عثر على عملات ضربت فى مدينة فاس فى سنتى ١٨٥، ١٨٩ هـ الأمر الذى يقطع بصحة النظريـــة القائلة بإنشاء فاس فى سنة ١٧٢ هـ، ويفسر الأستاذ ليفى بروفنسال كيف استقر التاريخ الخاطىء لبناء فاس فى سنة ١٩٢ هـ وحل محل التاريخ الحقيقى الصحيح وهو سنة ١٧٢ هـ بأنه من المحقق وقوع لبس أساسه يرجع إلى خطأ يسير فى القراءة بين رقمى سبعين وتسعين، وهو خطأ أدى الى تحريف سنة ١٧٢ إلى ١٩٢ هـ (١) .

أما من الناحيــة الاقتصادية فإن العملات طالما كانت تستخدم فى التداول الداخلى أى فى التجارة الاقليمية ، وطالما كانت مادتها ووزنها مختلفا فى العصور المختلفة حسب ما يصدر من قوانين مالية ، فنى الإمكان معرفة الحالة الاقتصادية للعصر الذى كانت تستعمل فيه هذه العملات للتداول الداخلى (٢) ، وإلى نوع النقد الذى كان يشتد الإقبال عليه فى العصور المختلفة وأسبابه الاقتصادية . ثم إن العثور على عـدد من العملات المضروبة فى عصر ما ، فى بلاد مختلفـة إسلامية وغير اسلامية ، يشير إلى الآفاق التى كانت تمتد إليها التجارة الاسلامية فى هذا العصر .

---

(١) ليفى بروفنسال ، الإسلام فى المغرب والأندلس، ترجمة الدكتور السيد عبد العزيز سالم والأستاذ محمد صلاح الدين حلمى ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٢٩ ، ٣٠ - السيد عبدالعزيز سالم المغرب الكبير ، ج ٢ ص ٥٠١

(٢) راجع مقدمة : المقريزى ، إغاثة الأمة بكشف الغمة ، تحقيق الدكتور محمد مصطفى زيادة، والدكتور جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٥٧ .

ولقد وصلتنا ، لحسن الحظ ، بالاضافة إلى العملات العديدة المختلفة التى كشف عنها البحث الأثرى فى البلاد الاسلامية ، كتب خاصة بالنقود الاسلامية . تعتبر مصادر هامة للباحثين فى علم النميات ، وأهم هذه الكتب ما يلى :

كتاب « الخراج » لأبى يوسف يعقوب بن ابراهيم (ت ١٨٢ ﻫ) (١) ، وكتاب « فتوح البلدان » البلاذرى (ت ٢٧٩ ﻫ) (٢) ، وكتاب « الأحكام السلطانية » الماوردى (٣) (ت ٤٥٠ ﻫ) ، وكتاب « قوانين الدواوين » للأسعد ابن مماتى (ت ٦٠٦ ﻫ) ، (٤) وكتاب « الحيوان » للدميرى (٥) (ت ٨٠٨ ﻫ) ، وكتاب « المحاسن والمساوىء » للبيهقى (٦) (ت ٤٥٨ ﻫ) ، ومقدمة ابن خلدون (ت ٨٠٨ ﻫ) ، وكتاب « إغاثة الأمة بكشف الغمة » لتقى الدين المقريزى (٧) (ت ٨٤٥ ﻫ) ، وكتابه « شذور العقود فى ذكر النقود » (٨) ، وكتابه « الأوزان والأكيال الشرعية » (٩) .

---

(١) أبو يوسف ، كتاب الخراج ، بولاق ١٣٠٢

(٢) البلاذرى ، فتوح البلدان ، تحقيق دكتور صلاح الدين المنجد ، القاهرة ١٩٥٧ ، ج ٣ ص ٥٧١ — ٥٧٨

(٣) الماوردى ، الأحكام السلطانية ، بولاق ١٣٢٨

(٤) ابن مماتى ، كتاب قوانين الدواوين ، جمع وتحقيق الدكتور عزيز سوريال عطية ، القاهرة ١٩٤٣ ﻫ

(٥) الدميرى ، حياة الحيوان الكبرى ، القاهرة ١٩٥٤ (جزآن) وطبعة مصر ١٣١٩ ﻫ

(٦) البيهقى ، المحاسن والمساوىء ، القاهرة ١٣٢٥

(٧) المقريزى ، إغاثة الأمة بكشف الغمة ، تحقيق الدكتور محمد مصطفى زيادة والدكتور جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٥٧

(٨) المقريزى ، شذور العقود فى ذكر النقود القديمة والاسلامية ، تحقيق الطباطبائى ، النجف ، ١٣٥٦ ﻫ .

(٩) المقريزى ، الأوزان والأكيال الشرعية ، نشره تيش ، روستوك ١٧٩٧ ،

ولقد اهتم المؤرخون المحدثون بدراسة علم النقـــود العربية اهتماما كبيرا لكثرتها ، وتنوعها ، وتعود أشكالها . فأخرج العالم العراقى الأب أنستاس مارى الكرملى فى سنة ١٩٢٩ كتابا بعنوان : « النقود العربية وعلم النميات » (١) ، جمع فيه أهم ما كتبه المؤرخون العرب أمثال المقريزى فى « شذور العقود فى ذكر النقود » ، وفى إغاثة الأمة بكشف الغمة » ، والبلاذرى فى « فتوح البلدان » ، والدميرى فى « حياة الحيوان الكبرى » ، والبيهقى فى « المحاسن والمساوىء » وأبو المحاسن فى « النجوم الزاهرة » ، وابن خلدون فى « المقدمة » ، والقلقشندى فى « صبح الأعشى » . وأضاف الأب أنستاس الكرملى تفسيرات كثيرة وتعليقات هامة لأسماء الرجال والنعوت والألقاب الواردة فى النقوش ، والمواد التى تتخذ منها والموازين والمكاييل والمقاييس والأثمان ، مما يكشف النقاب عن كثير من الحقائق السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

وهناك بحوث أخرى كثيرة كتبها مستشرقون وعرب متخصصون فى دراسة النقود الاسلامية نذكر منهم: لافوا Lavoix (٢)، ولين بول(٣) ، وسوفير(٤)،

---

(١) طبع بالقاهرة فى سنة ١٩٢٩

(٢) Lavoix (H.), Catalogue des Monnaies Musulmanes de la Bibliothèque Nationale, 3 vols , Paris 1887—1891.

(٣) Lane - Poole (S.), Catalogue of the Oriental coins in the British Museum, London, 1875—1890.

Lane - Poole, Catalogue of the Mohammadan coins preserved in the Bodleian Library at Oxford, Oxford, 1888.

Lane - Poole, Essays in Oriental Numismatics, 3 vols , London 1874-1892,

(٤) Sauvaire, Matériaux pour servir à l'histoire de la Numismatique et de la métrologie Musulmanes, Paris, 3 vols., 1882 - 1887.

وما يلز (١) ، وكاستو ماريا دل ريفيرو (٢) ، والدكتور عبد الرحمن فهمى (٣)، وناصر السيد محمود النقشبندى (٤) ، والدكتور عبد المنعم ماجد (٥) .

---

(١) Miles, Coinage of the Umayyads of Spain, 2 vols., New York, 1948.

••••• Contributions to arabic Metrology, New York, 1958.

(٢) Casto Maria del Rivero, La Moneda arabigo espanola, Madrid, 1833 (2 vols.)

(٣) عبد الرحمن فهمى : صنج السكة فى فجر الإسلام ، القاهرة ١٩٥٧

•••• الشارات المسيحية والرموز القبطية على السكة الاسلامية ، محاضرة فى المؤتمر الثالث للآثار فى البلاد العربية بفاس ١٩٥٩ ، القاهرة ١٩٦١

•••• النقود العربية : ماضيها وحاضرها ، المكتبة الثقافية ، عدد ١٠٣ ، القاهرة ، ١٩٦٤ .

•••• فجر السكة العربية ، مطبوعات متحف الفن الاسلامى ، القاهرة ١٩٦٥ .

(٤) ناصر السيد محمود النقشبندى ، الدينار الإسلامى فى المتحف العراقى ، ج ١ ، الدينار الأموى والعباسى ، بغداد ، ١٩٥٣

(٥) عبد المنعم ماجد : النقود الفاطمية ، مقال بحوليات كلية الآداب جامعة عين شمس ، مايو ١٩٥٣ .

•••• : تاريخ الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى ، القاهرة ، ١٩٦٢ ،

(٤)

الآثار المعمارية والتحف

تعتبر الآثار الباقية سواء الثابتة منها كالمنشآت المعمارية ، أو المنقولة كالتحف المعدنية والخشبية والعاجية والخزفية ، وأدوات الزينة والترف ، من أهم المصادر التى يعتمد عليها المؤرخ فى كتابته التاريخية ، ذلك لأن الوثائق المكتوبة لا تكفى وحدها لهذا الغرض ، إما لندرتها ، أو لتناقض ما جاء فيها ، أو لاختلاط الحقائق التاريخية فيها بالقصص والأساطير ، أما الآثار فتتضمن نقوشا كتابية أصيلة معاصرة للأحداث ، وغير قابلة للتصحيف والتحريف ، وهو أمر شائع فى المصادر المكتوبة التى تتعرض مادتها فى بعض الأحيان لأهواء الكاتب وميوله ، كما تتعرض فى أحيان أخرى للتشويه والتحريف .

والآثار فى حد ذاتها تفيد المؤرخ فى الوقوف على درجة الاتقان المهنى التى وصل اليها الفنانون المسلمون فى العصور المختلفة ، كما تفيده فى معرفة التيارات الفنية التى كانت تترك بصماتها فى إنتاج الفنان المسلم ، ومصادر هذه التيارات ، والآثار على هذا النحو تعتبر سجلا تاريخيا حيا للأعمال التى قام بها الولاة والأمراء والسلاطين والخلفاء فى العصور الإسلامية المختلفة ، وشاهدا ماديا ماثلا على ما وصلت اليه الحضارة الإسلامية من تقدم أو تأخر فنى فى هذه العصور . وكثيرا ما تعبر بعض الآثار عن نواحى سياسية هامة ، فالنفوذ الأندلسى على المغرب الأقصى فى عصر دولة بنى أمية فى الأندلس يتجلى بصورة واضحة فى مسجدى القرويين والأندلس بمدينة فاس ، وسيطرة المرابطين والموحدين على الأندلس يعبر عنها الأسلوب الفنى المشترك السائد فى كل من المغرب والأندلس فى هذين العصرين ،

وغلبة الطابع الغرناطي على آثار المغرب كله منذ أوائل القرن الرابع عشر ، يعبر عن أثر العلاقات السياسية بين بني مرين وبني الأحمر في الفنون المعمارية والصناعية ، كما يعبر أيضا عن حقيقة تاريخية ثابتة ، هي هجرة الفن الأندلسي الغرناطي الى المغرب بعد انتهاء دولة الإسلام في الأندلس (١) .

كذلك يعبر استخدام الخوذة المفصصة التي تشبه العامة والتي تكسوها زخرفة خزفية خضراء بأعلى مئذنتي جامع الناصر محمد بن قلاوون بالقلعة ، واستخدام الزخارف المعروفة بالدالات في إحدى هاتين المئذنتين ، عن توافد تأثيرات مغولية إيرانية على مصر ، كما يعبر شكل مئذنة أحمد بن طولون الملوية ، وتشابهها بمئذنة جامع أبي دلف بسامرا ، واستخدام الزيادات في تخطيطه ، والدعائم الآجرية في البناء ، والزخارف النباتية المحفورة حفرا مائلا في الجص ، عن تأثير عراقي فارسي واضح كل الوضوح ، ولا مجال لانكاره (٢) . ومن المعروف أن مؤسس هذا الجامع من أصل تركي ، ولد بسامرا ، وعاش فيها ، وتأثر بما شاهده من منشآتها ، فنقل هذا الطابع السامرائي العراقي فيما أسسه من منشآت معمارية في مصر .

كذلك تفيد الآثار في دراسة تاريخ العمران المدني ، لأن الآثار تحدد المعالم البارزة من المدينة الاسلامية ، وتخطيطها في العصور الوسطى ، كما تحدد الأسوار المتخلفة والأسوار التي أقيمت في عصر لاحق عن تطور الاتساع العمراني في المدينة المراد دراستها .

---

(١) السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ج ، ص ٩٠

(٢) السيد عبد العزيز سالم ، المآذن المصرية ، القاهرة ١٩٥٩ ، ٩٠

وعلى هذا النحو أصبحت دراسة الآثار ضرورة لازمة لدراسة التاريخ السياسى والحضارى ، وعالم الآثار يعنى بترتيب مخلفات الحضارات القديمة ، وبتفسيرها ، واستنباط الحقائق التاريخية منها . وهو لايقف فى دراسة هذه المخلفات عند ما له قيمة فنية منها فحسب ، بل انه يفحصها جميعا ، ويعمل على معرفة تاريخها ، وتحديد مستوى الحضارة التى أنتجتها ، والأغراض التى كانت تستعمل فيها ، وهو يصل إلى هذا كله بأساليب علمية ، قوامها المشاهدة والمعاينة والمقارنة والاستنباط (١) .

وقد تنبه العلماء المستشرقون فى العصر الحديث إلى أهمية الدراسة الأثرية بالنسبة للتاريخ ، فتتابعت بحوثهم العلمية تلقى أضواء على نواحى تاريخية كانت غامضة ، ومن أشهر هؤلاء المستشرقين : جورج مارسيه ، وهنرى تيراس ، وإيلى لامبير ، وتوريس بلباس ، وبوريس ماسلو ، وهنرى باسيه ، وميجون ، وسلادان ، وزاره ، وهرتسفيلد ، وكونل ، وكرسويل ، وآرثرلين ، وجاستون فييت ، وسوفاجيه ، وديماند ، وجروهمان .

ومن أشهر علماء الآثار الاسلامية العرب والمشتغلين فى هذا الميدان الأساتذة : الدكتور أحمد فكرى (٢) ، والدكتور فريد شافعى ، والدكتور عبد العزيز مرزوق ، والدكتور جمال محرز

---

(١) زكى محمد حسن ، دراسات فى مناهج البحث ، ص ١٥٤

(٢) للأستاذ الدكتور أحمد فكرى فضل عظيم فى تكوين عدد من الباحثين فى الآثار من تلاميذه ، فعليه أخذ الدكتور محمد توفيق بلبع والدكتور عثمان اسماعيل والأستاذ حلمى سالم ومؤلف هذا الكتاب ، كذلك كان لأبحاثه الأصيلة فى الآثار الإسلامية فى المغرب =

والمرحوم الدكتور زكى محمد حسن، والمرحوم الأستاذ حسن عبد الوهاب، والأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب، والأستاذ ابراهيم شبوح ، والأستاذ عبد العزيز بن عبد الله، والأستاذ عبد الهادى التازى ، والدكتور موريس شهاب ، والأستاذ أحمد كمال ، والأستاذ مصطفى جواد ، والأستاذ ناصر النقشبندى ، والاستاذ كوركيس عواد ، والأستاذ كاظم الجنابى.

= والمشرق ، ودراساته القيمة فى فن العمارة الإسلامية، أعظم الأثر فى تصحيح كثير من مآخذ المستشرقين ومزلاتهم :

الفصل الخامس

المصادر المكتوبة

(١) القرآن الكريم والحديث والتفسير

(٢) كتب الطبقات والأنساب

(٣) كتب الجغرافية

(٤) كتب الرحلات

(٥) الشعر العربي والكتب الأدبية

(٦) كتب الخراج والحسبة والخطط

الفصل الخامس

المصادر المكتوبة

(١)

القرآن الكريم والحديث والتفسير

يعتبر القرآن الكريم ، أساس التشريع الاسلامى ومصدره الأول ، مصدراً تاريخياً هاماً ، بل أقدم المصادر العربية المدونة لتاريخ العرب فى عصر الجاهلية ، وأصدقها على الاطلاق لأنه تنزيل من الله تعالى لاسبيل إلى الشك فى صحه نصه(١). ففيه ذكر لبعض مظاهر حياة العرب السياسية والاقتصادية والدينية ، وفيه ذكر لبعض أخبار الشعوب البائدة (عاد وثمود) ، وفيه أخبار عن أصحاب الفيل (أبرهة الحبشى وجيشه) ، وسيل العرم (وهو السيل الذى أصاب سد مأرب)، وأصحاب الأخدود (أهل نجران الذين أحرقهم ذو نواس الحميرى فى أخاديد) . هذه الأخبار أوردها الله تعالى فى كتابه العزيز عبرة وموعظة للعرب بما أصاب الله الشعوب البائدة من قصاص لتكذيبهم الرسل والأنبياء ، وقد أثبتت الحقائق التاريخية الثابتة والكشوف الأثرية صحة ما جاء فى القرآن الكريم من أخبار العرب البائدة ودقتها ، ومن المعروف أن الشعوب العربية البائدة انقرضت لعاملين: الرمل الزاحف الذى طغى على العمران القديم فى أواسط شبه الجزيرة العربية وفى

---

(١) طه حسين ، فى الأدب الجاهلى ، القاهرة ١٩٢٧ ص ٦٨ — جواد على ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، القسم السياسى ، ج ١ ، بغداد ١٩٥٠ ص ٣٥ — صبحى الصالح ، مباحث فى علوم القرآن ، دمشق ، ١٩٦٢ ص ٣٩٣ — عمر فروخ ، تاريخ الجاهلية ، بيروت ١٩٦٤ ص ١٦ .

الأحقاف ، وهياج البراكين وما ترتب عليه من تدمير شامل لمدن كانت مزدهرة.
ولقد ورد فى القرآن الكريم أن قبائل عاد وثمود بادت بصاعقة دمرت كل شىء وأن الله أرسل عليهم ريحاً صرصراً عاتية أتت على كل شىء ، وفى عاد وثمود يقول الله تعالى : « فأما عاد فاستكبروا فى الأرض بغير الحق ، وقالوا من أشد منا قوة ، أو لم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة ، وكانوا بآياتنا يجحدون . فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً فى أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ، ولعذاب الآخرة أخزى وهم لاينصرون . وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ، فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون »(١). وقال تعالى : « وفى عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ، ماتذر من شىء أتت عليه إلا جعلته كالرميم ، وفى ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين . فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون . فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين »(٢)، وقال تعالى : « وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين ، كأن لم يغنوا فيها . ألا إن ثموداً كفروا ربهم ألا بعداً لثمود »(٣). ولستدل من هذه الآيات القرآنية على أن قوم ثمود وعاد هلكوا على أثر ريح عاتية أو على أثر تفجر بركان صحبته رجفة عنيفة . ويذهب المؤرخون العرب إلى القول بأن مساكن عاد كانت تقوم فى الأحقاف من اليمن ، بين اليمن وعمان إلى حضرموت والشحر، استناداً إلى قوله تعالى : « واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف »(٤) . ولكن القرآن الكريم لم يحدد موضع الأحقاف من بلاد العرب ، وإنما حدده المفسرون،

---

(١) القرآن الكريم ، سورة فصلت ٤١ آية ١٥ — ١٧
(٢) القرآن الكريم ، سورة الذاريات ٥١ آية ٤١ — ٤٥
(٣) القرآن الكريم ، سورة هود ، ١١ آية ٦٧ — ٦٨
(٤) القرآن الكريم ، سورة الأحقاف ٤٦ آية ٢١

ولما كانت لفظة الأحقاف تعنى الرمال ، فقد اندفع معظم الأخباريين يلتمسون مواضع عاد فى الصحراء ، وأخذوا ينسجون حولهم القصص والأساطير ، غير أن بطليموس الجغرافى يذكر أن شعب Oaditae أو عاد كان يسكن فى المناطق الشمالية الغربية من شبه جزيرة العرب ، وفى منطقة حسمى بالذات ، على مقربة من منازل ثمود « Thamydeni » . ومما يؤكد صحة ما ذكره بطليموس أن عاد اقترن ذكرها فى القرآن الكريم بثمود ، « الذين جابوا الصخر بالواد »(١) ، والمقصود بالواد وادى القرى ، وهو أحد الأودية التى تتخلل سلسلة جبال حسمى ، ومن بينها جبل إرم(٢) ، الذى يعرف اليوم باسم جبل رم(٣) فى الأردن ، كما أن منطقة حسمى الجبلية تعتبر أقرب إلى مواضع مساكن ثمود من مناطق الأحقاف الرملية التى حدد المفسرون موقعها بين اليمن وساحل عمان ، ونضيف إلى هذه القرائن مارواه البكرى فى معجمه إذ يذكر أن الأحقاف التى كانت منازل عاد جبل بالشام أو هى خشاف من حسمى ، والخشاف الحجارة فى الموضع السهل واسم الأحقاف « حقاف » نجده اليوم فى المنطقة الجنوبية الغربية من مدين(٤) .

كذلك لم يحدد القرآن الكريم منازل ثمود تحديدا دقيقا ، ولكن ورد فيه ما يشير إلى أنهم نحتوا بيوتهم فى الصخر بالوادى « وثمود الذين جابوا الصخر

---

(١) القرآن الكريم ، سورة الفجر ٨٩ آية ٩

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، المجلد الأول ، طبعة بيروت ١٩٥٥ ، ص ١٤٤

(٣) ألويس موسل ، شمال الحجاز ، ترجمة الدكتور عبد المحسن الحسينى ، الاسكندرية ١٩٥٢ ص ١٣٠ — جواد على ، ج ١ ، ص ١٢٩ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ . وجبل رم يقع على بعد ٢٥ ميلا شرقى العقبة قريبا من عين ماء ، وقد عثر فى هذا الموضع على آثار من العصر الجاهلى (جواد على ، ج ١ ص ٢٣٥) .

(٤) موسل ، شمال الحجاز ص ١٣٧

بالواد » ، وقد فسرت الآية بأن قوم ثمود نقروا بيوتهم فى صخور الجبال فى وادى القرى . ويذكر المسعودى أن منازلهم كانت تقع بين الشام والحجاز إلى ساحل البحر الحبشى ، وأن ديارهم بفج الناقة ، وبيوتهم كانت ماتزال فى عصره منحوتة فى الجبال ، ورسومهم باقية وآثارهم بادية فى طريق الحاج لمن قدم من الشام بالقرب من وادى القرى(١) ، ويؤكد ابن خلدون أن ديارهم بالحجر ووادى القرى فيما بين الحجاز والشام .وأن الرسول مر على خرائب ديارهم فى غزوته لتبوك ، ونهى عن دخولها(٢) ، كذلك ورد اسم ثمود فى كتب اليونان، وحددها بلنيوس فيما بين مدينتى دومة الجندل Domata ومدينة الحجر Haegra ، كما حددها بطليموس بالقرب من ديار عاد فى أعالى الحجاز(٣) . ومن المعروف أن الحجر كانت من المحطات التجارية الهامة فى الطريق التجارى بين اليمن والشام ومصر والعراق(٤) . وقد تمكن العلماء فى العصر الحديث من الكشف عن عدد من النقوش الثمودية فى أرض تبوك ومدائن صالح وتيماء ، وفى جبل رم ، وفى الطائف(٥) . ويعتقد كوسان دى برسفال أن هناك ثمة تقارب بين الثموديين الذين نحتوا بيوتهم فى الجبال وصاحبهم قدار الأحمر الذى تسبب فى نكبتهم حتى قيل (أشأم من أحمر ثمود أو أشأم من عاقر الناقة) وبين الحوريين أوسكان

---

(١) المسعودى ، مروج الذهب ، طبعة محيى الدين عبد الحميد ج٢ ص٤٢ . وفى موضع آخر يشير إلى أنهم كانوا ينزلون الحجر بين الشام والحجاز (ج ١ ص ٤٢) .

(٢) ابن خلدون ، كتاب العبر ، مجلد ٢ ص ٤١ (طبعة بيروت ١٩٦٥)

(٣) جواد على ، ج ١ ص ٢٤٨ .

(٤) موسل ، شمال الحجاز ، ص ١٣١ ـ جواد على ، ج ١ ص ٢٤٨ ومايليها .

(٥) جواد على ، ج ١ ص ٢٥٠

الكهوف فى بلاد سعير وزعيمهم كدر لعومر الواردة أخبارهم فى التوراة(١) . ويعتقد برسفال أن الثموديين هم الحوريون سكان بلاد سعير حتى برية فاران ويعلل خلط الأخباريين بينهم بأن الثموديين كانوا يسكنون فى مناطق مجاورة للحوريين(٢) .

وسيل العرم الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم يقصد به السيل الذى أدى إلى انهيار سد مأرب الشهير ، أهم سدود اليمن فى عصر الدولتين السبئية والحميرية الأولى ، وإلى هذا السد يرجع الفضل الأعظم فى تحويل مأرب ، حاضرة السبئيين إلى جنة يانعة ، وإلى تعريف بلاد اليمن ببلاد العرب السعيده(٣) ، وبالبقعة الخضراء والأرض الخضراء ، والخضراء لكثرة مزارعها وأشجارها وثمارها(٤) ، بل اننا نعتقد أن بلاد اليمن التى ورد اسمها فى النصوص الجنوبية باسم يمنات ويمنت ومعناها الخير واليمن(٥) . وما زالت آثار السد وآثار الجنتين الواقعتين على يمينه وعلى يساره ظاهرة حتى اليوم ، تؤكد صحة ماجاء فى القرآن الكريم : « لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية . جنتان عن يمين وشمال »(٦) .

أما فى عصر النبوة فتتجلى أهمية القرآن الكريم التاريخية ، فى أنه يبين

---

(١) سفر التكوين ، اصحاح ١٤/٤

(٢) Caussin de Perceval, Essai sur l'histoire des Arabes, Paris, 1847, t, I, p. 26.

(٣) عرفها اليونان باسم Arabia Felix ؛

(٤) الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ٥١

(٥) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ العرب فى الجاهلية ، ص ١٢٧ ،

(٦) القرآن الكريم ، سورة سبأ ، آية ١٤ - ١٦ .

تطور الدعوة الإسلامية ، ويشير فى مناسبات كثيرة الى الجهود المضنية التى بذلها النبي صلى الله عليه وسلم لنشر الاسلام وتأسيس الدولة الاسلامية ، والعقبات التى صادفته ، لأن كل سورة فيه ترتبط بفترة معينة من حياته .

ومع ذلك فان عدداً من المستشرقين لايعتبرون الكتب المقدسة ومن بينها الكريم مصادر تاريخية يعول عليها ، لأن ما جاء فيها لا يتضمن تفصيلات تاريخية ، كما أنها تهدف الى عبرة أخلاقية ، بالاضافة الى أن بعض أخبارها لايزال غير واضح وينقصه التحديد الزمانى والمكانى(١) . وعلى الرغم من ذلك فان القرآن الكريم يعتبر مصدرا لايرقى اليه الشك للتأكيد على وقوع بعض أحداث فى الجاهلية مثل حادثة أصحاب الأخدود ، وحادثة سيل العرم ، وقصة أصحاب الفيل ، ثم انه مرآة صادقة للحياة الجاهلية ، يصور الحياة الدينية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والعقلية أيضا أصدق تصوير(٢) .

أما الحديث ، وهو المصدر الثانى للشريعة الاسلامية لأنه يتضمن أحكاما وقوانين للمجتمع الاسلامى المتطور ، فيعتبر أصدق المصادر التاريخية بعد القرآن الكريم ، على الرغم من أن الحديث لم يدون بالفعل الا فى أواخر القرن الثانى الهجرى ، فى خلافة عمر بن عبد العزيز لأن الأحاديث كانت تحفظ فى صدور الرجال أو تكتب فى صحائف متفرقة . والحديث يمثل أقدم الروايات الشفوية التى وصلت الينا عن طريق التدوين وأدقها ، لاعتماده على الاسناد ، ثم أن الأحاديث كانت تتعرض لكل ما كان قائما من نظم الحياة الدينيـــة والفكرية

---

(١) سيدة كاشف ، مصادر التاريخ الاسلامى ، ص ١٦ .

(٢) احمد ابراهيم الشريف ، مكة والمدينة فى الجاهلية وعصر الرسول ، القاهرة ١٩٦٧ ص : و — ط

والاجتماعية والسياسية والاقتصادية فى الدولة العربية الاسلامية ، ولما كان كثير من هذه الأحاديث موضوعة انتحلت لتلبية حاجة البدع والنزعات التى بعدت عن مقاصد الرسول ، فلابد للباحث فى الأحاديث من الاعتماد على المجموعات الصحاح كجامع الصحيح للبخارى (ت ٢٥٧) وصحيح مسلم (ت ٢٦٢ ﻫ) ، وسنن أبى داود (ت ٢٧٥ ﻫ) وسنن الترمذى (ت ٢٧٩ ﻫ) .

ويلى القرآن والحديث فى طبقات المصادر التاريخية كتب التفسير التى تتضمن شروحا تفصيلية لما ورد فى القرآن الكريم من أخبار مختصرة عن بعض الأحداث فى الجاهلية وفى عصر النبوة الأول ، أولما أغلق علينا فهمه من تشبيهات واستعارات. وقد نشأ التفسير فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم أول شارح للقرآن الكريم ، ثم تولى صحابته من بعده هذه المهمة ، باعتبارهم « الواقفين على أسراره ، المهتدين بهدى النبى صلى الله عليه وسلم »(١) .

ومن أشهر المفسرين من الصحابة عبد الله بن عباس ، وعن الصحابة أخذ التابعون، وعن التابعين أخذ تابعو التابعين، فجمعوا أقوال من تقدمهم، وصنفوا التفاسير(٢)، ثم اتجه العلماء فى تفاسيرهم اتجاهات متباينة ، فكان ما يسمى بالتفسير المأثور(٣) ، ومن أشهر كتب هذا التقسيم التفسير التاريخى المعروف بتفسير الطبرى ، ويسمى

---

(١) صبحى الصالح ، مباحث فى علوم القرآن ، ص ٣٣١

(٢) صبحى الصالح، نفس المرجع، ص ٣٣٢ ، ٣٣٣

(٣) يعرف أيضا بالتفسير النقلى ، لأنهم لجأوا فيه الى طريقة النقل عن النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين (راجع عبد المنعم ماجد ، تاريخ الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى ، ص ١٦٦)

كتابه « جامع البيان فى تفسير القرآن »(١) ومنها أيضا تفسير ابن كثير الدمشقى (ت ٧٧٤)(٢) .

وكان هناك ما يسمى بالتفسير بالرأى ، ويعتمد المفسر فيه على اللغة ومعانى الألفاظ ولذلك عرف أيضا بتفسير الدراية أو التفسير العقلى ، وفيه تعددت المناهج وكثر الاختلاف . وأشهر التفاسير بالرأى تفسير الزمخشرى(٣) (ت٥٢٨) ويعرف بالتفسير اللغوى ، وتفسير فخر الدين الرازى(٤) (ت ٦٠٦ هـ) وهو تفسير عقلى ، عنى فيه ببحث الكونيات، ويقسم الآيات التى يتولى تفسيرها إلى عدد من المسائل ، يقوم بتأويلها مدافعاً عن عقيدة أهل السنة والجماعة(٥) ، ومنها تفسير البيضاوى (ت ٦٨٥ هـ) المسمى « أنوار التنزيل وأسرار التأويل »(٦) ، وفيه يعنى باثبات الأدلة على أصول أهل السنة . ومنها تفسير أبى السعود ، وتفسير النسفى ، وتفسير الخازن .

---

(١) طبعة بولاق فى ٣٠ جزءاً ، القاهرة ١٣٢١ هـ

(٢) طبعة مصر ، فى ٤ أجزاء ، القاهرة ١٣٥٦ هـ

(٣) عنوانه : « حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل » طبعة مصر فى جزأين ، ١٣٠٧ هـ

(٤) عنوانه « مفاتيح الغيب » أو التفسير الكبير ، طبعة القاهرة فى ٨ أجزاء ، ١٣٠٨ هـ

(٥) صبحى الصالح ، المرجع السابق ص ٣٣٦ - عمر فروخ تاريخ الجاهلية ص ١٧

(٦) طبعة بولاق ، ١٢٨٢ ، ١٢٨٣ فى جزأين

(٢)
كتب الطبقات والأنساب(١)

يقصد بكتب الطبقات الكتب التى عالج مؤلفوها سير طائفة معينة من الفقهاء أو القضاة أو الصحابة ، أو الأدباء والشعراء والأطباء وغيرهم ، جيلا بعد جيل ، وطبقة بعد طبقة . أما كتب الأنساب فتجمع تراجم وسير أشراف العرب حسب أنسابهم ، فهى دراسة لتاريخ الأرستقراطية العربية على حسب أنسابها(٢) . ودراسة الأنساب لها أهميتها الخاصة للدراسة التاريخية كما سبق أن تحدثنا عن ذلك ، وكان الاهتمام السياسى بالقرشيين ، والطائفى بآل على ، والاهتمام القديم بالقبائل العربية ، واعتزاز الحكام والأشراف بأحسابهم وأنسابهم عندما قامت الخصومات القبلية ، ونشأت الشعوبية ، فى أواخر العصر الأموى ، كان كل ذلك من العوامل التى ساعدت على الكتابة فى الأنساب(٣) .

ومن أشهر كتاب الأنساب محمد بن السائب الكلبى وابنه أبو المنذر هشام ، والزبير بن بكار ، وأبو عبيدة معمر بن المثنى ، وأبو اليقظان النسابة . وعلى بن محمد المدائنى ، وقد كتب كل من مصعب بن عبدالله الزبيرى ، وعلى بن محمد المدائنى ، والزبير بن بكار والجمحى وابن عبده كتابا عن أنساب قريش ، وصلنا منها كتاب نسب قريش لمصعب وبعض ما كتبه الزبير بن بكار . وينسب إلى البلاذرى كتاب

---

(١) فيما يختص بكتب السيرة والمغازى والفتوح باعتبارها مصادر هامة للتأريخ الاسلامى ، ارجع إلى الفصل الذى أفردناه لها فى صفحات ٥٣ ـ ٧٠ من هذا الكتاب .

(٢) راجع ما سبق ص ٧١

(٣) روزنتال ، ص ١٤٠

« أنساب الاشراف » . وهو كتاب كبير بحث فيه تاريخ أشراف العرب فى الجاهلية والاسلام حتى عصره ، وقد وصلت الينا نسخة كاملة من أنساب الأشراف مخطوطة فى اسطنبول ، وقام الأستاذ محمد حميد الله بنشر الجزء الأول منه فى سلسلة ذخائر العرب (عدد ٢٧) . ويبدأ البلاذرى فيه بذكر نسب نوح عليه السلام ، ثم يصل إلى عدنان ، ويتدرج بعد ذلك نزولا إلى ذكر أخبار الرسول وسيرته حتى وفاته ، ثم ينتقل إلى الحديث عن أبى طالب وأولاده ، ويخص بالحديث علي بن أبى طالب ، فيذكر وقائعه وحروبه ، ويروى سير ولاده ، ثم يتحدث عن أبى العباس السفاح وابى جعفر والخلفاء من بنى العباس حتى هارون الرشيد ، ويعود مرة ثانية لاستكمال رواية أنساب القرشيين ، أمثال بنى نوفل وبنى أمية وبنى زهرة وبنى تيم بن مرة ، وبنى هصيص بن كعب ، وينتهى من نسب قريش فى المجلد الرابع ، ثم يتتبع نسب بنى كنانة بن خزيمة بن مدركة وينتهى منه فى المجلد ١٢ ، ويبدأ بعد ذلك بتتبع نسب قيس ولد إلياس بن نصر حتى يصل إلى ثقيف ، ويبدو أنه توفى قبل ان ينتهى من بقية قبائل قيس(١).

ولكن الكتابة فى الأنساب على النحو الذى أداه البلاذرى لم تعد بعد ذلك أداة ملائمة لكتابة تاريخ المدنية الاسلامية المعقدة ، فلم تلبث ان تركت المجال لغيرها من الكتابات فى مناحى متعددة من الحياة ، ووجدت الكتابة فى الأنساب لها مجالا خصبا فى أرض الأندلس لغلبة الصفة الإقليمية فى هذا القطر الاسلامى المتطرف ، بالاضافة الى اصطدام العنصرية العربية هناك بعنصريات بربرية وصقلية ، اتاحت الفرصة لظهور طوائف متعددة ، واشتعال جذوة المنافسات العنصرية بين العرب وبين البربر والصقالبة . ونتج عن ذلك اهتمام الكتاب

(١) البلاذرى ، أنساب الاشراف ، ص ٢٦ من المقدمة

بالكتابة فى أنساب العرب ، وأهم كتب الأنساب فى الأندلس : كتاب لأحمد بن محمد الرازى عن « أنساب مشاهير أهل الأندلس » فى خمسة أسفار ضخمة ، وكتاب لابن عبدالبر بعنوان « الاستيعاب فى معرفة الأصحاب » ، وكتاب لابن حزم القرطبي بعنوان «جمهرة أنساب العرب» . كذلك ظهرت كتب فى أنساب البربر مجاراة لأنساب العرب ، منها كتاب عن مفاخر البربر لمؤرخ مجهول ، نشر الأستاذ ليفى بروفنسال نبذا تاريخية منها(١) ، ومنها كتاب عن العشائر وأصحاب المهدى ابن تومرت بعنوان : « كتاب الأنساب فى معرفة الأصحاب »(٢) .

ثم كثرت عناية كتاب الطبقات فى المشرق والمغرب بوضع معاجم لطوائف الرجال ولفروع العلوم وذلك عندما اتسعت آفاق المعارف وأصبحت هناك ضرورة إلى وضعها ، وتعتبر هذه المعاجم من المصادر الهامة للتأريخ الاسلامى ، إذ هى تزود الباحث فى التاريخ بمادة تاريخية خصبة .

ومن بين كتب الطبقات والتراجم الخاصة بالفقهاء والصحابة والقضاة والصوفية ، والأدباء والأعيان والعلماء والشعراء والأطباء والنحويين المصنفات الآتية :

١ — ابن الأثير (على بن احمد) ت ٦٣٠ : أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، ٦ أجزاء طبعة القاهرة ١٢٨٠ هـ — ١٢٨٦ ، وهو تراجم لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢ — ابن الفرضى (أبو الوليد عبدالله بن محمد) ت ٤٩٣ : تاريخ علماء

---

(١) ط . الرباط ، ١٩٣٤

(٢) Lévi - Provençal, Documents inédits d'histoire almohade, Paris, 1928

الأندلس ، مدريد ١٨٩٢ ، فى مجلدين (المجلدان السابع والثامن من المكتبة العربية الاسبانية ، تحقيق كوديرا) ويعتبر هذا الكتاب أقدم معجم وصل الينا عن علماء الأندلس .

٣ — الخشنى (محمد بن حارث) ت ٣٦١ هـ : تاريخ قضاة قرطبة ، تحقيق ريبيرا ، مدريد ١٩١٤ .

٤ — النباهى (أبو الحسن بن عبد الله) : تاريخ قضاة الأندلس المسمى بكتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، نشره الأستاذ ليفى بروفنسال ، القاهرة ١٩٤٩ .

٥ — ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن احمد) ت ٥٧٨ : كتاب الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم ، تحقيق كوديرا ، مدريد ١٨٨٢ .

٦ — ابن الزبير (أبو جعفر احمد) ت ٧٠٨ : كتاب صلة الصلة فى تراجم أعلام الأندلس ، نشره الأستاذ ليفى بروفنسال ، باريس ١٩٣٨ .

٧ — ابن الأبار (أبو عبد الله محمد القضاعى) ت ٦٥٨ : كتاب التكملة لكتاب الصلة ، فى جزأين (المجلدان ٥ ، ٦ من المكتبة العربية الأسبانية) ، تحقيق كوديرا ، مدريد ١٨٨٧ — ١٨٨٩ .

٨ — ...... : المعجم فى أصحاب الامام أبى على الصدفى ، المجلد ٤ من المكتبة العربية الأسبانية ، تحقيق كوديرا ، مدريد ١٨٨٥ .

٩ — ...... : الحلة السيراء ، جزآن ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٦٣

١٠ — الحميدى (أبو عبد الله محمد بن فتوح) ت ٤٨٧ : جذوة المقتبس فى

تاريخ رجال الأندلس ، تحقيق الاستاذ محمد بن تاويت الطنجى ، القاهرة
١٣٧١ ﻫ (١٩٥٢) .

١١ — الضبى (أبو جعفر احمد بن يحيى) ت ٥٩٩ : بغية الملتمس فى تاريخ
رجال الأندلس ، نشره كوديرا وريبيرا ، مدريد، ١٨٨٥

١٢ — ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد) ت ٦٨١ : وفيات
الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق الأستاذ محمد محيى الدين عبد
الحميد ، فى ستة أجزاء ، القاهرة ١٩٤٨ — ١٩٤٩ .

١٣ — الكتبى (محمد بن شاكر بن أحمد الحلبى) ت ٧٦٤: فوات الوفيات،
جزأين ، القاهرة ١٩٥١ .

١٤ — الشعرانى (عبدالوهاب) : لواقح الأنوار فى طبقات السادة الأخيار،
فى جزأين ، القاهرة ١٨٨١ .

١٥ — .... : الطبقات الكبرى ، القاهرة ، ١٣٤٣ ﻫ .

١٦ — السلمى (أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين) ٤١٢ : طبقات الصوفية.

١٧ — السبكى (تاج الدين عبد الوهاب) : ت ٧٧١ ﻫ : طبقات الشافعية
الكبرى ، ٦ أجزاء القاهرة ١٣٢٤ ﻫ

١٨ — ابن القفطى (جمال الدين على بن يوسف) ت ٦٤٦ : إخبار العلماء بأخبار
الحكماء ، القاهرة ١٣٢٦ .

١٩ — ابن أبى أصيبعة (أبو العباس احمد بن القاسم) ت ٦٦٧ : عيون
الأنباء فى طبقات الأطباء ، جزآن : القاهرة ١٢٩٩ ، ١٣٠٠ ﻫ .

٢٠ — ابن حجر العسقلانى (شهاب الدين احمد بن على) ت ٨٥٣ : الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، ٤ أجزاء ، حيدر أباد ، الهند ، ١٣٥٠ هـ .

٢١ — الشوكانى (محمد بن على) ت ١٢٥٠ هـ : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، القاهرة ١٣٤٨ هـ .

٢٢ — السخاوى (شمس الدين محمد) ت ٩٠٢ هـ : الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع ، القاهرة ١٩٣٤ — ١٩٣٦ .

(٢)

كتب الجغرافية

اهتم العرب بالجغرافية اهتماما خاصا منذ أقدم العصور ، لارتباطها بحياتهم ، كان عليهم أن يعلموا شيئا عن النجوم الثابتة ، ومسير الكواكب المتحركة ، ومتابعة تغيرات المناخ(١) ، ومصادرهبوب الرياح ، وأوصافها ، كما كانوا يهتمون بالسحب وأنواعها لمعرفة نزول الغيث الذى يعتمدون عليه فى السقياوالمرعى(٢) .
وبدأت حركة التأليف فى الجغرافيةفى نفس الوقت الذى بدأت فيه الكتابةالتاريخية. فكان أول من كتب فى التاريخ العربى هم أنفسهم الذين كتبوا فى الجغرافية العربية، ذلك أن التاريخ والجغرافية كانا فى نظر العرب فرعين متلازمين من شجرة المعارف العامة التى كانوا يطلقون عليها اسم « الأدب » بوجه عام(٣) ، ومثل ذلك أن هشام بن محمد الكلبى الذى ألف فى جملة ما ألفه من الكتب التاريخية كتبا فى البلدان وفى قسمة الأرضين ، وفى الأنهار ، وفى الأقاليم ، وفى عجائب البحر ، وكذلك ألف أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعى (ت٢١٧هـ) كتبا فى النبات والشجر، وفى الأخبية والبيوت ، وفى الأنواء ، وفى وصف جزيرة العرب ، وفى مياه الأرض، كما ألف أبو حنيفه الدينورى كتابا عنوانه « البلدان » . وذكر ياقوت فى معجم الأدباء النظر بن شميل ابى مالك التيمى (ت ٢٠٤) كتاب الأنواء وكتاب الشمس والقمر ، إلا أن معظم ما كتبه هؤلاء كان قاصرا على الجزيرة العربية والبادية .

---

(١) نفيس احمد ، جهود المسلمين فى الجغرافية ، ترجمة الأستاذ فتحى عثمان ، مجموعة الالف كتاب ، عدد ٢٧٢ ، ص ٢٥

(٢) الالوسى ، بلوغ الارب ، ج ٣ ص ٣٥٨ .

(٣) حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيون فى الأندلس ، ص ١٩٩ ، ٢٢٠

أما فى المغرب والأندلس ، فقد نشطت حركة الكتابة الجغرافية فى عصر مبكر ، متصلة مع الحركة التاريخية ، فكتب عن الأندلس والمغرب أحمد بن محمد الرازى، وابن النظام ، والبكرى ، وابن سعيد .

وزاد اهتمام العرب ، منذ أن اتسعت رقعة الدولة العربية فى العصر العباسى بالفتوحات الجديدة، خاصة فيما وراء النهر والسند . والتركستان ، بوصف الأقاليم الاسلامية ومدنها ، وذكر مسالكها والطرق المؤدية اليها وحاصلاتها ، ومناخها ، ويعزون هذا الاهتمام بالمنافسة الواضحة بين الأقاليم المختلفة حيث توزعت مراكز الثقافة من الأندلس حتى تخوم الصين ، وعاون على ذلك انتشار الاسلام واللغة العربية عقب الفتوحات ، وأدى ذلك إلى نمو الثقافة العامة . هذا إلى الاهتمام بتقدير ثروات هذه البلاد ، لمعرفة قدرتها على دفع الجزية والخراج ، فظهرت لذلك الجغرافية الإدارية أو السياسية . ويتمثل هذا النوع من الكتب الجغرافية فى كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة الفارسى (ت ٣٠٠ هـ) ، وفى كتاب الخراج وصنعه الكتابة لقدامة بن جعفر (ت ٣٢٠ هـ)(١) .

وزادت عناية العرب والمسلمين فى أوائل القرن الرابع الهجرى بعلم تقويم البلدان ، وذلك لكثرة الاسفار والرحلات التى كان يقوم بها التجار وأهل العلم والرحالة والحجاج من سائر أنحاء الدولة العربية الاسلامية ، بقصد التجارة ، أو لطلب العلم ، أو لمجرد الرغبة فى المشاهدة والمعاينة ، أو حبا للمغامرة ، أو للحج إلى مكة ، فكثرت المصنفات الجغرافية التى تحررت من القيود السابقة ، وأصبحت الرغبة فى المعرفة هى أساس الكتابة الجغرافية .

وكانت الكتب الجغرافية العربية إما كتبا فى الجغرافية الوصفية، أو كتبا فى

---

(١) المكتبة الجغرافية العربية ، الجزء السادس ، تحقيق دى غويه . ليدن ١٨٨٩ .

التفسير الجغرافى ، أو كتبا خاصة بعلم الخرائط ، أو كتبا فى الجغرافية الفلكية أو الرياضية . ولقد تأثر الجغرافيون المسلمون قبل القرن الرابع الهجرى بجغرافية اليونان عندما بدأوا ينقلون كتبها الى العربية ، وهم فى ذلك تلاميذ للاغريق ، واتخذوا من كتابى بطليموس القلوذى وهما : جغرافية بطليموس ، والماجسطى المترجمان إلى العربية(١) مثالا احتذوه فى كتاباتهم الجغرافيه ، وعلى هذا الأساس يمكننا أن نسمى هذه المجموعة الأولى من الكتب الجغرافيه بمدرسة الجغرافية اليونانيه العربيه(٢) أو مدرسه الجغرافيه العربيه المتأثرة بجغرافية اليونان ، ويمثل هذه المدرسة جمهور كبير من الجغرافيين العرب نذكر منهم :

١ — ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبيد الله ، ت ٣٠٠ هـ) فى المسالك والممالك . كان ابن خرداذبة من أصل فارسى ، اشتغل عاملا على البريد فى اقليم الجبال بفارس ، وقد أفاد من وظيفته فى الحصول على قدر كبير من المعلومات عن الاقاليم البعيدة ، ولذلك فقد ضمن كتابه كثيراً من المعلومات والبيانات الوافية عن خراج البلاد وطرقها والمسافات بينها . وقد أفاد ابن حوقل ، وابن الفقيه

---

(١) قام بترجمة المجسطى أو الماجسطى الحجاج بن يوسف بن مطر الحاسب ، وقيل فى رواية أخرى أن سهل بن ربان الطبرى (ت ٢٢٦) هو الذى قام بترجمته ، وراجعه الحجاج ، ثم تولى مراجعته بعد ذلك حنين بن اسحاق (ت ٢٦٠ هـ) ثم ثابت بن قرة (ت ٢٨٩) ، ومن بعدها محمد بن جابر بن سفيان القبانى (ت ٣١٧ هـ) راجع : أوليرى ، مسالك الثقافة الاغريقية إلى العرب ، ص ٢٣٧ ، ٢٣٨)

ويعتبر كتاب المجسطى ذروة مابلغه اليونان من جهود فى علم الجغرافية ، ويتضمن ملخصا لكل ما كتب فيما يختص بحجم الارض ، وكرويتها ، واختلاف عروض البلدان وأوقات نزول الشمس فى نقطتى الاعتدال و نقطتى الانقلاب ... الخ

(٢) نقولا زيادة ، الجغرافية والرحلات عندالعرب ، بيروت ١٩٦٢ ، ص ١٧ ومايليها

الهمذانى ، والمقدسى من كتاب ابن خرداذبة .

٢ — المروزى (جعفر بن أحمد ، ت ٢٧٤) فى كتابه المسالك والممالك ، ذكره ابن النديم فى الفهرست .

٣ — السرخسى (احمد بن محمد بن الطيب ، ت ٢٨٦) فى كتابه المسالك والممالك ، وفى رسالة فى البحار والمياه والجبال . والسرخسى كان تلميذاً للكندى .

٤ — الخوارزمى (محمد بن موسى ، ت فى منتصف القرن الثالث) فى كتابه « صورة الأرض » . وقد أرفق المؤلف بكتابه خريطة كانت فيما يبدو تعريبا لخريطة بطليموس ، ويعتبر الخوارزمى لذلك أول صانعى الخرائط من المسلمين .

٥ — اليعقوبى (احمد بن أبى يعقوب بن واضح ، ت ٢٨٤) فى كتابه « البلدان » . هو من أشهر الجغرافيين والرحالة العرب ، وكتابه المذكور من الكتب الهامة فى الجغرافية الاقليمية الوصفية لأنه يتضمن معلومات هامة عن البلاد التى زارها ، وقد اهتم اليعقوبى فى هذا الكتاب ببغداد وسامرا ، فوصفها وصفا تفصيليا فى بداية كتابه ، ثم وصف إيران وطوران ، ووصف جزيرة العرب الوسطى والجنوبية ، والشام ، ومصر ، والنوبة ، والمغرب . ولم يكن اليعقوبى رجل جغرافية فحسب ، فقد كان إلى جانب حبه للجغرافية حريصا على تدوين ملاحظاته عن المجتمعات التى تعرف إليها ، وتواريخ الأسرات الحاكمة .

٦ — الكندى (أبو يوسف يعقوب ، ت ٢٦٠) : ألف كتابا فى الجغرافية عنوانه . « رسم المعمور من الارض » وهو اقتباس من كتاب بطليموس(١) ، كما ألف كتابا فى « أبعاد مسافات الأقاليم » .

---

(١) اقولا زيادة ، المرجع السابق ، ص ١٨

٧ — ابن رسته (أبو على أحمد بن عمر، ت فى أوائل القرن الرابع الهجرى) فى كتابه «الأعلاق النفيسة»: وهو كتاب ضخم يتكون من سبعة مجلدات، صدر منه جزء فى المكتبة الجغرافية العربية(١). والأثر اليونانى يتمثل فى نزوعه فى الكتابة إلى ناحية الفلك وامتداد الارض والبحار والانهار، وتقسيم الارض وعلاقتها بالفضاء. ومع ذلك فان تفسيره العلمى لكروية الارض بعيد عن أى أثر للتفسير اليونانى(٢).

٨ — ابن الفقيه الهمذانى (ت فى أواخر القرن الثالث الهجرى) فى كتابه «مختصر كتاب البلدان» وصف فيه الهمذانى الأرض والبحار فى الهند والصين وبلاد العرب، وأفاض فى وصف البصرة والكوفة، وقد نقل عنه كل من المسعودى وياقوت.

٩ — ابن فضلان (أحمد بن عباس بن رشيد بن حماد، ت فى النصف الأول من القرن الرابع). أوفده الخليفة المقتدر بالله العباسى فى سفارة إلى ملك البلغار بالفولجا فى صفر سنة ٣٠٩ هـ، وقد أتيح له أن يسجل رحلته فى كتاب استفاد منه ياقوت والاصطخرى والمسعودى(٣).

١٠ — القزوينى (زكريا بن محمد، ت ٦٨٢): ألف كتابين. أحدهما عن نظام الكون، يتضمن معلومات جغرافية هامة فى وصف المعالم البارزة من جزر وجبال وبحار وأنهار يسمى «عجائب المخلوقات(٤)» والثانى عن الجغرافية وتقويم

(١) المكتبة الجغرافية العربية، الجزء السابع، تحقيق دى غويه، ليدن ١٨٩٢

(٢) حسين مؤنس، المرجع السابق، ص ٢٠٦

(٣) زكى محمد حسن، الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٤٥ ص ٢٧، ٢٨ — نقولا زيادة، المرجع السابق، ص ٤٦

(٤) القزوينى، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، جوتنجن، ١٨٤٩

البلدان ، بعنوان « آثار البلاد وأخبار العباد »(١) . وصف فيه أقاليم الارض وفقا للتقسيم البطليموسى للأقاليم ، واعتمد فى القسم الخاص بالأندلس على الغرناطى والعذرى ، وفى القسم الاوربى الخاص بمدن أوربا على ابراهيم الطرطوشى (ت ٤٧٧) وأبى الربيع سليمان الملتانى الرحالة(٢) .

١١ — قدامة بن جعفر (أبو الفرج ، ت ٣٢٠ ﻫ) فى كتابه الخراج وصنعة الكتابة . وقد تحدث فيه عن أقسام العالم الاسلامى وعن الجباية وطرق البريد .

١٢ — الرازى : (احمد بن محمد : ت ٣٤٤) مقدمة كتاب أخبار الأندلس ، وقد استعرض فيها الرازى مسالك الأندلس ، ومراسيها وأمهات مدنها وأجنادها وخواص كل بلد منها ، وقد تأثر الرازى فى هذه المقدمة بجغرافية هيروشش(٣) .

* * *

ويلى هذه المدرسة العربية المتأثرة بجغرافية اليونان مدرسة عربية خالصة تمثل دور النضج فى الجغرافية عند العرب فى القرن الرابع الهجرى وما تلا ذلك . ونلاحظ فى نتاج هذه المدرسة أربعة اتجاهات :

أ — الاهتمام الشديد بوصف أقطار العالم الاسلامى أو البلدان أو الممالك .

ب — التخصص فى قطر واحد .

---

(١) القزوينى ، آثار البلاد وأخبار العباد ، جوتنجن ، ١٨٤٨

(٢) زكى محمد حسن ، الرحالة المسلمون ، ص ١٣١

(٣) طالع الفصل التالى الخاص بالجغرافية فى الأندلس

ج — الميل إلى وضع معاجم جغرافية .

د — كتابة الموسوعات الكبرى(١) .

ويمثل هذا الاتجاه فى وصف أقطار العالم الاسلامى ، وهو الميل إلى الكتابة فى المسالك أو البلدان أو الأقاليم أو وصف الأرض ، وقوامه المشاهدة والمقارنة والتحقيق ، البلخى والإصطخرى وابن حوقل والمقدسى والادريسى .

١ — البلخى (أبو زيد أحمد بن سهل ، ت ٣٢٢ هـ) : أصله من بلخ ، ويمتاز عن غيره من الجغرافيين السابقين عليه بأنه لم يتأثر بالجغرافية اليونانية ، بل هو أول من استقل عن بطليموس من جغرافيين المسلمين . فقد ذكر المقدسى أنه قسم الأرض إلى ٢٠ قسما ، فى حين قسمها بطليموس إلى سبعة أقاليم ، وفى هذا انفصال واضح عن التقسيم البطليموسى (٢) .

وقد ألف البلخى كتاب الأشكال ، أو صورة الأقاليم ، الذى يتضمن مجموعة من الخرائط مع شروحها ، كما ألف كتاب المسالك والممالك الذى لم يصل إلينا . ويعتبر البلخى من رواد المسلمين فى صناعة الخرائط .

٢ — الاصطخرى (أبو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسى ، ت فى القرن الرابع) فى كتاب المسالك والممالك الذى اعتمد فيه على كتاب المسالك والممالك البلخى ، وقد زود الاصطخرى كتاب بعدد من الخرائط ، على نفس النظام الذى اتبعه البلخى فى كتابه السالف الذكر ، وذلك توضيحا لما أورده فى كتاب من وصف للأقاليم (٣) .

٣ — ابن حوقل (أبو القاسم محمد ، ت ٣٨٠ هـ) فى كتابه المسالك والممالك والمفاوز والمهالك أو صورة الأرض ، حذا فيه حذو الاصطخرى . وكتابه

(١) نقولا زيادة ، الجغرافية والرحلات عند العرب ، ص ١٢ ، ١٣

(٢) المقدسى ، ص ٤ — نقولا زيادة ، ص ٣٢

(٣) زكى محمد حسن ، المرجع السابق ص ٣٦

يلخص رحلته الطويلة التي بدأها في سنة ٣٣١ هـ من بغداد طلبا لدراسة الممالك والبلدان ، ورغبة في الارتزاق عن طريق التجارة ، وانتهى منها بعد ما يقرب من ثلاثين عاما زار خلالها ديار الإسلام من الشرق الى الغرب ، كما زار أثناءها مناطق أخرى من أوربا مثل بلاد البلغار (١). واتصل في إفريقية بالفاطميين، واصطنعوه لهم عينا يعمل لحسابهم ضد الأمويين في الأندلس ، إذ كانوا يتطلعون إلى غزو الأندلس ، والقضاء على دولة بني أمية فيها (٢) . وقد رحل ابن حوقل الى الأندلس وطاف بمدنها وكتب في مقدمة دراسته للأندلس في كتابه تقريرا عنها ، جاء فيه : « ومن أعجب أحوال هذه الجزيرة بقاؤها على من هي في يده ، مع صغر أحلام أهلها ، وضعة نفوسهم ، ونقص عقولهم ، وبعدهم من البأس والشجاعة والفروسية والبسالة ، ولقاء الرجال ، ومراس الأنجاد والأبطال، وعلم موالينا عليهم السلام بمحلها في نفسها ، ومقدار جباياتها ومواقع نعمها ولذاتها » (٣) . ثم ينتقد جيوش الأندلس فيقول : « وليس لجيوشهم حلاوة في العين لسقوطهم عن أسباب الفروسية وقوانينها ، وإن شجعت أنفسهم ، ومرنوا بالقتال فإن أكثر حروبهم تتصرف على الكيد والحيلة ، وما رأيت ولا رأى غيري بها إنسانا قط جرى على فرس فاره أو برذون هجين ورجلاه في الركابين ، ولا يستطيعون ذلك، ولا بلغني عن أحد منهم لتخوفيهم السقوط وبقاء الرجل في الركاب على قولهم . وهم يفرسون

---

(١) نفس المرجع ، ص ٤٠ — نقولا زيادة ، المرجع السابق ص ٣٢

(٢) محمود علي مكي ، التشيع في الأندلس ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، المجلد ٣ ، ١٩٥٤ ص ١١٥ — مختار العبادي ، سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ، صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية بمدريد ، ١٩٥٧ ، ص ٢٠٥ — السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ج ٢ ص ٦٠٨ .

(٣) ابن حوقل ، صورة الأرض ، طبعة بيروت . ص ١٠٤ ، ١٠٥

على الأعراء من الخيل ، وما أطبقت قط جريدة عبد الرحمن بن محمد ولا من سبقه من آله وآبائه على خمسة آلاف فارس ممن يقبض رزقه ويختم عليه ديوانه ، لأنه مكفى المؤونة بأهل الثغور من أهل جزيرته ما ينوبه من كيد العدو ومن يجاوره من الروم ، ولا عدو عليه سواهم وقلما يكترث بهم ...» (١) .

وإلى جانب اعتماد ابن حوقل على الاصطخرى (٦) ، نراه يعتمد أيضا على كتب أخرى للجغرافيين السابقين عليه أمثال ابن خرداذبة وأبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهانى وزير السامانيين .

٤ ـ المقدسى (أبو عبد الله محمد بن أبى بكر ، ت ٣٨٧ هـ) فى كتابه «أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم» . يعتبر المقدسى من كبار الجغرافيين العرب فى القرن الرابع للهجرة . فان كتابه المذكور هو خلاصة ماشاهده وعاينه فى رحلاته وأسفاره الطويلة فى ديار الإسلام ، وخدماته للملوك ، ومجالسته للقضاة ، وتحصيله العلم على الفقهاء والعلماء . وقد اعتمد فيه أيضا على الجغرافيين العرب السابقين عليه أمثال: ابن خرداذبه والجيهانى والبلخى والهمذانى والجاحظ والهمدانى وابن رستة ، الذين انتقدهم بقوله ، «وكل من سبقنا الى هذا العلم لم يسلك الطريق التى قصدتها ، ولا طلب الفوائد التى أردتها ، أما أبو عبد الله الجيهانى ، فانه كان وزير أمير خراسان ، وكان صاحب فلسفة ونجوم وهيئة ، فجمع الغرباء وسألهم عن الممالك ودخلها وكيف المسالك إليها ، وارتفاع الخنس منها ، وقيام الظل فيها ليتوصل بذلك إلى فتوح البلدان ، ويعرف دخلها ، ويستقيم له علم النجوم ودوران

---

(١) نفسه . ص ١٠٨ ، ١٠٩

(٢) راجع له ابن حوقل كتابه وخرائطه بناء على طلبه

الفلك ، ألا ترى كيف جعل العالم سبعة أقاليم ، وجعل لكل إقليم كوكبا ، مرة يذكر النجوم والهندسة ، وكرة يورد ما ليس للعوام فيه فائدة ، وتارة ينعت أصنام الهند ، وطورا يصف عجائب السند ، وحينا يفصل الخراج والرد ، ورأيته ذكر منازل مجهولة ، ومراحل مهجورة ، ولم يفصل الكور ، ولارتب الأجناد ، ولاوصف المدن ولا استوعب ذكرها . . . وبذلك طال كتابه وغفل عن أكثر طرق الأجناد ووصف المدائن الجياد . وأما أبو زيد البلخى ، فانه قصد بكتابه الأمثلة وصورة الأرض بعد ما قسمها على عشرين جزءا ، ثم شرح كل مثال واختصر ، ولم يذكر الأسباب المفيدة ولا أوضح الأمور النافعة فى التفصيل والترتيب ، وترك كثيرا من أمهات المدن فلم يذكرها . . . وأما ابن الفقيه الهمذانى فانه سلك طريقة أخرى ، ولم يذكر إلا المدائن العظمى ، ولم يرتب الكور والأجناد ، وأدخل فى كتابه ما لا يليق به من العلوم . . . وأما الجاحظ وابن خرداذبة فان كتابيهما مختصران جدا لا يحصل منهما كثير فائدة . . » (١) .

ويمتاز المقدسى بالدقة فى كتابته ، والعناية بتسجيل الأخبار الغريبة ، وقد سجل منهجه فى مقدمة كتابه ، فقال : « فرأيت أن أقصد علما قد أغفلوه ، وأنفرد بفن لم يذكروه إلا على الإخلال وهو ذكر الأقاليم الإسلامية وما فيها من المفاوز والبحار والبحيرات والأنهار ، ووصف أمصارها المشهورة ، ومدنها المذكورة ، ومنازلها المسلوكة ، وطرقها المستعملة ، وعناصر العقاقير والآلات ، ومعادن الحمل والتجارات ، واختلاف أهل البلدان فى كلامهم وأصواتهم وألسنتهم وألوانهم ، ومذاهبهم ومكاييلهم وأوزانهم ، ونقودهم وصروفهم ، وصفة طعامهم وشرابهم وثمارهم ومياههم ، ومعرفة مفاخرهم وعيوبهم ، وما يحمل من عندهم وإليهم ، وذكر

(١) المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص ٣ — ٥

مواضع الأخطار فى المفازات ، وعدد المنازل فى المسافات .... وما تم لى جمعه إلا بعد جولانى فى البلدان ، ودخولى أقاليم الاسلام ، ولقائى العلماء وخدمتى للملوك ، ومجالستى القضاة ، ودرسى على الفقهاء ، واختلافى إلى الأدباء والقراء ، وكتبة الحديث، ومخالطة الزهاد والمتصوفين، وحضور مجالس القصاص والمذكرين، مع لزوم التجارة فى كل بلد، والمعاشرة مع كل أحد .... وقد ذكرنا ما رأيناه ، وحكينا ما سمعناه ، فما صح عندنا بالمعاينة وأخبار التواتر أرسلنا به القول ، وما شككنا فيه أو كان من طريق الآحاد أسندناه الى الذى منه سمعناه ، ولم نذكر فى كتابنا إلا صدرا مشهورا ، أو عالما مذكورا ، أو سلطانا جليلا... »(١) .

٥ — الشريف الإدريسى (أبو عبد الله محمد ، ت ٥٦٠ ﻫ) فى كتابه «صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس» مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق .

زار الإدريسى كثيرا من نواحى الأندلس والمغرب ومصر والمغرب وآسيا الصغرى وصقلية . وفى صقلية اتصل بملكها النرمندى روجار الثانى، فأعجب بعلمه ، وطلب منه روجار أن يؤلف له كتابا عن صورة الأرض ، مؤلفا عن مشاهدة مباشرة ، غير مستخرج من الكتب ، فلما انتهى من تأليفه ، سماه نزهة المشتاق أو الكتاب الرجارى(٢) . وقد لقب الإدريسى باسترابون العرب . ويعتبر لذلك أعظم جغرافي العرب فى العصور الوسطى ، وكتابه يزخر بالمعلومات الصحيحة ،

---

(١) المقدسى ص ١ — ٨

(٢) Pons Bons Boigues, op. cit. p. 231 — جنثالث بالنثيا ، ص ٣١٣ — نفيس أحمد ، ص ٨٢ — حسين مؤنس ، ص ٢٥٧ — ٢٧٥ (صحيفة معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد ، مجلد ٩ ، ١٠ ، مدريد ، ١٩٦٢)

كما أنه يتضمن مادة وافرة عن بلاد إسلامية وأوربية . ويقال أنه صنع للملك روجار أول كرة أرضية فى التاريخ ، رسم عليها خريطة بجميع بلاد العالم ، رسما غائرا مشروحا (١) .

ثانيا — الجغرافيون المتخصصون فى قطر واحد :

ويمثلهم ثلاثة : الهمدانى ، والبكرى ، والمهلبى ، والبيرونى .

١ — الهمدانى (أبو محمد الحسن بن يعقوب ، ت ٣٣٤) فى كتابه « صفة جزيرة العرب » ، وقد تحدث فيه عن بلاد العرب وجبالها ومساكنها ومدنها ولغاتها وآثارها ومعادنها (٢) .

٢ — البكرى (أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز القرطبى ، ت ٤٨٧ هـ) ، فى كتابه « المسالك والممالك » الذى وصلت الينا قطع كثيرة منه ، ويتضح لنا من دراسة ما وصلنا من هذا الكتاب أن البكرى اعتمد فى الفصل التمهيدى على كتابى بطليموس: الجغرافية والمجسطى (٣) . وقد وصلتنا قطعة أخرى من المسالك والممالك ، اعتمد عليها البارون دى سلان فى نشر كتاب « المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب » . وقد استفاد البكرى فى كتابه هذا من كتاب مسالك إفريقية وممالكها لأبى عبد الله محمد بن يوسف الوراق (٢٩١ — ٣٦٢ هـ) (٤) ، ويذهب

---

(١) سنعود الى الحديث عن الشريف الإدريسى عند دراستنا الجغرافية فى المغرب والأندلس .

(٢) راجع ماسبق أن ذكرناه عنه فى صفحة ٥١

(٣) حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص ٣٢٩

(٤) جنثالث بالنثيا ، ص ٣٠٩

دوزى إلى أن البكرى أكبر جغرافى أنجبته بلاد الأندلس ، وعلى الرغم من أنه لم يبرح قط أرض الأندلس، وأنه اعتمد فى تصنيفه لكتاب المسالك على مؤلفات من سبقوه من الجغرافيين ، فإن كتابه المذكور يعتبر من أعظم وأجل ما كتب فى جغرافية المغرب، وقد أظهر البكرى فى تأليفه قدرة على تنظيم المادة وتنسيقها .

٣ — المهلبى (أبو الحسن على بن أحمد ، ت ٢٨٥) ، ألف كتابا فى الجغرافية عن السودان ، أهداه فى سنه ٣٨٥ ه للخليفة الفاطمى العزيز بالله . وقد اعتمد عليه ياقوت بعد ذلك (١) .

٤ — البيرونى (أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمى ، ت ٤٤٠ ه) فى كتابه « تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة » المعروف بكتاب الهند ، الذى يعتبر من أقيم الكتب الجغرافية عن الهند وتاريخها . وقد اعتمد فيه البيرونى على مشاهداته فى الهند عند مرافقته للسلطان محمود الغزنوى فى حملاته على الهند، وأتيح للبيرونى أثناء ذلك تعلم اللغة السنسكريتية وتحصيل علوم الهندوس، ويمتاز كتابه عن الهند ، الذى عالج فيه موضوعات يتعلق بعضها بعلم طبقات الأرض، وبعضها بوصف بلاد الهند وموقعها وطبيعتها والحياة الحيوانية والنباتية فيها ، بعمق فى الملاحظات التى أبداها البيرونى كما يمتاز بتأملات نفاذة فى ميدان الجغرافية الإقليمية (٢) .

وللبيرونى الفضل فى العودة بعلم الجغرافية عند العرب إلى قواعده الأولى القائمة على المشاهدة والرحلة والتجربة الشخصية (٣) .

(١) نفيس أحمد ، ص ٦٣

(٢) نفسه ، ص ٦٩

(٣) حسين مؤنس ، ص ٢٠٣

ثالثا – المعاجم الجغرافية :

ويمثل أصحاب المعاجم التى وضعت فى جغرافية المدن : البكرى وياقوت .

١ – البكرى : فى كتابه «معجم ما استعجم» أول ما ألفه البكرى فى الجغرافية (١)، وأوردفيه « جملة مما ورد فى الحديث والأخبار والتواريخ والاشعار ، من المنازل والديار ، والقرى والأمصار ، والجبال والآثار ، والمياه والآبار ، والدارات والحرار ، منسوبة محددة ، ومبوبة على حروف المعجم مقيدة » (٢) . ويعتبر « معجم ما استعجم » أول معجم جغرافى عربى، وتأليفه لذلك السبب يعد حدثا فى تصنيف الكتب الجغرافية عند العرب (٣) .

٢ – ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله الحموى الرومى ، ت ٦٢٦) فى كتابه معجم البلدان (٤) ، ويتجلى فى هذا الكتاب معرفة ياقوت الواسعة بالعالم، وتجربته من خلال تجاراته وأسفاره فى أنحاء العالم الإسلامى ، فلقد زار مصر والشام والعراق وفارس وبلاد العرب وبلاد ما وراء النهر . ومع ذلك فياقوت يعتمد فى معجمه على النقل من كتب الجغرافية العربية وكتب التاريخ الموجودة فى حوزته، وهو أمين فى نقله، إذ ينسب كل ما ينقله من مادة جغرافية إلى مصادرها التى نقل منها .

---

(١) نفس المرجع ، ص ٣١٨

(٢) البكرى ، معجم ما استعجم ، تحقيق الأستاذ مصطفى السقا ، ج ١، القاهرة، ١٩٤٥ ص ١٠٣ .

(٣) مؤنس ، ص ٣١٩

(٤) طبعة بيروت ، ١٩٥٥ (٥ مجلدات)

وقد اختصر السيوطى « معجم البلدان » لياقوت . فى كتاب سماه « مختصر معجم البلدان » ، كذلك استخلص صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادى (ت ٧٣٩) من معجم البلدان مادته الجغرافية، ووضعها فى كتاب أسماه « مراصد الاطلاع فى أسماء الأمكنة والبقاع » (١) .

ويمتاز معجم البلدان بترتيبه على حروف الهجاء مما يساعد على سهولة الانتفاع بمادته ، كما يمتاز باتساع مادته وغزارتها . وبالجمع بين المادة الجغرافية والمادة التاريخية والأدبية . وقد قدم ياقوت معجمه بخمسة فصول تناول فيها صورة الأرض ، ومعنى الاقليم والكورة والمخلاف والأستان والرساتيق والطسوج والأجناد ، واصطلاحات جغرافية كالبريد والفرسخ وحكم الأرضين من حيث الفتح والخراج والشرع فى ذلك (٢) .

٣ — الحميرى (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم ، ت بعد ٨٦٦ هـ) فى كتابه الروض المعطار فى خبر الأقطار ، وهو معجم جغرافى تاريخى مرتب على حروف الهجاء ، وقد نشر المستشرق ليفى بروفنسال القسم الخاص بالأندلس بعنوان « صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار » (٣) .

رابعا - الموسوعات العامة :

يمثل هذا النوع من الكتب العامة ثلاثة من كبار الكتاب فى عصر المماليك : النويرى ، والعمرى ، والقلقشندى :

---

(١) طبعة جوينبل Juynboll ، فى ٤ أجزاء ، لندن ١٨٥٣

(٢) راجع مقدمة ياقوت فى المجلد الأول من معجم البلدان

(٣) القاهرة ١٩٣٧

١ - النويرى (شهاب الدين أحمد ، ت ٧٢٣ هـ) فى كتابه الكبير « نهاية الأرب فى فنون الأدب» ويتألف من واحد وثلاثين مجلدا، طبع منها ١٨ مجلدا (١)، وبقية الموسوعة ما زالت مخطوطة (٢). والكتاب يشتمل على مواد أدبية ولغوية وجغرافية وإدارية ودينية وتاريخية ، وقسمه إلى خمسة فنون ، أفرد الفن الأول منها لعلم الجغرافية ، وقسمه إلى خمسة أقسام :

الأول - تحدث فيه عن السماء والكواكب .

الثانى - تناول فيه موضوع الآثار العلوية ، فتحدث عن السحاب وسبب حدوثه والثلج والبرد ، ثم تحدث عن الصواعق والنيازك والرعد والبرق ، وعن الرياح وأنواعها ، وعن النيران وأسمائها .

الثالث - تحدث فيه عن الليالى والأيام والشهور والأعوام والفصول والمواسم والأعياد .

الرابع - وخصصه لدراسة الأرض وما تشتمل عليه من جبال وبحار وجزائر وأنهار وعيون ، واهتم بالبحث فى طول الأرض ومساحتها وبتقسيماتها السبعة .

الخامس - وتحدث فيه عن ضبائع البلاد وخصائص المدن والمبانى (٣) .

٢ - العمرى (شهاب الدين بن فضل الله ، ت ٧٤٨ هـ) ، فى كتابه «مسالك

---

(١) نشرته دار الكتب المصرية ، وصورته وزارة الثقافة والإرشاد القومى

(٢) الأجزاء من ١٩ إلى ٣١ ، مخطوطة ومصورة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٤٩ .

(٣) راجع : النويرى ، نهاية الأرب، ج١ ص ٤ - ٥

الابصار فى ممالك الامصار » ، ويقع فى نحو عشرين مجلدا ، ابتدأ فيه بالمشرق واختتمه بالمغرب . وقد نشر الاستاذ أحمد زكى باشا الجزء الاول من هذا الكتاب (١) ، كما نشر الاستاذ حسن حسنى عبد الوهاب القسم الخاص بوصف إفريقية والمغرب والأندلس (٢) ، أما القسم الاعظم من مسالك الابصار فما يزال مخطوطا ، وبدار الكتب المصرية نسخة مصورة من كتاب مسالك الابصار (٣) .

ومن المعروف أن هذا الكتاب ينقسم إلى قسمين كبيرين : الاول أفرده المؤلف للأرض وما يتبعها ووصف أقاليم الأرض ، ومسالك الممالك والرياح ، ومواقع مشاهير المدن وأنظمتها ، أما القسم الثانى فخصصه لدراسه سكان الأرض مغاربة ومشارقة ، وبحث فى هذا القسم عن المعادن والحيوانات والنباتات .

٣ — القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على ، ت ٨٢١ هـ) فى كتابه « صبح الأعشى فى صناعة الإنشا » (٤)، الذى كتبه بديوان الإنشاء بمصر ، ورتبه على مقدمة وعشر مقالات وخاتمه . ففى الفصل الثالث من المقالة الأولى يحدثنا عن الأزمنة والأوقات وأيام الشهور والسنين، وفى المقالة الثانية يحدثنا عن الأرض : شكلها وأقاليمها الطبيعية وأنواع البحار .

* * *

(١) نشر فى القاهرة ، ١٩٢٤

(٢) نشره فى تونس ، من مطبوعات مجلة البدر

(٣) محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٦٦٨ تاريخ ،

(٤) نشر فى القاهرة فى ١٤ جزءا ، سنة ١٩١٣ - ١٩١٥

كتب الجغرافية فى الأندلس والمغرب :

اهتم الأندلسيون بالتأليف فى الجغرافية اهتماما خاصا . لانقطاعهم عن العالم الإسلامى ، واحتكاكهم بالعالم الأوربى ، وهو عالم كان لزاما عليهم أن يعرفوا مسالكه الموصلة إلى بلادهم ،وطبيعته الجغرافية،وسكانه.وبدأ التأليف فى الجغرافية فى الأندلس فى نفس الوقت الذى ظهرت فيه التواليف التاريخية.وكان الجغرافيون الأولون فى الأندلس مؤرخين وجغرافيين فى آن واحد ، على النحو الذى كان شائعا فى المشرق الإسلامى (١) ، فكما كان هشام بن محمد الكلبى واليعقوبى مؤرخين وجغرافيين فى وقت واحد ، كان أحمد بن محمد الرازى (ت ٣٤٤ ﻫ) أول مؤرخ فى الأندلس مؤرخا وجغرافيا ، ويعتبر أبو الجغرافيــــه الأندلسية كما يعتبر أبو التاريخ الأندلسى (٢) .

وقد عرف الجغرافيون الأندلسيون كيف يفيدون من مصنفات الاغريق واللاتين فى وصف جزيرة الأندلس وما اتصل بها من الأقطار الأوربية المجاورة ، ومع ذلك فلم يتقيدوا دائمــــا بهم فى المذهب الفلكى فى الجغرافية أى التقسيم البطليموسى إلى أقاليم ذات خصائص فلكية ، ولكنهم أخذوا عن بطليموس ما ذهب إليه فى الوصف العام المثلث أو المركن لجزيرة الأندلس ، كما أخذوا عن هروشيش Horosius آراءه فى شكل شبه الجزيرة . وأضافوا إلى ذلك ما أمكنهم جمعه من مادة عن طريق السماع أو المشاهدة والمعاينة (٣) .

---

(١) حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيون فى الأندلس ، ص ١٩٩

(٢) نفس المرجع ، ص ٢٢١

(٣) نفس المرجع ، ص ٢١٨ ، ٢١٩

وأول من كتب فى جغرافيـة المدن فى الأندلس محمـد بن موسى الرازى (ت ٢٧٣ هـ) الذى صنف «كتـاب الرايات» . وهو كتـاب تاريخى وجغرافى ، ولـكن ابنه أحمد الرازى هو أول من كتب كتابة جغرافية حقيقية عن الأندلس ، ولذلك يعدونه الرائد الأول لعلم الجغرافيـة فى الأندلس ، واعتبروه أيضا شيخ المؤرخين ، ولقبوه بالتاريخى .

تتلمذ أحمد بن محمد الرازى على قاسم بن أصبغ البيانى (ت ٣٤٠ هـ) (١) الذى اشترك مع الوليد بن خيزران فى ترجمة كتاب تاريخ هروشيش (٢) . وبفضل هذه الترجمة العربية اطلع الأندلسيون فى مقدمة الـكتاب على وصف المعمور من العالم ، ومن هذه المقدمة أفاد المؤرخ الجغرافى أحمد الرازى ونهج منهج كتاب هروشش فى كتابه «أخبار ملوك الأندلس» فبدأه بمقدمة جغرافية هامة ، أعقبها بدراسته لتاريخ الأندلس ، وفى هـذه المقدمة تأثر بهروشش فى وصفه لجزيرة الأندلس كما تأثر ببطليموس فى تصوره العـام لشكل البـلاد المثلث ، وأضاف الى ذلك مـا استطاع جمعه من مادة عن طريق السماع والمشاهدة ، بحيث تألف مما كتبه موضوع جغرافى متكامل يتناول الوصف الطبيعى من الشكل العام للبلاد ، والموقع ودراسة السطح وما يقوم عليـه من جبال أو يشقه من أنهار ، ثم دراسة كل قسم إدارى على حدة ، مع العناية بمصادر الثروة وأوجه الانتفاع منها ، وذكر المسالك والمراسى وأمهات المدن والأجناد ، وخواص كل بلد منها وما فيه مما ليس فى غيره(٣) : وقد

(١) راجع ترجمته فى Pons Boigues, op. cit p. 59 - 60

(٢) Lévi Della Vida, la traducione arabe della Storie de Orosio, Al Andalus, vol. XIX, pp. 257-265, 1954 — حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص٢٣٥

(٣) الحميدى (أبو عبدالله محمد بن فتوح) جذوة المقتبس فى ذكر رجال الأندلس ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجى ، القاهرة ١٣٧١هـ ، ص ٦٧

نقل عن الرازى فى مقدمته الجغرافيـة كثير من الجغرافيين الاندلسيين أمثـال البكرى والإدريسى وابن غالب الأندلسى .

ويلاحظ أن الرازى تأثر فيما كتبه بهروشيش ، فنقل عنه أن جزيرة الأندلس « ذات ثلاثة أركان » (١) ، وأن شكلها « مثلث . وهى معتمدة على ثلاثة أركان : الأول هو الموضع الذى فيه صنم قادس المشهور بالأندلس ، ومنـه مخرج البحر المتوسط الشامى الآخـذ بقبلى الأندلس ، والركن الثانى هو بشرقى الأندلس بين مدينة نربونة ومدينه برديل مما بأيدى الفرنجـــة اليوم بإزاء جزيرتى ميورقـة ومنورقـة . والثالث منها هو مابين الجوف والغرب من حيز جليقية حيث الجبل الموفى عـــلى البحر ، وفيها الصنم العـالى المشبه بصنم قادس وهو الطالـع على بلد برطانية(٢)» . وقد نقل الجغرافيون من بعده العبارة الدالة على « تركين الأندلس وتثليثها » ، فأبو بكر عبد الله بن الحكم المعروف بابن النظام يقول : « وصفة الاندلس شكل مركن عـلى مثال الشكل المثلث ... » (٣) . وذكر ابن سعيـد المغربى أنهم « اتفقوا على أن جزيرة الاندلس مثلثة الشكل ، واختلفوا فى الركن الذى فى الشـرق والجنوب فى حيز أربونة ، فن قال إنه فى أربونة ، وإن هـذه المدينة تقابلها مدينة برديل التى فى الركن الشرقى الشمالى أحمد بن محمد الرازى وابن حيـان ، وفى كلام غيرهما أنه فى جهـة أربونة ، وحقق الامير الشريف (يقصد

(١) ابن غالب الأندلسى ، قطعة من كتاب « فرحة الأنفس فى تاريخ الأندلس » ، تحقيق الدكتور لطفى عبد البديع ، القاهرة ١٩٥٦ ، ص ١٢

(٢) المقرى ، نفح الطيب ، ج ١ ص ١٢٨

(٣) نفس المصدر ، ص ١٣٠

الادريسى) وهو أعرف بتلك الجهة لتردده فى الأسفار برا وبحرا إليها ، وتفرغه لهذا الفن . . . وسألت جماعة من علماء هذا الشأن فأخبرونى أن لصحيح ماذهب اليه الشريف ، وأن أربونة وبرشلونة غير داخلتين فى أرض الأندلس» (١) وذكر الحميرى أن جزيرة الأندلس سميت بجزيرة «لانها شكل مثلث وتضيق من ناحية شرق الاندلس حتى تكون بين البحر الشامى والبحر المظلم المحيط بالاندلس خمسة أيام . . . » (٢).

ويتعرض الرازى لذكر مناخ الأندلس ، فيشير إلى اختلاف هبوب الرياح وجريان الانهار فى شرق الأندلس عن غربها فيقول ، « الأندلس أندلسان فى اختلاف هبوب أرياحها ، ومواقع أمطارها ، وجريان أنهارها : أندلس غربى ، وأندلس شرقى ، فالغربى منهما ما جرت أوديته إلى البحر المحيط الغربى ، وتمطر بالرياح الغربية ، ومبتدأ هذا الحوز من ناحية الشرق مع المفازة الخارجة مع الجوف إلى بلد شنتمرية طالعا إلى حوز إغريطة المجاورة لطليطلة ، مائلا إلى الغرب ، ومجاورا للبحر المتوسط الموازى لقرطاجنة الخلفاء التى من بلد لورقة ، والحوز الشرقى المعروف بالاندلس الانصى، وتجرى أوديته إلى الشرق، وامطاره بالريح الشرقية،وهو من حد جبل البشكنش ، هابطا مع وادى إبرة إلى بلد شنت مرية ، ومن جوف هذا البحر وغربه المحيط ، وفى القبلة منه البحر الغربى الذى منه يجرى البحر المتوسط الخارج إلى بلد الشام، وهو البحر المسمى ببحر تيران ، ومعناه الذى يشق دائرة الارض ، ويسمى البحر الكبير » (٣) .

(١) المقرى ، المصدر السابق ص ١٢٦

(٢) الحميرى (أبو عبدالله محمد) صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار ، تحقيق ليفى بروفنسال ، القاهرة ١٩٣٧ ص ٢

(٣) المقرى ، المصدر السابق ، ج ١ ص ١٢٩

ووصف الرازى لجبال الاندلس وأنهارها يعتبر من أدق وأضبط ما كتب عنها ، وعند معالجته المدن نراه يهتم بدراسة مواقعها وحصونها وخصائصها . من حيث الوقوع على البحر أو الاتصال بسهل أو نهر ، وحاصلاتها ، وثرواتها المعدنية .

وإذا كان أحمد بن محمد الرازى هو أول من كتب فى جغرافية الاندلس فإن أبو عبد الله محمد بن يوسف الوراق (ت ٣٦٣ ﻫ) ، وكان معاصرا له ، اختص بالكتابة فى جغرافية المغرب ، فقد كان أندلسيا من وادى الحجارة ، ثم هاجر إلى إفريقية ، ونزل القيروان وأقام بها فترة صباه إلى أن عاد الى الاندلس فى عصر الحكم المستنصر ، فكتب له كتابا ضخما فى « مسالك إفريقية وممالكها » ، كما ألف فى أخبار ملوكها والغالبين عليهم كتبا كثيرة ، وألف كتابا فى أخبار تيهرت ووهران وتنس وسجلماسة ونكور والبصرة(١) وقد استوعب البكرى مادة الوراق الواردة فى المسالك فى كتابه « المسالك والممالك » ، وتمتاز كتابة الوراق فى كتابته - استنتاجا مما ورد فى المغرب فى أخبار إفريقية المغرب للبكرى - أنها تجمع بين الكتابة التاريخية والجغرافية (٢) أى أن المادة التاريخية تمتزج فى المادة الجغرافية فى صياغة متسقة . وتلا هذا الجيل من جغرافيى الأندلس جيل آخر عاش من النصف الأول من القرن الرابع الى النصف الأول من القرن الخامس ، ومنهم أحمد بن عمر بن أنس العذرى الدلائى . (ت ٤٧٦ ﻫ) صاحب كتاب « نظام المرجان فى المسالك والممالك » نشر منه الأستاذ الدكتور عبد العزيز الأهوانى قطعة عن الأندلس تشتمل على كور تدمير وبلنسية وسرقسطة ووشقة وقرطبة

(١) حسين مؤنس ، ص ٢٦٩

(٢) المرجع نفسه ، ص ٢٧١

والبيرة وإشبيلية ولبلة وشذونة والجزيرة الخضراء ، (١) ويتضح لنا مما نشر من « نظام المرجان » أن العذرى كان ينهج فى كتابه منهج الرازى من تزويد المادة الجغرافية بمادة تاريخية . وتمتاز كتابة العذرى بالدقة البالغة فى استخدام الاصطلاحات كالكورة والقاعدة وعنصر النهر والسافية والناعورة .

ومنهم أبو الوليد عبد الله بن محمد المعروف بابن الفرضى (ت ٤٠٣ هـ) الذى عرف بمعجمه فى التراجم الموسوم بتاريخ علماء الأندلس ، ولم يصل الينا كتابه المطول فى تاريخ علماء الأندلس عن طريق مدنهم ، ولكن وصلتنا منه فقرات أوردها المقرى فى نفح الطيب .

ومنهم أبو مروان حيان بن خلف المعروف بابن حيان (ت ٤٦٩ هـ) الذى ذاع صيته عند علماء التاريخ بأنه عمدة مؤرخى الأندلس وأعظم من أنجبته الأندلس من علماء التاريخ ، ويبدو أنه مهد لكتابه المقتبس الذى اشرنا إليه عند تعرضنا التاريخ المحلى فى الأندلس بفصل جغرافى تمهيدى على النحو الذى اتبعه الرازى من قبل فى كتابه « أخبار ملوك الأندلس » ، ونستدل على ذلك من الاقتباسات ، الواردة فى نفح الطيب عن اسبانيا وعن جسر قرطبه وعن مدينة الزهراء ، بالاضافة الى ما تتضمنه القطع المنشورة من المقتبس من معلومات جغرافية كثيرة (٢) .

---

(١) أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس العذرى المعروف بابن الدلائى ، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار ، والبستان فى غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك ، تحقيق الدكتور عبد العزيز الأهوانى ، مدريد ١٩٦٥ .

(٢) حسين مؤنس ، ص ٢٩٧

ومنهم أبو بكر عبد الله بن عبد الحكم المعروف بابن النظام ، وأبو بكر أحمد ابن سعيد بن أبى الفياض ، وأبو عبيدالله البكرى ، وعبد الله بن ابراهيم بن وزمر الحجارى (١) . ونصل بعد ذلك الى الشريف الإدريسى ، وهو قمة علم الجغرافية عند المسلمين على حد قول الدكتور حسين مؤنس (٢) لأنه لم يكن أول جغرافى متخصص فى هذا العلم فحسب ، بل لأنه فاق فى الحقـــل الجغرافى من سبقه من الجغرافيين القدامى والمعاصرين له ، بل فاق بطليموس نفسه وزاد عليه ، ثم لأنه أنتج فى الجغرافية التى وهب حياته لها مالم ينتجه السابقون عليه ولا اللاحقون له (٣)، وسد هو والبكرى الجغرافى ثغرة فى علم المسالك والممالك كانت واضحة فى جغرافية المغرب الاسلامى (٤) . لقد قضى الإدريسى معظم حياته سائحا فى بلاد العالم وأقطاره العربية وغير العربية مثل آسيا الصغرى وصقلية وجنوب فرنسا وإيطاليا ، ويبدو أن الإدريسى بدأ نشاطه فى التأليف بكتابه « الجامع لأشتات النبات أو كتاب المفردات أو كتاب الأدوية المفردة » قبل أن يفد على صقلية ، قاصدا بنى حمود الأدارسة بها ، ويبدو أيضا أن رجار الثانى ملك صقلية سمع بشهرته فى علم النبات ، فقربه إليه ، وأدناه منه ، وعمل على الإفادة من علمه ، ثم اكتشف موهبته فى علم الجغرافية ، فحاول أن يرغبه فى البقاء بصقلية وعمل صورة مجسمة للأرض ، ويرجح الدكتور حسين مؤنس أن الإدريسى وافق على ذلك ، وأنه

(١) حسين مؤنس ، ص ٢٩٨ — ٣٠٩

(٢) حسين مؤنس ، الجغرافيه والجغرافيون فى الأندلس ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، المجلدان ٩ ، ١٠ ص ٢٥٧

(٣) نفس المرجع ، ص ٢٠٩

(٤) سعد زغلول عبد الحميد ، ملاحظات عن مصر كما رآها ووصفها الجغرافيون والرحالة المغاربة فى القرنين السادس والسابع الهجرى ، مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية ، مجلد ٨ ، ديسمبر ١٩٥٤ ، ص ٩٥

بادر بإكمال رحلته إلى المغرب حيث استكمل ما أراد من دراسة جغرافية المغرب، «ثم ذهب إلى الاندلس للدراسة والمشاهدة، وعاد بعدذلك إلى صقلية، وبدأ العمل مع رجار» (١)، فألف له كتابه المشهور «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق». وامتدح رجار في مقدمته بقوله، «فإن أفضل ماعنى به الناظر، واستعمل فيه الأفكار والخواطر، ما سبق الملك المعظم رجار المعتز بالله، المقتدر بقدرته، ملك صقلية، وإيطالية، وأنكبرده، وقلورية، إمام رومية، الناصر للملة النصرانية، إذ هو خير من ملك الروم بسطا وقبضا، وصرف الأمور على إرادته ابراما ونقضا، ودان في ملته بدين العدل، واشتمل عليهم بكنف التطول والفضل، وقام بأسباب مملكته أحسن قيام، وأجرى سنن دولته على أفضل نظام، وأجل القيام، وافتتح البلاد شرقا وغربا، وأذل رقاب الجبابرة من أهل ملته بعدا وقربا، بما يحويه من جيوش متوفرة العدد والعدد، وأساطيل متكاثفة متناصرة المدد ....» ويمضي في مدحه، واحصاء مآثره فيقول في جملة ما يقوله: «ثم جمع الى كرم الأخلاق، طيب الأعراق، وإلى جميل الفعال، حسن الخلال، مع شجاعة النفس، وصفاء الذهن، وغور العقل، ووفور الحلم، وسداد الرأى والتدبير، والمعرفة بتصاريف الأمور، من نهاية الفهم الثاقب، ومراميه كالسهم الصايب، ومقفلات الخطوب مستفتحة لديه، وجميع السياسيات وقف عليه، ونوماته يقظات الانام، وأحكامه أعدل الأحكام، وعطاياه البحار والزواخر، والغيوث المواطر. وأما معرفته بالعلوم الرياضيات والعمليات فلا تدرك بعد، ولا تحصر بحد، لكونه قد أخذكل من فن منها بالحظ الأوفر، وضرب فيه بالقدح المعلى» (٢). ويشرح الإدريسى بعد ذلك الظروف التى دفعته الى تأليف كتابه

(١) حسين مؤنس، المرجع السابق، ص ٢٨٢

(٢) Michele Amari, Biblioteca Arabo-Sicula, Lipsia, 1857, p. 18

« نزهة المشتاق » . فقال : « فأمر عند ذلك (يقصد رجار) أن يفرغ له من الفضة الخالصة دائرة منفصلة عظيمة الجرم ، ضخمة الجسم ، فى وزن أربعمائة رطل بالرومى ، فى كل رطل منها مائة درهم واثنى عشر درهما . فلما كملت أمر الفعلة ان ينقشوا فيها صور الأقاليم السبعة ببلادها وأقطارها وسيفها وريفها ، خلجانها وبحارها ، ومجارى مياهها ، ومواقع أنهارها ، وعامرها وغامرها ، وما بين كل بلدين منها وبين غيرها من الطرقات المطروقة ، والأميال المحدودة ، والمسافات المشهودة ، والمراسى المعروفة على نص ما يخرج إليهم ممثلا فى لوح الترسيم ، ولا يغادروا منه شيا ، ويأتوا به على هيئته وشكله كما يرسم لهم فيه ، وأن يؤلفوا كتابا مطابقا لما فى أشكالها وصورها ، غير أنه يزيد عليها بوصف أحوال البلاد والأرضين فى خلقها وبقاعها وأماكنها وصورها وبحارها وجبالها وأنهارها ومعاوانها ومزدرعاتها وغلاتها وأجناس بنائها وخواصها ، والاستعمالات التى تستعمل بها ، والصناعات التى تنفق بها ، والتجارات التى تجلب إليها وتحمل منها ، والعجائب التى تذكر عنها وتنسب إليها ، وحيث هى الاقاليم السبعة مع ذكر أحوال أهلها وهيآتهم وخلقهم ومذاهبهم وزينهم وملابسهم ولغاتهم ، وأن يسمى هذا الكتاب بنزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، وكان ذلك فى العشر الأول من ينير الموافق لشهر شوال الكائن فى سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، فامتثل فيه الأمر وارتسم الرسم ، وأول ما ابتدى به الكلام على صورة الأرض » (١) .

وذكر الصفدى فى كتابه الوافى بالوفيات أن رجار « استقدم الشريف الادريسى صاحب كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق من العدوة اليه ليصنع له شيئا فى شكل صورة العالم ، فلما وصل اليه أكرم نزله وبالغ فى تعظيمه ، فطلب منه شيئا

(١) المرجع السابق ، ص ١٨ ، ١٩

من المعادن ليصنع منه ما يريد ، فحمل اليه من الفضة الحجر وزن أربعماية الف درهم ، فصنع فيها دواير كهيئة الافلاك . وركب بعضا على بعض ثم شكلها له على الوضع المخصوص ، فأعجب بهـا رجار ، ودخل فى ذلك ثلث الفضـة ،وأرجح بقليل ، وفضل له ما يقارب الثلثين ، فتركه له إجازة ، وأضاف لذلك ماية الف درهم ومركبا موسقا كان قد جاء إليـه من برشلونة بأنواع أجـلاب الرومية التى تجلب للملوك ، وسأله المقام عنده . وقال له أنت من بيت الخلافة ، ومتى كنت بين المسلمين عمل ملوكهم على قتلك ومتى كنت عندى أمنت على نفسك ، فأجابه الى ذلك ، ورتب له كفـاية لاتكون الا للملوك ، وكان يجىء اليه راكب بغـلة ، فاذا صار عنده تنحى له عن مجلسه فيأبى فيجلسان معا ، وقال له أريد تحقيق أخبار البلاد بالمعاينة لا بما ينقل من الـكتب ، فوقع اختيارهما على اناس ألباء فطناء أذكياء ،وجهزهم رجار إلى اقليم الشرق والغرب جنوبا وشمالا،وسفر معهم قوما مصورين ليصوروا مايشاهدونه عيانا ، وأمرهم بالتقصى والاستيعاب لما كان لابد من معرفته ، فكان اذا حضر احد منهم بشكل أثبته الشريف الإدريسى، حتى تكامل له ما اراد ، وجعله مصنفا ،وهو كتاب نزهة المشتاق الذى للشريف الإدريسى» (١)

ونستنتج مما ذكره الشريف الإدريسى فى مقدمته لكتاب « نزهة المشتاق » ، وما ذكره الصفدى فى « الوافى بالوفيات » ان الإدريسى بدأ عمله بصنع خريطة من صفائح الفضة ركبت على كرة تمثل الأرض ، ونقش على هذه الصفائح ما كان قد رسمه بطليموس فى الأقاليم السبعة ، ثم قسم محيط الكرة طـولا إلى عشرة اجزاء متساوية بخطوط تبدأ من القطب الأعلى الى الأسفل، تتقاطع مع خطوط العرض، فتؤلف ما يشبه المستطيلات . وما إن تم له ذلك حتى نزع هذه الصفائح وبسطها ،

---

(١) نفس المرجع ، ص ٦٥٨

محولا على هذا النحو الخريطة الكروية إلى خريطة مسطحة (١) ، مع مراعاة ما يترتب على هذا التحويل من عمليات رياضيه وحسابية دقيقة ، وجعل النقاشين ينقلون على مستطيلاتها محتويات كل مستطيل من مستطيلات الخريطة المسطحة ، واستعان فى ذلك برجال ألباء فطناء وجههم إلى اقاليم الأرض للتقصى ، وتزويده بالمعلومات اللازمة . وأقام الإدريسى ١٥ سنة يعمل فى هذه الخريطة حتى أتمها على لوح الترسيم ، ثم نقل لوح الترسيم على كرة أرضية عظيمة الجرم ، ضخمة الجسم ، ثم اختتم عمله بتأليف كتاب ضخم يطابق ما جاء فى هذه الخريطة من معلومات ، وأزاد عليها بوصف أحوال البلاد الطبيعية والاقتصادية من ذكر نباتاتها وسطحها وصناعاتها وتجاراتها ، مع الاهتمام بالاشارة إلى أحوال سكانها من شكل ومذهب وزينه وزى ولغة (٢) .

---

(١) حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص ٣٠١ وما يليها .

(٢) راجع البحث القيم الذى قام به الأستاذ الدكتور حسين مؤنس عن الإدريسى فى مقاله السابق .

(٤)

كتب الرحلات

فاق العرب فى ميدان الرحلة والكشف الجغرافى غيرهم من الشعوب ، فلقد كانت الرحلة من أهم عوامل الترابط والتواصل بين أنحاء العالم الاسلامى فى عصور القوة ، كما كانت من أهم خصائص المجتمع العربى الاسلامى فى عصور الازدهار الحضارى ، وساعد على الرحلات اتساع رقعة الدولة العربية بعد الفتوحات ، وانطلاق المسلمين الى مراكز العلم المختلفة فى سائر أقطار العالم الاسلامى (١) . كذلك رحل الناس للتجارة بين الأقطار الاسلامية فى المشرق والمغرب ، (كسليمان السيرافى التاجر) ، أو لأداء فريضة الحج الى مكة (كناصر خسرو وابن جبير)، أو للتجسس (كابن حوقل) ، أو طلبا للاستطلاع وحبا فى الاستزادة من معرفة شعوب العالم الاسلامى (كالمقدسى) ، أو القيام بمهمة ، كأن يكون الرحالة سفيرا للخليفة أو السلطان (كابن فضلان ، والوزير محمد بن عبد الوهاب الغسانى) .

ولا ننسى أن العرب كانوا قد اعتادوا على الرحلات التجارية فى عصر الجاهلية ، فكانت قوافلهم التجارية تنقل المتاجر من اليمن إلى الشام ، والعكس بالعكس ، برا وبحرا (٢) . ولقد انفتحت أمام العرب بعد الفتوحات الاسلامية المجالات الواسعة للتجارة العالمية ، فاتسعت آفاق الرحلات التجارية ، وارتبطت

---

(١) زكى محمد حسن ، الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى ، ص ٦ ،

(٢) جورج فاضلو حورانى ، العرب والملاحة فى المحيط الهندى ، ترجمة الدكتور يعقوب بكر ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٢٣ وما يليها — Aly Mohamed Fahmy, Muslim sea power in the eastern Mediterranean, Cairo, 1966, p. 41 .
السيد عبد العزيز سالم ، عصر ما قبل الاسلام ، ص ١٦٨ .

الأسواق الإسلامية فى المشرق والمغرب فيما بينها ، وأصبح تجار الأندلس يرحلون إلى الهند وتركستان ، كما أصبح التجار الترك والفرس يرحلون إلى الصين وحتى إلى بلاد المغرب والأندلس (١) .

وكان لاتساع رقعة الدولة الاسلامية ، وانتشار الاسلام فى الأقطار المفتوحة أثر عظيم فى قيام المراكز العلمية فى البصرة والكوفة وبغداد ، وبخارى وسمرقند ومرو ونيسابور ، وقوص والفسطاط والقاهرة والاسكندرية وطرابلس الشام ودمشق وبعلبك ، وجدة وعدن، وتونس والقيروان وبجاية ووهران وسجلماسة وفاس ، وقرطبة وغرناطة وإشبيلية والمرية ومالقة ، وغير ذلك من المدن الإسلامية التى عرفت بازدهارها الحضارى فى العصر الاسلامى . وكان من الطبيعى أن ينتقل المسلمون من مركز علمى إلى آخر فى هذه الدولة الاسلامية ، مترامية الأطراف ، التماسا للعلم ، ورغبة فى تحصيله على شيوخه فى المشرق والمغرب . ولقد عقد المقرى فى كتابه « نفح الطيب » بابين كبيرين أفردهما لذكر الوافدين إلى الأندلس من المشرق ، وفى الوافدين إلى المشرق من الأندلس (٢) ، ويكفى

---

(١) ذكر المقرى نقلا عن ابن حيان أن تجارا من الشرق (من عدن) ، كانوا يفدون الى قرطبة فى زمن المنصور بن أبى عامر للتجارة فى الجوهر والأحجار النفيسة (نفح الطيب ، ج ١ ص ٣٨٨) . واستدل من شواهد القبور التى كشف عنها البحث الأثرى فى المرية على أن تجارا من مصر والشام ومن بغداد كانوا يشتغلون بالتجارة فى المرية (Romon Revilla Vielva, Patio arabe del Museo Arquéologico nacional de Madrid, Madrid, 1932, p. 120 — Lévi - Provençal, Inscriptions arabes d'Espagne, t. I, p. 116.)

(٢) المقرى ، نفح الطيب ، الباب الخامس فى ذكر الوافدين إلى الأندلس من المشرق ، ج ٢ ص ٢٩٣ — ٤٣٣ ، ج ٣ ص ٤ — ٤٥٨ ، والباب السادس فى ذكر الوافدين إلى المشرق من الأندلس ، ج ٤ ، ص ٤ — ١٤٥ .

أن نذكر من أمثلة ذلك العلامة عبد الرحمن بن خلدون الذى رحل من تونس إلى مصر حيث استقر بها واتخذها مركزا ثابتا له (١) ، وإن كان ذلك لم يمنع من قيامه برحلة إلى الحجاز ورحلة إلى الشام ، والفقيه محمد بن تومرت مؤسس دولة الموحدين يرحل من قريته فى السوس من بلاد المغرب فى طلب العلم ، وينتهى إلى بغداد حيث يأخذ فيها شيئا من أحوال الدين ، ثم يرحل إلى الشام ، ثم إلى مصر ، ويجوب عواصم المشرق الاسلامى زهاء إحدى عشرة سنة قبل أن يعود إلى موطنه بالسوس (٢) . كذلك كان الحج من بواعث الرحلات ، فقد ظل الدين الاسلامى واللغة حتى بعد أن تفتتت الوحدة السياسية للعالم الاسلامى (٣) ، يربطان الشعوب الاسلامية ، وتابع الرحالة المسلمون رحلاتهم لتأدية فريضة الحج على الرغم من الانفصال السياسى الذى شمل أقطار العالم الاسلامى منذ النصف الثانى من القرن الثانى للهجرة .

وكان معظم الرحالة المسلمين يحرصون على تدوين مشاهداتهم ، وتسجيل أخبار رحلاتهم وأسفارهم ، والمسالك والطرق التى ساروا فيها ، والمسافات التى قطعوها فى تنقلاتهم ، ويصفون المدن التى نزلوها ، ويذكرون الصعوبات التى

---

(١) عبد الرحمن بن خلدون ، التعريف بابن خلدون ، ورحلته غربا وشرقا ، تحقيق الأستاذ محمد بن تاويت الطنجى ، القاهرة ١٩٥١ — ولتر ج . فشل ، نشاط ابن خلدون فى مصر المملوكية ، مقال فى « دراسات اسلامية » ، ترجمة الدكتور أنيس فريحة وآخرين ، بيروت ، ١٩٦٠ ص ١٧٧ — ١٩٧ .

(٢) أبو بكر الصنهاجى ، كتاب أخبار المهدى بن تومرت ، تحقيق الأستاذ ليفى بروفنسال ، باريس ١٩٢٨ ، ص ٥٢ — ليفى بروفنسال ، الإسلام فى المغرب والأندلس ، ترجمة الدكتور السيد عبد العزيز سالم والأستاذ محمد صلاح الدين حلمى ، القاهرة ١٩٥٨ ص ٢٦٥-٢٦٩ - السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ص ٧٧٠ وما يليها .

(٣) سعد زغلول عبد الحميد ، ملاحظات عن مصر ، ص ٩٦

واجهتهم فى رحلاتهم ، ويصفون ما عاينوه من مظاهر الحضارة فى كل بلد طرقوه ، كالمنتجات الزراعية والصناعات والتجارة . كما أن بعضهم وصف بعض مظاهر الحياة الاجتماعية فى الأقطار المختلفة التى مروا بها ، ولعل ذلك يوضح لنا الفارق بين الجغرافى والرحالة ، فالرحالة يعتمد على المشاهدة والمعاينة ، ولذلك فإن كتابه لا يتجاوز وصف ما شاهده فى أثناء رحلته ، أما الجغرافى فيعمل على تغطية كل الإقليم الذى يتناوله بالبحث ، فيسأل ويستقصى ، ويجمع المعلومات من الحجاج وطلبة العلم والمغامرين والتجار والملاحين ، وليس من الضرورى أن يكون الجغرافى رحالة .

وعلى الرغم من تعدد دوافع الرحلات فى الإسلام ، فإن ما وصلنا من كتب الرحلات قليل إذا قيس بالمصنفات الخاصة بالرحلات (١) ، ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى ضياع معظمها ، وإلى أن كثيرا من الرحالة آثر أن يدمج مشاهداته فيما ألفه من كتب تاريخية أو جغرافية كابن حوقل واليعقوبى والمسعودى . وأقدم ما وصلنا من أخبار الرحالة المسلمين فى القرنين الثالث والرابع للهجرة تشير إلى أن تجارا من العرب من عمان وسيراف والبصرة كانوا يصلون إلى الصين ، ويروى المسعودى أخبار بعض هؤلاء الرحالة ، فيذكر أن تاجرا من سمرقند خرج من بلاده وقد حمل من المتاع أحمالا كثيرة ، فوصل إلى العراق ، ورحل إلى البصرة ، ثم ركب البحر حتى وصل إلى عمان ، وركب من هناك إلى بلاد كلاه الواقعة فى منتصف الطريق إلى الصين (٢) . ونستنتج من أقوال الرحالة سليمان السيرافى ،

---

(١) نقولا زيادة ، الجغرافية والرحلات عند العرب ، ص ١٤٨

(٢) المسعودى ، مروج الذهب ، ج ١ ص ١٤٠

الذى ينسب إليه كتاب أخبار الصين والهند (١)، وجود جاليات إسلامية بالصين (٢) كانت تتمتع فى زمانه بامتيازات خاصة . ولقد ذيل رحالة عربى هو أبو زيد الحسن بن اليزيد السيرافى على كتاب سليمان السيرافى ، وأضاف إليه معلومات استقاها من أحاديثه مع التجار والملاحين فى سيراف . وفى منتصف القرن الرابع الهجرى يروى الرحالة الفارسى بزرك بن شهريار فى كتابه الموسوم بكتاب «عجائب الهند» كثيرا من القصص التى جمعها من أفواه الملاحين والتجار فى سيراف والبصرة وعمان عن الهند والشرق الأقصى وشرق إفريقيا (٣) .

ويمكننا استنادا إلى مارواه هؤلاء الرحالة أن نستنتج بأن الرحالة المتجهين إلى الهند والصين كانوا يبحرون من الأبلة ميناء البصرة ، وتقع على مصب دجلة . ولكن الصعوبات التى كانت تعترض طريق الملاحة عند رأس الخليج العربى كانت حافزا على قيام سيراف على ساحل إيران ، جنوبى شيراز ، وقد ازدهرت التجارة البحرية فى سيراف ازدهارا جعلها تنافس البصرة فى المكان الأول وفى الأهمية الاقتصادية . ومن سيراف كان التجار يبحرون إلى الهند وإلى خانفو (كانتون) أعظم مراكز التجارة فى الهند الصينية (٤) .

ومن الرحالة العرب الذين كان لهم شأن كبير فى القرن الرابع الهجرى أحمد بن عباس بن رشيد المعروف بابن فضلان ، الذى أوفده المقتدر العباسى إلى ملك

---

(١) Relation de la Chine et de l'Inde, éd. par Jean Sauvaget, Paris, 1948

(٢) Ibid. p. 19

(٣) جورج فاضلو حورانى ، العرب والملاحة فى المحيط الهندى ، ص ٢٠٤

(٤) نفس المرجع ، ص ٢١٦

البلغار بالفلجا فى سنة ٣٠٩ هـ . وقد دون ابن فضلان وصفا لرحلته فى كتاب كان مرجعا أساسيا للجغرافيين أمثال المسعودى والاصطخرى وياقوت (١) .

ومن الرحالة العرب الذين برزوا فى القرن الرابع الهجرى المسعودى ، الذى اكتسب شهرته كمؤرخ وجغرافى ورحالة . وقد جاب المسعودى الآفاق ، فزار فارس ومناطق من الهند (الملتان وسيلان والسند والبنجاب) وزار ملبار والصين ومدغشقر وآسيا الصغرى والشام ، واستقر بمصر حيث توفى فى سنة ٣٤٦ هـ(٢). ويعتبر كتابه « مروج الذهب » سجلا هاما لرحلاته وملاحظاته ، ففيه دون خلاصة تجاربه وخبراته التى اكتسبها فى رحلاته ، ولذلك فإن هذا الكتاب على حد قول الدكتور نقولا زيادة « كتاب سياحة ومعرفه جغرافية وعمران وعلم وملاحظة وأخبار وأساطير » (٣) .

ومنذ بداية القرن الخامس الهجرى ، أصبح فى إمكاننا أن نميز من الرحالة العرب والمسلمين فريقين :

١ — رحالة مشارقة   ٢ — رحالة مغاربة .

مع العلم بأن رحلات المغاربة إلى المشرق فاقت كثيرا رحلات المشارقة الى المغرب.

أولا ـ الرحالة المشارقة ومصنفاتهم :

(١) ناصر خسرو علوى (٤٨١ هـ) ، سفرنامة :

---

(١) زكى محمد حسن ، الرحالة المسلمون ، ص٢٦ وما يليها - نقولا زيادة ، الرحالة العرب ، القاهرة ١٩٥٦ ص٤٤

(٢) زكى محمد حسن ، نفس المرجع ص٣٦ وما يليها - نقولا زيادة ، ص ٤٧

(٣) نقولا زيادة ، الرحالة العرب ، ص٤٧

هو رحالة فارسي الأصل ولد في بلدة قباديان من أعمال مدينة بلخ في سنة ٣٩٤ ﻫ ، وقضى فترة طويلة من شبابه وهو يجوب أنحاء ايران وتركستان والهند، واستقر به المطاف في مرو ، وعمل في خدمة الغزنويين حينا حتى دالت دولتهم ثم التحق في ديوان السلاجقة بمرو ، حيث انغمس في حياة اللهو والخلاعة والمجون في بلاط جغرى بك السلجوقي حاكم خراسان حتى سنة ٤٣٧ ﻫ ، ثم استجاب لنداء هاتف جاءه في نومه ونهاه عن المعاصي وعن شرب الخمر ، وأسر إليه بالحج، فعزم ناصر خسرو على تلبية نداء الهاتف ، وبدء صفحة جديدة من حياته ، ورحل لتأدية فريضة الحج ، فبدأ رحلته من مرو إلى الشام مارا بنيسابور والرى وتبريز وميافارقين وآمد وحران ، ثم دخل الشام عن طريق منبج ، وزار أهم مدنها ، حتى انتهى إلى الرملة والقدس ، ومن هناك اتجه الى مكة حيث أدى فريضة الحج ، وعاد إلى القدس ، واجتذبته مصر ، فعرج عليها ، واستقبله الخليفة المستنصر بالله الفاطمي استقبالا حسنا ، واتصل في مصر ببعض رؤساء الاسماعيلية ، ويبدو أنهم استمالوه الى المذهب الاسماعيلي، فترك مذهبه السني وأصبح منذ ذلك الحين اسماعيليا متعصبا للفاطميين . ولما عاد الى وطنه في سنة ٤٤٤ وأبدى بعض آرائه في المذهب الاسماعيلي ، اضطهد وطورد ، واضطر الى الفرار الى يمكان حيث قضى البقية الباقية من حياته (١).

ولقد سجل ناصر خسرو أخبار رحلته وحوادثها يوما بعد يوم ، وذلك بعد عودته الى خراسان ، ودون في هذا الكتاب مشاهداته في البلاد التي زارها في

---

(١) راجع : مقدمة كتاب سفرنامة ، تعريب الدكتور يحيى الخشاب ، القاهرة ١٩٤٥ ص أ — خ ، وزكي محمد حسن ، الرحالة المسلمون ، ص ٥٦ وما يليها — نقولا زيادة ، الرحالة العرب ، ص٤٨ .

طريقه الى مكة ومصر وفى أثناء عودته الى بلخ . وتعبر ملاحظاته عن فهم عميق بحياة الشعوب ، وادراك كامل لمظاهر الحضارة فيها ، ووعى واضح بنظم الحكم والعادات والتقاليد . ولهذا السبب يعتبر هذا الكتاب مصدرا هاما لحالة الشرق الأدنى الاسلامى قبيل الغزو الصليبي . وقد توسع ناصر خسرو فى وصف مصر توسعا يدل عليه عظم ما يشغله هذا الوصف من مجموع ما جاء فى الرحلة ، فهو يتجاوز نحو ثلث الكتاب . ويبدو أن السنوات الأربع التى قضاها فى مصر أتاحت له الفرصة فى أن يتغلغل فى حياتها ، ويغوص فى أعماقها ، وقد كان أمينا فى وصفه لمظاهر الحياة العلمية والاجتماعية والاقتصادية فيها .

(٢) الهروى (أبو الحسن على بن أبى بكر ، ت ٦١١ هـ) : « كتاب الاشارات الى معرفة الزيارات » .

أصله من هراة ، ولكنه موصلى المولد ، زار كثيرا من بلاد الاسلام ، فرحل إلى العراق والشام والحجاز واليمن ومصر وبلاد الروم وصقلية والمغرب وبعض جزر البحر المتوسط ، كما زار القسطنطينية والهند ، وقد عرف بكثرة أسفاره حتى أطلقوا عليه اسم الهروى السائح (١) ، واتصل الهروى فى نهاية حياته بالملك الظاهر ملك حلب ، وأقام فى رعايته بحلب حتى توفى فى سنة ٦١١ هـ . وكتابه « الاشارات إلى معرفة الزيارات » (٢) هو الكتاب الوحيد الذى وصل الينا من مؤلفاته ، وقد سجل فيه وصفه للمزارات والمساجد التى زارها وشاهدها فى رحلته ، ولكننا نجد أن وصفه لكثير من هذه الآثار تتخلله القصص الخرافية والأساطير .

---

(١) زكى محمد حسن ، الرحالة المسلمون ، ص ٩٠

(٢) الهروى ، كتاب الاشارات ، تحقيق جانين سوردبل - جومين ، دمشق ، ١٩٥٣ ،

(٣) عبد اللطيف البغدادى توفى فى القرن السابع الهجرى) : كتاب الافادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر » (١) .

ولد فى بغداد فى سنة ٥٥٧ هـ ، وإليها نسب ، وكان مغرما بالرحلة والسفر ، فزار الشام ومصر والعراق، وتنقل بين حلب وأذربيجان وأرزن الروم وبغداد. وكتابه « الافادة والاعتبار » يتضمن وصفا لمشاهداته فى مصر التى زارها مرتين واشتغل بالتدريس فى جامعها الأزهر ، ويمتاز وصفه لمصر بالدقة العلمية والاهتمام بالنواحى الاجتماعية والعمرانية ، وقد شهد البغدادى الغلاء الفاحش والقحط الذى أصيبت بهما مصر فيما بين عامى ٥٩٣ ، ٥٩٨ هـ فى زمن الملك العادل ، ووصف ما أصاب الناس من هذه المجاعة من وباء أدى إلى موت عدد كبير من أهلها ، وقد أشار عبد اللطيف البغدادى الى الوباء الذى حدث فى الاسكندرية فى سنة ٥٩٣ هـ وكان يموت منه فى اليوم الواحد سبعمائة شخص ، الأمر الذى دعا كثيرا من أهلها إلى الهجرة منها الى بلاد برقة وأعمالها حيث قاموا بتعميرها (٢) ؛ كذلك شاهد البغدادى الأعمدة المتكسرة التى رماها قراجا والى الاسكندرية فى أيام صلاح الدين ، بشاطىء البحر ، ليوعر على العدو سلوكه إذا قدم ، وقد استنكر البغدادى هذا العمل ، وعده « من عبث الولدان ، ومن فعل من لا يفرق بين المصلحة والمفسدة » (٣) ، وهى ملاحظة دقيقة تدل تفهمه للأمور . كذلك شاهد البغدادى قيام صلاح الدين بهدم الأهرامات الحجرية الصغيرة على يدى

(١) طبعة مصر ، القاهرة ١٨٧٠ ، وطبعة بتحقيق وايت، مع الترجمة اللاتينية ، نشرت فى لندن فى ١٨٠٠

(٢) البغدادى ، الافادة والاعتبار ، طبعة مصر ، ص ٥٨

(٣) نفس المصدر ، ص ٢٨

قراقوش واستخدامه لها فى بناء قلعة الجبل (١) ، وهى ملاحظة هامة أشار إليها ابن جبير أيضا .

ثانيا ـ الرحالة المغاربة ومصنفاتهم :

(١) ابن جبير (أبو الحسين محمد بن أحمد البلنسى ، ت ٦١٤ ﻫ) : كتاب تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار ، المعروف برحلة ابن جبير ، (٢) .

ولد ابن جبير فى مدينة بلنسيه فى سنة ٥٤٠ ﻫ ، وتلقى العلم على شيوخ عصره فى شاطبه وغرناطة وسبته ، والتحق بخدمة أبى سعيد بن عبد المؤمن صاحب غرناطه ، وأولع بغرناطة وطاب له العيش فيها وسكناها . وكان سبب قيامه بالرحلة — على ماذكره ابن الرقيق « أنه كتب فى أول أمره عن السيد أبى سعيد بن عبد المؤمن صاحب غرناطه ، فاستدعاه لأن يكتب عنه كتابا وهو على شربه ، فمد يده اليه بكأس ، فأظهر الانقباض ، وقال : ياسيدى ماشربتها قط ، فقال : والله لتشربن منها سبعا ، فلما رأى العزيمة شرب سبع أكؤس ، فملأ له السيد الكأس من دنانير سبع مرات ، وصب ذلك فى حجره ، فحمله إلى منزله ، وأضمر أن يجعل كفارة شربه الحج بتلك الدنانير ، ثم رغب إلى السيد ، وأعلمه أنه حلف بأيمان لاخروج له عنها أنه يحج فى تلك السنة ، فأسعفه ، وباع ملكا له تزود به ، وأنفق تلك الدنانير فى سبيل البر » (٣) .

والواقع أن ابن جبير قام بثلاث رحلات إلى المشرق الاسلامى ، وكتابه « تذكرة

---

(١) نفس المصدر ، ص ٢٣

(٢) طبعة ليدن ، تحقيق وليم رايت ، ١٩٠٧

(٣) المقرى ، نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ١٤٥ ، ١٤٦

بالأخبار ، هو تسجيل لمشاهداته فى الرحلة الأولى ، التى بدأها فى شوال سنة ٥٧٨هـ وانتهى منها بعودته الى الأندلس فى ٢٢ من المحرم فى ٥٨١هـ ، ومن المعتقد أنه كتب أخبار هذه الرحلة فيما يقرب من سنة ٥٨٣ هـ بعد ان شاع خبر فتح بيت المقدس على يد صلاح الدين الأيوبى . ثم تاقت نفسه للرحلة مرة ثانية ، فرحل الى المشرق الاسلامى فى سنة ٥٨٥هـ ، وهى رحلة استغرقت سنتين وعدة أشهر ، عاد بعدها الى غرناطة فى شعبان سنة ٥٨٧ هـ ، ولكنه آثر أن يقيم فى سبته ، ويتزوج فيها ، ثم يعزف عن المقام بسبته بعد وفاة زوجته عاتكه أم المجد بنت أبى جعفر الوقشى وكان كلفا بها فيرحل الى المشرق مرة ثالثة (١) ، فى سنة ٦١٤ ، وينزل بالاسكندرية ، ولم يطل به العمر بعد ذلك إذ توفى فى نفس هذا العام بالثغر السكندرى (فى ٢٩ شعبان) ودفن بها ، ومن المعتقد أنه دفن فى الموضع المعرف اليوم بسيدى جابر.

ورحلة ابن جبير أشبه بمذكرات يومية سجل فيها ملاحظاته ومشاهداته لما شاهده فى رحلة فى الاسكندريه والقاهرة والفسطاط وقوص وعيذاب ومكة والمدينة والكوفة وبغداد والموصل وعكا وصقلية . وقد اهتم فى كتابته بوصف المساجد والأضرحة والهياكل والآثار ، كما عنى بالنواحى الاجتماعية والاقتصادية فى البلاد التى زارها . ووصفه للآثار يدل على دقة الملاحظة ، وقدرة عجيبة على التعبير عن الفن الزخرفى والمعمارى على السواء ، أما ملاحظاته وتعليقاته على مظاهر الحياه الاجتماعية والاقتصادية فى البلاد التى زارها ، فمن أهم الوثائق التى تعين الباحث فى تصور الأحوال الاجتماعية والاقتصادية فى الشرق الأدنى الاسلامى فى عصره . وأروع ما ذكره منها تصويره للتعايش السلمى بين الصليبيين والوطنيين فى مملكة

---

(١) ابن الخطيب ، الاحاطة فى أخبار غرناطة ، القاهرة ، ١٣١٩ هـ ، ج ٢ ص ١٦٩

بيت المقدس الصليبية ، على الرغم من حالة الحرب القائمة بين المسلمين والصليبيين .

(٢) ابن سعيد المغربي (أبو الحسن علي بن موسى ، ت ٦٨٥ هـ) : متمم كتاب « المغرب في حلي المغرب » ، ومؤلف « المشرق في حلي المشرق » (١) .

ولد أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد بقلعة يحصب من أعمال غرناطة في سنة ٦١٠ هـ وهي قلعة تعرف بقلعة بني سعيد ، وكانت تعرف قبل ذلك بقلعة أسطلير وهو عين لها ، وبيت بني سعيد من أعظم بيوتات الأندلس وأشرفها إذ يرتفعون في نسبهم إلى عمار بن ياسر الصحابي ، وكان أبو عمران موسى ابن عبد الملك بن سعيد من أشهر كتاب عصره ، ولذلك ولاه المتوكل محمد بن هود على الجزيرة الخضراء ، وناب ابنه علي عنه في أعمال الجزيرة (٢) . وكان علي بن موسى « وسطى عقد بيته وعلم أهله ، ودرة قومه ، المصنف ، الأديب ، الرحالة ، الطرفة ، الأخباري ، العجيب الشأن في التجول في الأقطار ، ومداخلة الأعيان ، للتمتع بالخزائن العلمية ، وتقييد الفوائد المشرقية والمغربية ، أخذ من أعلام إشبيلية كأبي علي الشلوبين ، وأبي الحسن الدباج ، وابن عصفور وغيرهم ... » (٣) .

وكتاب « المغرب في حلي المغرب » ثمرة جهود أربعة من بيت بني سعيد ،

---

(١) عدهما آنخل جنثالث بالنثيا كتابا واحدا عنوانه « كتاب فلك الأرب ، المحيط بحلى لسان العرب » ، ينقسم الى كتابين كبيرين : المغرب في حلي المغرب ، والمشرق في حلي المشرق ، الأول تاريخ المغرب والأندلس فيما بين عامي ٥٢٩ ، ٦٤٠ هـ (راجع تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٢٤٤)

(٢) المقري ، نفح الطيب ، ج ٣ ص ٣٨

(٣) نفسه ، ص ٣٨

أولهم عبد الملك بن سعيد صاحب قلعة بنى سعيد فى عهد على بن يوسف بن تاشفين، وقد بدأ فيه عبد الملك من سنة ٥٣٠ إلى أول سنة ٦٤١ هـ ثم أتمه ابنه محمد بن عبد الملك ، ثم أزاد فيه موسى بن محمد ، ثم أربى عليهم جميعا فى اتمامه أبو الحسن على ابن موسى الذى يرجع اليه الفضل فى اخراج الكتاب بصورته النهائية . وقد ضمن ابن سعيد هذا الكتاب قسما عن مصر التى زارها فى صحبة أبيه فى سنة ٦٣٩ هـ فى السنة الثانية من ولاية الملك الصالح نجم الدين أيوب على مصر . وفى الاسكندرية توفى أبوه بعد ستة أشهر من وصوله اليها . وأتيح لعلى بن موسى بن سعيد أن يتصل فى مصر بعلمين من أعلام الفكر الاسلامى يومئذ هما جمال الدين موسى بن يغمور ، والقاضى كمال الدين ابن العديم الحلبى (١) . أقام على بن سعيد فى مصر أربع سنوات ، ثم انتقل منها الى حلب فى سنة ٦٤٤ ، وظل مقيما بحلب متمتعا بنعم الملك الناصر صاحب حلب ، الى أن رحل عنها الى دمشق فى سنة ٦٤٧ هـ ، وانتقل منها بعد ذلك الى بغداد فى السنة التالية مارا بأرمينية وأرجان ، ثم أدى فريضة الحج ، ورحل بعد ذلك الى تونس فى سنة ٦٥٢ هـ حيث قربه السلطان أبو عبد الله المستنصر بالله الحفصى . ثم رحل للمرة الثانية الى المشرق فى سنة ٦٥٦ هـ (٢) ، ونزل بالاسكندرية وهناك بلغه ما فعله التتار مع الملك الناصر صاحب

---

(١) زكى محمد حسن ، مقدمة كتاب ابن سعيد ، المغرب فى حلى المغرب ، الجزء الأول من القسم الخاص بمصر ، القاهرة ، ص ١٦ م

(٢) ورد فى المصادر العربية أنه رحل الى المشرق رحلته الثانية فى سنة ٦٦٦ هـ ، ولكن يبدو أن هذا التاريخ غير صحيح ، وأن صوابه ٦٥٦ هـ ، لأنه اتصل بهولاكو فى هذه الرحلة عقب افتتاحه لمدينة حلب فى أول سنة ٦٥٧ هـ . ومن الملاحظ أن هولاكو توفى فى سنة ٦٦٣ هـ ، فإن صدقنا التاريخ الأول ، يصبح من المستحيل على ابن سعيد مقابلة هولاكو ، لأنه يكون قد مات قبل سفره بثلاث سنوات .

حلب وكيف قتلوه بعد أن أعطوه الأمان فحزن لمقتله حزناً شديداً، وعزم على السير إلى هولاكو ليؤثر عليه بعمله، ويثنيه عن مهاجمة الديار الاسلامية ، فمضى إلى حلب ، ورحل منها الى صحراء يوشن فى طريقه إلى أرمينية ، حيث واتته الفرصة لمقابلة هولاكو ، وأقام بأرمينية فترة من الوقت ضيفا على هولاكو ، حتى كانت هزيمة التتار فى عين جالوت ، فى سنة ٦٥٨ هـ ، فرحل ابن سعيد إلى إيران، ثم عاد بعد ذلك الى تونس ، وأقام بها بقية حياته حتى مات فى سنة ٦٨٥ هـ .

والقسم الخاص بمصر من كتاب « المغرب فى حلى المغرب » ويعرف بكتاب « الإكليل فى حلى بلاد النيل » يبدأه بالحديث عن مصر وذكر فضائلها على النحو الذى اتبعه معظم من كتب عنها من مؤرخى العرب ، ثم يقسم كتاب هذا القسم المصرى من بنى سعيد الكور المصرية الى أقسام ثلاثة هى المملكة العليا والمملكة الوسطى والمملكة السفلى (١) .

أما الكتاب الثانى لابن سعيد « المشرق فى حلى المشرق » فقد ألفه على بن سعيد استجابة لرأى أبيه وتنفيذاً لخطته ، وتوجد فى المكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية نسخة مخطوطة لهذا الكتاب .

وتتميز كتابة ابن سعيد بالمبالغة فى وصف مساوىء العمران المصرى فى الفسطاط والتحامل على عادات المصريين ، ويتجلى ذلك فى قوله : « ولما استقررت بالقاهرة تشوفت الى معاينة الفساط ، فسار معى اليها أحد أصحاب العزمة ، فرأيت عند باب زويلة من حمير المعدة لركوب من يسير الى الفسطاط جملة عظيمة لا عهد لى بمثلها فى بلد ، فركب منها حمارا ، وأشار الى أن أركب حمارا آخر ، فأنفت من ذلك جريا على عادة ماخلفته من بلاد المغرب، فأعلمنى أنه غير معيب على أعيان مصر.

(١) زكى حسن ، مقدمة كتاب المغرب فى حلى المغرب ، ص ٢٨ م

وعاينت الفقهاء وأصحاب البزة والشارة الظاهرة يركبونها ، فركبت ، فعندما استويت راكبا أشار المكارى على الحمار ، فطار بى ، وأثار من الغبار الأسود ما أعمى عينى ودنس ثيابى ، وعاينت ما كرهته . ولقلة معرفتى بركوب الحمار وشدة عدوه على قانون لم أعهده، وقلة رفق المكارى، وقعت فى تلك الظلمة المثارة من ذلك العجاج ، وقلت :

لقيت بمصر أشـــد البوار ... ركوب الحمار وكحل الغبار
وخلفى مكار يفـوق الريا ... ح لايعرف الرفق مهما استطار
أناديه مهـلا فلا يرعوى ... إلى أن سجدت سجود العثار
وقد مد فوقى رواق الثرى ... وألحد فيه ضياء النهار

فدفعت إلى المكارى أجرته ، وقلت له : إحسانك إلى أن تتركنى أمشى على رجلى ، ومشيت إلى أن بلغتها ، وقدرت الطريق بين القاهرة والفسطاط ، وحققته بعد ذلك ، نحو الميلين . ولما أقبلت على الفسطاط أدبرت عنى المسرة ، وتأملت أسوارا مثلمة سوداء ، وآفاقا مغبرة ، ودخلت من بابها ، وهو دون غلق ، يفضى إلى خراب معمور بمبان مشتتة الوضع ، غير مستقيمة الشوارع ، قد بنيت من الطوب الأدكن والقصب والنخيل ، طبقة فوق طبقة ، وحول أبوابها من التراب الأسود والأزبال مايقبض نفس النظيف ، ويغض طرف الظريف » (١) .

(٣) العبدرى (محمد بن محمد بن على البلنسى . ت فى أواخر القرن السابع الهجرى):

الرحلة المغربية : يرتفع نسب العبدرى إلى بنى عبد الدار بن قصى ، وكانت بلنسيه هى

(١) ابن سعيد ، المغرب فى حلى المغرب ، الجزء الأول من القسم الخاص بمصر ، ص ٥-٦ . المقرى ، نفح الطيب ، ج ٣ ص ١٠٣ ، ١٠٤

موطن أسرته فى بلاد الأندلس ، وكان أبوه أبو عبدالله محمد بن أحمد بن موسى بن هذيل العبدرى (ولد فى سنة ٥١٩ هـ) قد رحل الى المشرق ، ونزل بمصر وسمع من السلفى وابن عوف ، ذا حظ من علم اللغة (١) أما ابنه محمد صاحب الرحلة فقد حذا حذوه فى السفر إلى الحجاز لأداء فريضة الحج فى سنة ٦٨٨، وبدأ رحلته من حاحة فى السوس الأقصى ، واخترق المغرب الأقصى إلى تلمسان والجزائر وبجاية وقسنطينة وتونس ، ثم اخترق بلاد ليبيا برا حتى الإسكندرية ، ثم سلك الطريق البرى من الاسكندرية إلى مكة ، وعاد الى المغرب عن طريق فلسطين ومصر وليبيا. وقد وصف العبدرى مدن المغرب ومصر وذكر آثارها ومعالمها ، واهتم بوجه خاص بالنواحى الاجتماعية والعلمية ، فذكر الخصائص البارزة فى سكان الأقاليم التى مر بها (٢) .

وقد تحامل العبدرى على مصر والمصريين وسب أهلها ، بطريقة فاقت أسلافه من المغاربة أمثال ابن جبير وابن سعيد . ويعتقد الأستاذ الدكتور سعد زغلول عبد الحميد أن « ذم أهل مصر — إلى جانب فضائلها — أصبح موضوعا تقليديا هو الآخر ، بدأه الجاحظ ونقل عنه المتأخرون عندما قال : أهل مصر أعقل الناس صغارا وأحمقهم كبارا ... »(٣) . وأول ما وجهه العبدرى من سباب لأهل مصر عندما تعرض لوصف ما لقيه على أيدى مفتشى المكوس ، فيقول : « ومن الأمر المستغرب والحال الذى أفصح عن قلة دينهم أنهم يعترضون الحجاج، ويجرعونهم من بحر الإهانة الملح الأجاج ، ويأخذون على وفدهم الطرق والفجاج ،

---

(١) المقرى ، ج ٢ ص ٤١٩

(٢) زكى محمد حسن ، الرحالة المسلمون ، ص ١٣٣ — نقولا زيادة ، الرحالة العرب ، ص ١٠٥

(٣) سعد زغلول عبد الحميد ، ملاحظات عن مصر ، ص ١٠٨

يبحثون عما بأيديهم من مـال ، ويأمرون بتفتيش النساء والرجال ، وقد رأيت من ذلك يوم ورودنا عليهم ما اشتد له عجبي ، وجعل الانفصال عنهم غاية أربى، وذلك لما وصل إليهـا الركب جاءت شرذمة من الحرس ، لاحرس الله مهجتهم الخسيسة ، ولا أعدم منهم لأسد الآفات فريسة ، فدوا فى الحجاج أيديهم ، وفتشوا الرجال والنساء ، وألزموهم أنواعا من المظالم . وأذاقوهم ألوانا من الهوان ، ثم استحلفوهم وراء ذلك كله ، وما رأيت هذه العـادة الذميمة ، والشيمة اللئيمة فى بلد من البلاد ، ولا رأيت فى النـاس أقسى قلوبا ، ولا أقـل حيـاء ومروءة ، ولا أكثر إعراضا عن الله سبحانه ، وجفاء لأهل دينه من أهل هذا البلد ، (١) .
وينقل الينا الأستاذ الدكتور سعد زغلول أمثلة من ذم العبدرى لأهل مصر منها قوله فى وصف القاهرة : « مدينة كبيرة القطر وساكنها يحاكى عدد الرمل ، وهى مع ذلك تصغر عن أن يسطر ذكرها فى سطر . إن نظرت إلى صورتهـا ذكرت قول القائل :

بغاث الطير أطولها رقابا ∴ ولم تطل البزاة ولا الصقور

وإن تأولت معناها ذكرت قوله :

وقد عظم البعير بغير لب ∴ فلم يستغن بالعظم البعير

وإن تأملت إفراط عمارتها ذكرت قوله :

خشاش الطير أكثرها فراخا ∴ وأم الصقر مقلال نزور

... وحسبها شرا أنها جرين لحثالة العباد ، ودعاء لنفاة البلاد ... سم الغش ممزوج فى عسل النحل . خرجت عمارتها عن الحد المألوف ، وزادت كثيرا على

---

(١) زكى حسن ، الرحالة المسلمون، ص ١٣٣

القدر المعروف . أما بغضهم الغريب ، وتمالؤهم على ذلك فأمر لايحيط به علما إلا من عاينه ، ما رأيت بالمغرب الأقصى والأندلس على شكاسة أخلاقهم » (١) .

وبينما نراه يذم مصر والمصريين نراه يمدح تونس وأهلها ، ففي مدحه لتونس يقول : « ثم وصلنا إلى مدينة تونس مطمح الآمال ، ومصب كل برق ، ومحط الرحال من الغرب والشرق ، وملتقى الركاب والفلك وناظمة فضائل البرين في سلك، فان شئت أصحرت في موكب ، وإن شئت أبحرت في مركب ، كأنها ملك والأرباض لها إكليل ، وأرجاؤها روضة باكرتها ريح بليل » . (٢) وفي أهل تونس يقول : « وما رأيت لأهلها نظيرا شرقا وغربا ، شيما فاضلة ، وأخلاقا حميدة ، وقد كان الأخلق بمن شاهد أخلاقهم أن يطنب في وصفهم ، ويضرب عمن لم يمنحهم الوداد وينصفهم ، إذ ذلك من بعض واجبهم ، وأقل مراتبهم ، ولكن الزمان لايعين على توفية الحقوق ، ولايتعمد الفراغ الا أهل العقوق . . . » . ثم يقارن بين أهل تونس وبين بعض من لم يؤتوا من الفضل ، معنيا بذلك أهل مصر: « فسبحان من خلقهم وأهل تونس في طرفي نقيض ، أولئك في الأوج وأولاء في الحضيض » (٣) .

(٤) النوشريشي (أبو عمر عبد الله بن رشيد ، ت بعد عام ٧٠٠ هـ): الرحلة .

النوشريشي من الرحالة المغاربة الذين رحلوا الى المشرق الاسلامي ، وجاب النوشريشي بلاد المغرب ومصر والشام فيما يقرب من عام ٦٧٣ هـ ، وسجل ما شاهده في رحلته ، وترجم لمن لقيه في طريقه من أهل الأدب والعلم في كتابه

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ص١٠٨ ، ١٠٩

(٢) نقولا زيادة ، الجغرافية والرحلات عند العرب ، ص١٧٣

(٣) نقولا زيادة ، المرجع السابق . ص ١٧٦

الرحلة ، الذى وصلت إلينا نسخ مخطوطة منه(١) . وتتألف الرحلة من خمسة أجزاء منها جزآن فى مكتبة الاسكوريال تحت رقم ٣٩ هما الثالث والرابع (٢) .

(٥) ابن رشيد السبتى الفهرى (أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد (ت٧٢١هـ) رحلة المغرب والأندلس . ولد فى سبتة فى سنة ٦٥٩ ، ونشأ فى بيئة علمية ، وكان خطيبا بليغا وعالما فى الحديث ، وقد رحل إلى المشرق الإسلامى فى سنة ٦٨٣ هـ لأداء فريضة الحج والإتصال بالمدارس العلمية فى الحجاز والشام ومصر ، فأبحر من ثغر المرية إلى إفريقية ، فى رفقة الوزير أبو عبد الله بن الحكيم الرندى ، ومن إفريقية رحل إلى مصر والشام ، وأدى فريضة الحج . وعند عودته من الرحلة تولى قضاء المناكح بغرناطة ، ولكنه لم يلبث أن زهد فى القضاء ، فرحل إلى فاس ، وتوفى فيها فى ٢٣ محرم سنة ٧٢١ هـ ، ودفن خارج باب الفتوح من أبواب مدينة فاس ، وقدسجل رحلاته فى رحلتين: إحداها طاف فيها بنواحى إفريقيه . والثانية زار فيها بلاد الأندلس ، وقد ضمن مشاهداته ملاحظات خاصة بالأدب والتاريخ الطبيعى (٣) .

(٦) البلوى (أبو البقاء خالد بن عيسى البلوى ، ت فى أواخر القرن الثامن الهجرى) : « تاج المفرق فى تحلية علماء أهل المشرق » .

ولد البلوى فى بلدة قنتورية من حصون وادى المنصورة من أعمال غرناطة ، وكان من أهل الفضل والعلم ، فقضى ببلده وبغيره ، ثم رحل إلى الحجاز لتأدية فريضة

(١) آنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص ٣١٨ .

(٢) Pons Boigues, Historiadores y geografos arabigo espanoles, P. 314

(٣) Ibid. p. 317,318 ـ آنخل جنثالث بالنثيا ، ص ٣١٩

الحج فى ١٨ صفر سنة ٧٣٦ هـ ، عن طريق بلاد المغرب ، مارا بتلمسان وبجاية والجزائر وتونس. وهناك أبحر إلى الاسكندرية . فنزل بها ، ثم رحل إلى القاهرة ، ومنها إلى بيت المقدس فالمدينة ومكة . وعاد من الحج إلى الاسكندرية ، وركب منها سفينة إلى طرابلس . ولكنه اضطر إلى العودة الى الاسكندرية حيث أقام بها فترة طويله ، إلى أن عزم على مغادرتها الى تونس. وأقام بتونس زهاء عامين رحل بعدهما الى مسقط رأسه فى أول ذى الحجة سنة ٧٤٠ بعد أن مر على بونة وقسنطينة وبجاية والجزائر ، وهناك سجل أخبار رحلته فى كتاب بعنوان « تاج المفرق فى تحلية علماء أهل المشرق » وصف فيه ماشاهده فى البلاد التى زارها ومن لقيه من علمائها وأدبائها ، معززا كتابته بنماذج من أسفارهم ونثرهم (١)، ولكنه نقل كثيرا عن العماد الأصفهانى وصفوان وابن جبير . وقد انتقده ابن الخطيب ، وعاب عليه سطوه على الرحالة السابقين، وادراج ذلك فى كتابه(٢). ولرحلة البلوى نسختان مخطوطتان فى باريس ، ونسخة محفوظة فى مكتبة القرويين بفاس ، ونسخة فى جامع الزيتونة بتونس ، ونسخة بمدرسة الآداب بالجزائر .

وقد وصف البلوى فى رحلته آثار القاهرة ، فذكر مبانيها ومساجدها ومدارسها ومصانعها ، ووصف بعض المشاهد ، كما وصف مارستان القاهرة وهو مارستان المنصور قلاوون فقال : « ولو لم يكن للقاهرة ماتذكر به إلا المارستان وحده ، وهو قصر عظيم من القصور الرائعة حسنا وجمالا واتساعا ، لم يعهد مثله لقطر من الأقطار أحسن بناء ولا أبدع إنشاء ولا أكمل انتهاء فى الحسن » (٣)، ثم

---

(١) ابن الخطيب ، الاحاطة فى أخبار غرناطة ، تحقيق الأستاذ محمد عبد الله عنان ، ج١ ، القاهرة ١٩٥٥ ، ص ٥٠٨ — Pons Boigues, op. cit. p, 330

(٢) ابن الخطيب ، الاحاطة ، ٥٠٨

(٣) سعد زغلول عبد الحميد ، ملاحظات عن مصر ، ص ١١٠

يفرد صفحات كثيرة من رحلته فى ذكر من لقيه من المشايخ فى مصر . ويهتم البلوى بمدينة الاسكندرية اهتماما خاصا ، فيشير الى بنائها على أيام الاسكندر ، ويصف منار الاسكندرية المشهور .

(٧) أبو حامد الغرناطى (أبو عبد الله بن عبد الرحيم ، ت ٥٦٥ هـ)
« تحفة الألباب ونخبة الاعجاب »

ولد أبو حامد الغرناطى بغرناطة فى عام ٤٧٣ ، ورحل الى الاسكندرية فى سنة ٥٠٨ هـ وسمع بها من أبى عبد الله الرازى ، وسمع بمصر من أبى صادق مرشد ابن يحى المدينى وأبى الحسن الفراء الموصلى ، وأبى عبد الله محمد بن بركات ابن هلال النحوى وغيرهم . ثم رحل الى الشام ، وحدث بدمشق ، وسمع أيضا بها ببغداد (١) . وفى سنة ٥١١ هـ نزل بصقلية ، ثم عاد الى مصر ، وفى سنة ٥٢٥ طاف بكثير من الأقطار ، فاجتاز بحر قزوين ووصل الى ضفاف الفلجا ، وزار بلاد البلغار ، كما زار مدينة خوارزم .

وفى عام ٥٥٥ زار بغداد مرة ثانية ، واستضافه الوزير يحى بن محمد بن هبيرة ، فألف له الغرناطى كتابا بعنوان « المغرب عن بعض عجائب المغرب » ، ثم ألف بعد ذلك بعامين فى الموصل كتابه المشهور « تحفة الألباب ونخبة الاعجاب » الذى توجد منه نسخا كثيرة مخطوطة فى كثير من المكتبات الأوربية . ويتألف هذا الكتاب من مقدمة وأربعة أبواب ، الأول منها فى صفة الدنيا وسكانها من إنسها وجانها ، والثانى فى صفة عجائب البلدان وغرائب البنيان ، والثالث فى صفة البحار وعجائب حيواناتها ، والرابع فى صفات الحفائر والقبور (٢) .

---

(١) المقرى ، نفح الطيب ، ج٣ ص ٥

(٢) Pons Boigues, op. cit. p. 229,230

(٨) ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن محمد اللواتي الطنجي ، ت ٧٧٠ هـ)
تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، (١) ، المعروف برحلة ابن بطوطه .

هو أعظم الرحالة العرب وأشهرهم على الأطلاق وأكثرهم طوافا في آفاق الأرض ، وعناية بسرد تفصيلات مشاهداته في الرحلات التي قام بها خلال ثلاثين عاما ، ومراعاة لتسجيل ملاحظاته الخاصة بالأحوال الاقتصادية والإجتماعية للبلاد التي زارها .

ولد ابن بطوطه في مدينة طنجة في عام ٧٠٧ هـ ، ونشأ في بيئة علمية ، إذ كان معظم أفراد أسرته ممن اتيح لهم تولى مناصب القضاء والنبوغ في العلوم الدينية . وقد أولع ابن بطوطة بالسفر والرحلة وهو بعد شاب في مقتبل عمره ، فرحل عن وطنه في سنة ٧٢٥ هـ لأداء فريضة الحج ، ولكن قدر له أن يقضى ما يقرب من ثلاثين سنة في رحلات متواصلة زار خلالها جميع ديار الإسلام بالإضافة إلى سيلان والهند والصين وآسيا الصغرى والقسطنطينية وبلاد القرم والقوقاز وبلاد البلغار ، كما زار خوارزم وبخارى وسمرقند من بلاد ماوراء النهر ، وترمذ وبلخ وهراة وطوس ونيسابور من خراسان ، وقد قطع هذه الرحلة للحج إلى مكة أربع مرات .

ثم عاد في خاتمة رحلته إلى تونس في صفر سنة ٧٥٠ هـ ، وركب من تونس على مركب قطلاني ، مرت بجزيرة سردانية ، وانتهى به الأمر بعد مغامرات مثيرة إلى مدينة فاس حيث اتصل بالسلطان المريني أبي عنان . ولكنه لم يلبث أن رحل

---

(١) طبعة صادر بيروت ١٩٦٠

إلى الأندلس حيث زار مالقة وغرناطة ، ثم عاد إلى فاس ، وهناك أوفده السلطان المريني في سفارة إلى بلاد السودان الغربي في أول سنة ٧٥٣ ، واستمرت هذه الرحلة ما يقرب من عام ، وعاد إلى فاس في غضون سنة ٧٥٤ .

وفي بلاط السلطان المريني أملى ابن بطوطة كتاب الرحلة لمحمد بن جزى الكلبي (المتوفى سنة ٧٥٧ هـ) بإشارة من السلطان .

(٩) التجاني (أبو محمد عبد الله بن محمد ، ت ٧١٨ هـ) : « رحلة التجاني(١) .

ينتسب عبد الله بن محمد التجاني صاحب الرحلة المعروفة إلى بيت التجاني من أعظم بيوتات تونس ، وكانوا في الأصل ينتسبون إلى قبيلة « تجان » المغربية ، وأول من قدم منهم إلى تونس هو أبو القاسم التجاني ، إذ اشترك في الجيش الذي سيره عبد المؤمن الموحدي لفتح إفريقية ، ثم استقر التجانيون في تونس ، وشاركوا في النهضة العلمية التونسية في عصر الموحدين ثم في عصر بني حفص(٢) .

وظهر التجاني في عهد السلطان محمد المعروف بأبي عصيدة ، فاستصفاه شيخ الموحدين الأمير أبو يحيى زكريا بن اللحياني لنفسه ، وأدنى منزلته إليه ، وصحبه التجاني عندما عزم على تفقد بلاده استعداداً لمحاربة الاسبان المغتصبين لجزيرة جربة ، وذلك في سنة ٧٠٦ هـ ، ودامت رحلة التجاني عامين وثمانية أشهر وبضعة أيام .

وقد سجل التجاني في رحلته مشاهداته في البلاد الإفريقية ، ودون انطباعاته بأسلوب سلس ، واهتم بوصف العمران التونسي في رحلته في المدن والقرى مع

---

(١) تحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب ، تونس ١٩٥٨ .

(٢) راجع مقدمة الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب لرحلة التجاني ص٣ م — ١٩ م .

التعريف بأخبارها التاريخية وذكر النابهين من أبنائها . ويزور التجانى الساحل التونسى ماراً بصفاقس ، ثم ينحدر جنوباً إلى قابس وجزيرة جربة ، فيصفها وصفا رائعا ، ويتعرض لعادات أهلها ومذهبهم ، ثم يدخل فى الواحات الجنوبية ، ويقطع سبخة تاكرت ، ويصل بعد ذلك إلى طرابلس ، ويقيم فيها فترة من الوقت ، يتصل خلالها بعلماء المدينة وأولى الفضل من أهلها ، ثم يعود إلى وطنه ، واصفا ما مر به فى طريقه حتى يصل إلى تونس(١) .

---

(١) حسن حسنى عبد الوهاب ، المقدمة السابقة ص ٤١ م – ٤٤ م .

(٥)

الشعر العربي وكتب الأدب

يعتبر الشعر العربي فى الجاهلية من المصادر الهامة لتاريخ العرب وحضارتهم فى ذلك العصر ، إذ يصور لنا كثيراً من أحوال العرب الاجتماعية والدينية ، كما يصور لنا طباعهم وأخلاقهم . والشعر الجاهلى « ديوان العرب »(١) لأنه سجل لأخلاقهم ، وعاداتهم ، وعقليتهم ، وبه حفظت الأنساب وعرفت المآثر ، وفيه ذكر لأيام العرب ووقائعهم ، وهو لذلك السبب مرآة تنعكس عليها صور حياتهم فى السلم وفى الحرب .

وعلى الرغم من أن الشعر الجاهلى تعرض للضياع ، إذ ترك يتناقل على ألسنة الرواة نحو قرنين من الزمان إلى أن دون فى تاريخ متأخر ، وعلى الرغم من أن ما وصلنا منه على قلته مشكوك فى أصالته ، منحول عليه(٢) ، لعوامل دينية وسياسية وجنسية(٣) ، فإن ما وصلنا من الشعر العربى الجاهلى منحولا كان أو أصيلا ، يعتبر مصدرا أساسيا لتصوير حياة العرب فى الجاهلية ، ذلك أن القائمين بتزييفه كانوا يحرصون على أن يقلدوا خصائص الشعر الجاهلى المعنوية واللفظية فى مهارة وحذق ، لدرجة أن الناقد يصعب عليه أن يفرق بين قول المزيف وقول الجاهلى .

---

(١) القرشى ، جمهرة أشعار العرب ، بولاق ، ١٣٣٨ ، ص ٣ — أحمد أمين ، فجر الاسلام ، ص ٥٧ .

(٢) طه حسين ، فى الأدب الجاهلى ، القاهرة ١٩٢٧ ص ٦٤

(٣) أحمد أمين ، فجر الاسلام ، ص ٥٠ — ضحى الاسلام ، ج ٢ ص ٢٧٤ .

والشعر مصدر هام يعين الباحث فى التاريخ على تصور ما كانت عليه الآثار المختلفة من قصور ومتنزهات وبرك ومنيات ، وكثيراً ما يتضمن أسماء مواضع تعين أيضا على تحديد المعالم الهامة للمدينة المراد دراستها ، فهذا هو الوزير أبو الوليد ابن زيدون ، وقد ثار به الوجد والحب أثناء فراره من قرطبة يوم العيد ، يحن إلى ذكرياته مع ولادة بنت المستكفى بالله ، فيذكر معاهد كان يخرج إليها ويتفرج بها فيقول :

خليلى لا فطر يسر ولا أضحى ... فما حال من أمسى مشوقا كما أضحى
لئن شاقنى شرق العقاب فلم أزل ... أخص بممحوض الهوى ذلك السفحا
وما انفك جوفى الرصافة مشعرى ... دواعى بث يعقب الأسف البرحا
ويهتاج قصر الفارسى صبابة ... لقلبى لا يألو زناد الأسى قدحا
وليس ذميما عهد مجلس ناصح ... فأقبل فى فرط الولوع به نصحا
كأنى لم أشهد لدى عين شهدة ... نزال عتاب كان آخره الفتحا
وقائع جانيها التجنى فإن مشى ... سفير خضوع بيننا أكد الصلحا
وأيام وصل بالعقيق اقتضيته ... فإن لم يكن ميعاده العيد فالفصحا
وآصال لهو فى مسناة مالك ... معاطاة ندمان إذا شئت أو سبحا
لدى راكد تصبيك من صفحاته ... قوارير خضر خلتها مردت صرحا
معاهد لذات وأوطان صبوة ... أجلت المعلى فى الأمانى بها قدحا
ألا هل إلى الزهراء أوبة نازح ... تقضى تنائيها مدامعه نزحا
أجل إن ليلى فوق شاطىء بيطة ... لأقصر من ليلى بآنة فالبطحا(١)

وتتضمن الأبيات السابقة أسماء مواضع كثيرة فى قرطبة مثل العقاب ،

---

(١) المقرى . نفح الطيب ، ج ، ص ١٥٥ .

والرصافة ، والقصر الفارسى ، ومحبس ناصح ، وعين شهدة ، والعقيق ، ومسناة مالك ، ورا كد ، والزهراء ، أما بيطة فهو نهر قرطبة ، وآنة فهو وادى يشق وسط الأندلس وغربها ويصب فى الجنوب قريباً من بلدة ولبة .

ويصف ابن قلاقس السكندرى (ت ٥٦٥ ﻫ) قصر بنى خليف من قصور الاسكندرية ، وكان قصراً راسخ البناء ، عظيم الارتفاع « قد رسا بناؤه ، وسما ارتفاعه » ، فيقول :

قصر بمدرجة النسيم تحدثت ... فيه الرياض بسرها المستور
خفض الخورنق والسدير سموه ... وثنى قصور الروم ذات قصور
لاث الغمام عمامة مسكية ... وأم فى أرض من الكافور(١)

أما كتب الأدب فقد تعرض الكثير منها لذكر روايات تاريخية خاصة بالبلدان ، وببعض القضايا التاريخية والاجتماعية والاقتصادية التى تعين الباحث فى التاريخ والحضارة الإسلامية على الإلمام بهذه الجوانب من الحضارة . ومن الكتب الأدبية التى تعتبر مصادر هامة للتاريخ الإسلامى ما يلى :

١ — كتاب الحيوان ، وكتاب البيان والتبيين ، وكتاب التبصر بالتجارة ، وكتاب التاج فى أخلاق الملوك ، للجاحظ .

٢ — كتاب عيون الأخبار ، وكتاب الإمامة والسياسة ، وكتاب الشعر والشعراء ، وكتاب المعارف لابن قتيبة الدينورى .

٣ — كتاب نفح الطيب من غصن أندلس الرطيب ، وكتاب أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض للمقرى .

---

(١) نفس المرجع ج ٤ ، ص ٢٤٠

٤ — كتاب الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، لابن بسام الشنتريني .

٥ — كتاب طوق الحمامة لعلى بن أحمد بن حزم .

٦ — كتاب قلائد العقيان ، وكتاب مطمح الأنفس ومسرح التأنس فى ملح أهل الأندلس ، للفتح بن خاقان .

٧ — كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى .

٨ — كتاب الكامل للمبرد محمد بن يزيد .

هذه الكتب الأدبية لا تخلو من روايات تاريخية عن العرب وأيامهم ، وأديانهم ، وأشعارهم ، وأمثالهم ، وأغانيهم ، وسيرهم ، فى الجاهلية والإسلام ، وهى لهذا السبب تعتبر مصادر رئيسية للتاريخ .

(٦)

كتب الخراج والحسبة والخطط

وصلت إلينا بعض كتب تعالج النظم الإقتصادية للدولة العربية من الناحية النظرية أو الفقهية(١) . وهى كتب لها أهميتها لإيضاح الجانب الإقتصادى من الحضارة الإسلامية . والخراج ضريبة كانت تفرض على أراضى المغلوبين ، وتعنى ضريبة ماتخرجه الأرض ، وكان يطلق عليها ضريبة من قبيل التجاوز ، وكانت تدفع اما مالا أوعينا من حنطة وعسل وزيت ، وتطبق ضريبة الخراج على الأرض المفتوحة عنوة إذا لم تقسم على الفاتحين ، وعلى الأرض الفيء التى ملكها المسلمون بعد أن صالحوا أهلها على خراج معلوم يؤدونه كل سنة إلى بيت المال. وكانت هناك أراض لم يشملها الخراج أو أعفيت منه إلا العشر من ثمارها ومحصولاتها وتعرف بالأراضى العشرية ، وهى الأراضى التى أسلم أهلها وهم عليهـا بدون حرب ، والأرض التى فتحت عنوة وقسمها الخليفة على الفاتحين ، والأرض التى أخذت عنوة من المشركين وملكها المسلمون ودفعوا العشر من غلتها(٢). وكان تحديد ضريبة الخراج يتوقف على حالة الأرض ومقدار خصوبتها ، وكانت أرض السواد أغنى مقاطعات الدولة العربية الإسلامية ، وكان حد السواد يبدأ من تخوم الموصل حتى ساحل البحر ببلاد عبادان من شرق الدجلة ومن أرض

---

(١) عبد المنعم ماجد ، التاريخ السياسى للدولة العربية ، ج ١ ص ٣٢ .

(٢) راجع مولوى حسينى ، الادارة العربية ، ترجمة دكتور ابراهيم العدوى ، القاهرة ١٩٥٨ ص ٩٠ ومايليها - حسن ابراهيم حسن ، النظم الإسلامية ، القاهرة ١٩٣٩ ص ٢٦٥ وما يليها .

حلوان إلى منتهى طرف القادسية المتصل بعذيب (١) .

ومن أهم كتب الخراج :

١ — كتاب الخراج لأبى يوسف (يعقوب بن ابراهيم ، ت ١٩٢ هـ)(٢) ، وهو كتاب يتضمن أخبارا هامة عن فتوح البلدان وما يتعلق بها من نظام الخراج .

٢ — كتاب الخراج وصنعة الكتابة ، لأبى الفرج قدامة بن جعفر(٣) . (ت ٣٢٧ هـ) الذى تناول فيه المصنف مملكة الإسلام وما جاورها ونظام الثغور .

٣ — كتاب الأحكام السلطانية لأبى الحسن الماوردى (ت ٤٥٠ هـ) (٤) . وقد تناول فيه عدة موضوعات كالخلافة والقضاء والنظام المالى .

٤ — أدب الكتاب لأبى بكر محمد بن يحيى الصولى (ت ٣٣٦ هـ) (٥) . وقد استعرض فى الجزء الثالث منه وجوه الأموال التى تحمل الى بيت المال وأصنافها وأحكام الأرضين ومبلغ الخراج فى مصر والسواد والقبالات .

أما كتب الخطط ، فهى كتب تبحث فى المواضع المحددة من الأرض التى تنزلها الأسرة الواحدة أو القبيلة الواحدة أو أصحاب حرفة معينة ، وكتب الخطط تعين الباحث فى العمران المدنى وفى التخطيط ، وفى دراسة المنشآت المعمارية والمعالم الطبوغرافية فى العصر الإسلامى . ومن أقدم من كتب فى الخطط ابن عبد الحكم (ت ٢٥٧) فى كتابه فتوح مصر والمغرب والأندلس ، الذى استعرض فيه خطط

(١) الصولى ، أدب الكتاب ، ص ٢١٩ .

(٢) طبعة بولاق ١٣٠٢ هـ .

(٣) نعرف الجزء السادس من المكتبة الجغرافية العربية ، تحقيق دى غويه ، ليدن ١٨٨٩ .

(٤) القاهرة ، ١٢٩٨ هـ .

(٥) تحقيق محمد بهجة الأثرى ، القاهرة ١٣٤١ هـ .

الفسطاط ، وروايته فى خطط مصر أول مادة لكتابة الخطط(١) . ويلى ابن عبد الحكم فى الاهتمام بالخطط من مؤرخى العرب البلاذرى (ت ٢٧٩) ، فى فتوح البلدان، إذ ضمن كتابه فصلا عن خطط البصرة وفصلا آخر عن خطط الكوفة . ومنهم الكندى (ت ٣٥٠) وابن زولاق (ت ٣٨٨ ﻫ) اللذان يعتبران أول من عنى بعد ابن عبد الحكم بكتابة تاريخ الخطط المصرية ، ولكن مؤلفيهما لم يصلا إلينا . ومن المعروف أن ابن زولاق تناول موضوع الخطط بنوع من الافاضة والتوسع ، وكان أول من تناول من كتاب الخطط إنشاء القاهرة المعزية(٢) . ويلى ابن زولاق فى طبقات كتاب الخطط المصرية المؤرخ الأمير عز الملك المسبحى (ت ٤٢٠ ﻫ) الذى ألف كتاباً بعنوان « أخبار مصر » ضمنه كثيراً من خطط مصر وآثارها ومعاهدها . ثم كتب القضاعى (ت ٤٥٤) عن خطط مصر ، فألف كتابا بعنوان « المختار فى ذكر الخطط والآثار » لم يصلنا منه غير نبذ نقلها عنه بعض الكتاب المتأخرين أمثال القلقشندى والمقريزى .

وأشار المقريزى أشهر كتاب الخطط المصرية إلى مؤرخ للخطط كان يعيش فى العصر الفاطمى والأموى هو محمد بن أسعد الجوانى (ت ٥٨٨) ذكر عنه أنه ألف كتاباً بعنوان : « النقط بعجم ما أشكل من الخطط » . وفى هذا العصر كتب مؤرخ أرمنى هو أبو صالح الأرمنى كتاباً عن تاريخ الكنائس والأديرة فى مصر ، وصل إلينا جزء منه. ووضح منذ ذلك الحين الاهتمام بكتابة الخطط المصرية ، فظهر من كتابها محيى الدين بن عبد الظاهر(٣) (ت ٦٩٢) ، وتاج الدين محمد بن

---

(١) محمد عبد الله عنان ، مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية ، القاهرة، ١٩٣١ ، ص ٣٢

(٢) نفسه ، ص ٣٥

(٣) ينسب إليه كتاب بعنوان « الروضة الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة » لم يصل إلينا .

عبد الوهاب بن المتوج(١) (ت ٧٣٠ هـ) ، وابن وصيف شاه (ت فى أواخر القرن السابع الهجرى) ، وابن الجيعان (ت فى أواخر القرن الثامن) ، وابن دقماق (ت ٨٠٩ هـ) ، الذى وصل إلينا كتابه «الانتصار لواسطة عقد الأمصار» ، ثم الشهاب أحمد بن عبد الله بن الحسن الأوحدى (ت ٨١١ هـ) الذى يزعم السخاوى أن المقريزى ظفر بمسودة له فى خطط مصر ، لسبها لنفسه(٢) .

وأشهر كتب الخطط المصرية على الاطلاق كتاب «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» لتقى الدين المقريزى (ت ٨٤٥) ، وكتابه سجل هام للمدن المصرية وأحيائها ومنشآتها وتطور عمرانها فى العصور المختلفة ، وفيه ذكر للبناة والمؤسسين والأسرات الحاكمة فى مصر . ومن أشهر كتاب الخطط بعد المقريزى شمس الدين السخاوى (ت ٩٠٢) الذى ألف فى جملة ما ألفه كتاباً بعنوان «تحفة الأحباب وبغية الطلاب فى الخطط والمزارات والبقاع المباركات» ، ضمنه وصفا لخطط المزارات والأضرحة والمشاهد المقدسة ، ووصف كثير من شوارع القاهرة وآثارها من زوايا ومدافن ومساجد وأسبلة وروابط ، وقد وصلت إلينا من هذا الكتاب نسختان خطيتان محفوظتان فى دار الكتب المصرية . ومنهم أيضا جلال الدين السيوطى (ت ٩١١ هـ) صاحب كتاب «حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة» الذى تعرض فيه لذكر علماء مصر وخططها وآثارها ، ومنهم ابن إياس (ت ٩٣٠) فى كتابه «نشق الأزهار فى عجائب الأقطار» ، وقد وصلت إلينا منه نسخة خطية بعنوان «خريدة العجائب وبغية الطالب» محفوظة فى دار الكتب

(١) ألف كتابا بعنوان «إيقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل فى الخطط» استقى منه المقريزى كثيراً من مادته .

(٢) راجع الاعلان بالتوبيخ ، ص ٦٤٢ من كتاب علم التاريخ عند المسلمين .

المصرية (١) .

هـذا وقـد أشرنا إلى كثير من كتب الخطط الخـاصة ببلدان العـالم الاسلامى المختلفة فى الفصل الذى أفردناه للتاريخ المحلى .

أما كتب الحسبة ، فؤلفات تعرض لنـا صورا شيقة عن الحيـاة الاجتماعيـة والاقتصادية فى العصر الاسلامى ، ومن المعروف أن الحسبة فى الأصل كانت تعنى الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه ، والنهى عن المنكر إذا ظهر فعله (٢) ، ثم تعدت هذه الوظيفة هذا المعنى الدينى إلى أمور مادية تتفق مع مصالح المسلمين ،فأصبحت الحسبة أشبه بخدمـة اجتماعية اقتصادية لسكان المدن مثل المحافظة على النظافـة فى الطرق ومراقبة الأسواق ، والـكشف عن صحـة الموازين والمـكاييل ، والرأفـة بالحيوان ، ومنع معلمى الصبيان من ضرب الأطفال ضربا شديدا ، ومنع الناس من شرب الخمر ، ولـكن العمل الأساسى للمحتسب لم يلبث أن تطور بعـد أن تعقدت الحياة فى المجتمع الاسلامى ، فأصبح عمله الأساسى إقتصاديا يقوم على منع الغش فى الصناعة والمعامـلات وخاصة الاشراف عـلى الموازين والمكاييل وصحتها ونسبها (٣) ، وكان المحتسب يسير بنفسه فى الأسواق ومعـه أعوانه من الخبراء فى شؤون الأسـواق ، للـكشف عن المدلسين .ومعاقبتهم.

ولقد وصلتنا بعض كتب فى الحسبة منها :

١ ــ كتاب معالم القربة فى أحكام الحسبة ، لمحمد بن محمد القرشى المعروف

---

(١) راجع : عبد الله عنان،مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية ، ص ٥٩ — ٦٤

(٢) ابراهيم دسوقى الشهاوى ، الحسبة فى الاسلام ، القاهرة ١٩٦٢ ص ٩

(٣) عبد المنعم ماجد ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ٥

بابن الأخوة (١) .

٢ ــ كتاب نهاية الرتبة فى طلب الحسبة لعبد الرحمن الشيزرى (٢) .

٣ ــ كتاب آداب الحسبة لابن عبدون (٣) .

٤ ــ كتاب الحسبة فى الاسلام ، لاحمد بن تيمية (٤) .

---

(١) طبعة روبين ليفى فى مجموعة جب

(٢) نشره الدكتور الباز العرينى ، القاهرة ١٩٤٦

(٣) النص العربى نشره ليفى بروفنسال تحت عنوان :
Un document sur la vie urbaine à séville, au début du XI, siècle, Journal Asiatique Avril - Juin, 1934.

(٤) القاهرة ١٣١٨ هـ

ملحقات

أولا: مقتطفات من الكتابات التاريخية

(١) أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي

(٢) وهب بن منبه وعبيد بن شرية الجرهمي

(٣) أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني

(٤) حمزة بن الحسن الأصفهاني وعريب بن سعد القرطبي

(٥) ابن الأثير وبهاء الدين بن شداد

(٦) عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن زيري

(٧) أبو مروان حيان بن خلف المعروف بابن حيان

ثانيا: مقتطفات من كتب الجغرافيين والرحالة

(١) أخبار الصين والهند لجغرافي مجهول من القرن الثالث الهجري

(٢) كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس لمحمد بن أيوب بن غالب

(٣) وصف مصر الفسطاط من كتاب سفر نامة لناصر خسرو علوي

(٤) وصف مدينة سوسة من رحلة التجاني

مقتطفات من الكتابات التاريخية

(١)

أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي

فصل عن فضل الخيل (من كتاب أنساب الخيل في الجاهلية والاسلام وأخبارها) (١) .

« أخبرنا (٢) أبو الحسين محمد بن عبد الواحد بن رزمة البزار ، إجازة ، قال : حدثنا أبو محمد على بن عبد الله بن العباس بن العباس بن المغيرة الشيباني الجوهري (من كتابه ببغداد في منزله قراءة عليه) ، قال : حدثنا أبو الحسن الأسدي ، قال : حدثنا محمد بن صالح بن النطاح (مولى جعفر بن سليمان ابن على بن عبد الله بن عباس) ، قال :

أخبرنا هشام بن محمد بن السائب عن أبيه ، قال :

هذا كتاب أنساب فحول الخيل في الجاهلية والإسلام .

كانت العرب ترتبط الخيل في الجاهلية والإسلام معرفة بفضلها ، وما جعل الله تعالى فيها من العز ، وتشرفا بها ، وتصبر على المخمصة واللأواء وتخصها وتكرمها وتؤثرها على الأهلين والأولاد، وتفتخر بذلك في أشعارها ، وتعتده لها .

فلم تزل على ذلك من حب الخيل ، ومعرفة فضلها ، حتى بعث الله نبيه (عليه السلام) ، فأمره الله باتخاذها وارتباطها ، فقال: « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ورباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم» ،فاتخذ رسول الله (عليه والسلام)

(١) تحقيق أحمد زكي باشا ، القاهرة ١٩٤٦

(٢) يعني موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي .

الخيل وارتبطها ، وأعجب بها ، وحض عليها ، وأعلم المسلمين ما لهم فى ذلك من الأجر والغنيمة ، وفضلها فى السهمان على أصحابها ، فجعل للفرس سهمين ، ولصاحبه سهما .

فارتبطها المسلمون ، وأسرعوا إلى ذلك ، وعرفوا ما لهم فيه ، ورجوا عليه: من الثواب من الله (عز وجل) والتثمير فى الرزق .

ثم راهن عليها رسول الله ، وجعل لها سبقة ، وتراهن عليها أصحابه . وجاءت الأحاديث متصلة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

حدثنا الأسدى . قال : حدثنا محمد بن صالح (بن النطاح) ، قال : قال هشام ابن محمد : فحدثنا ابراهيم بن سليمان عن الأحوص بن حكيم عن أبيه عن جبير بن نفير عن عبد الرحمن بن عائذ الثمالى ، قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة .وأهلها معانون عليها. فامسحوا نواصيها ، وادعوا لها بالبركة » . وحدثنا الواقدى عن عبد الله بن عمر عن سهيل ابن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة ، قال :قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): « الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة » (وأهلها معانون عليها ، والمنفق عليها كالباسط يده بالصدقة) .

وحدثنا الواقدى ، قال : حدثنا أبو عبد الله القرشى عن أبى جعفر محمد بن على بن حسين عن أبيه ، قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « من هم أن يرتبط فرسا فى سبيل الله بنية صادقة ، أعطى أجر شهيد » .

وحدثنا الواقدى ، قال : حدثنا أسامة بن زيد عن يحيى الغسانى ، قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « من ارتبط فرسا فى سبيل الله ، كان له مثل أجر الصائم القائم والباسط يده بالصدقة ، ما دام ينفق على فرسه » .

وما جاء فيها من الأحاديث أكثر من ذلك ، مما قصرنا عنه » . (١)

فصل فى أشهر الخيول عند العرب

(من كتاب أنساب الخيل فى الجاهلية والاسلام وأخبارها) .

وكانت خيول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خمسة أفراس :

لزاز ، ولحاف ، والمرتجز ، وإنما سمي المرتجز بحسن صهيله ، والسكب ، واليعسوب (وكلها معدودة من خيل بنى هاشم).

وحدثنا الكلبي محمد بن السائب ، وأبو حمزة الثمالى ، وأبان بن تغلب ، وغيرهم بأسماء الخيل المشهورة المعروفة المنسوبة ، وخيول العرب ، لايختلفون فى ذلك ، ووجدنا فى أشعار العرب دلالات على ما قالوا .

كان منها فى قريش :

خيل رسول الله (عليه السلام) . ومنها الورد (من خيل بنى هاشم) فرس حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ، وهو من بنات ذى العقال ولد أعوج . وقال فى ذلك حمزة :

ليس عندى إلا سلاح وورد .·. قارح من بنات ذى العقال
أتقى دونه المنايا بنفسى .·. وهو دونى يغشى صدور العوالى
(جرشع ، ما أصابت الحرب منه .·. حين تحمى أبطالها لا أبالى
فإذا ما هلكت ، كان تراثى .·. وسجالا محمودة من سجالى)

أعوج كان سيد الخيل المشهورة ، وأنه كان لملك من ملوك كندة ، فغزا

---

(١) هشام بن محمد بن السائب الكلبى ، أنساب الخيل ، ص ٥ — ١٠

بنى سليم يوم علاف، فهزموه وأخذوا أعوج . فكان أوله لبنى هلال، ولهم نتجوه.

وأمه سبل بنت فياض ، كانت لبنى جعدة .

وأم (سواده أم) سبل مسامة . فرده بنو سليم الى بنى هلال ، فأجاد فى نسله . ومنه انتشرت جياد خيول العرب .

وكان فيما سموا لنا من جياد فحولها وإناثها المنجبات : الغراب والوجيه ولاحق والمذهب ومكتوم ، وكانت هذه جميعا لغنى بن أعصر بن سعد بن قيس ابن عيلان . فقال طفيل الغنوى:

بنات «الغراب» و «الوجيه» و«لاحق» .·. و « أعوج » ، تنمى نسبة المتنسب

وقال :

دقاق كأمثال السراحين ضمر .·. ذخائر ما أبقى الغراب ومذهب

أبو هن مكتوم وأعوج أنجبا .·. ورادا وحوا ليس فيهن مغرب

وفيه يقول جرير بن الخطفى :

إنَّ الجياد يبتن حول قبابنا .·. من آل أعوج أو لذى العقال

ومنها جلوى (الكبرى وهى أم داحس) (من خيل بنى حنظلة) .وكانت لبنى ثعلبة بن يربوع (لقرواش بن عوف بن عاصم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع) .

ومنها داحس (من خيل غطفان بن سعد) ، وهو ابن ذى العقال ، وأمه جلوى الكبرى . وله حديث طويل فى حرب غطفان . (١)

فصل عن بداية عبادة الأصنام عند العرب : (من كتاب الأصنام)(٢)

قال هشام بن محمد الكلبي : « حدثنا أبى وغيره — وقد أثبت حديثهم جميعا —

(١) هشام بن محمد ، أنساب الخيل ، ص ١٩ – ٢٤

(٢) تحقيق الأستاذ أحمد زكى ، طبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٢٤ ، ونسخة مصورة أصدرتها الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٥ .

أن إسماعيل بن ابراهيم (صلى الله عليهما) لما سكن مكة وولد له بها أولاد كثير حتى ملأوا مكة، ونفوا من كان بها من العماليق، ضاقت عنهم مكة. ووقعت بينهم الحروب والعداوات، وأخرج بعضهم بعضا، فتفسحوا فى البلاد والتماس المعاش.

وكان الذى سلخ بهم إلى عبادة الأوثان والحجارة أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن إلا احتمل معه حجرا من حجارة الحرم، تعظيما للحرم، وصبابة بمكة، فحيثما حلوا، وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة، تيمنا منهم بها وصبابة بالحرم وحبا له. وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة، ويحجون ويعتمرون، على إرث إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام).

ثم سلخ ذلك بهم إلى أن عبدوا ما استحبوا، ونسوا ما كانوا عليه، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره. فعبدوا الأوثان، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قبلهم. وانتجثوا ما كان يعبد قوم نوح (عليه السلام) منها، على إرث ما بقى فيهم من ذكرها. وفيهم على ذلك بقايا من عهد ابراهيم وإسماعيل يتنسكون بها: من تعظيم البيت، والطواف به، والحج، والعمرة، والوقوف على عرفة. ومزدلفة، وإهداء البدن، والإهلال بالحج والعمرة — مع إدخالهم فيه ما ليس منه.

فكانت نزار تقول اذا ما أهلت:

« لبيك اللهم لبيك!

لبيك لا شريك لك! .·. الا شريك هو لك!

تملكه وما ملك! »

ويوحدونه بالتلبية، ويدخلون معه آلهتهم، ويجعلون ملكها بيده. يقول الله

(عز وجل) لنبيه (صلى الله عليه وسلم): «وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون».
أى ما يوحدوننى بمعرفة حقى ، إلا جعلوا معى شريكا من خلقى .

وكانت تلبية عك ، إذا خرجوا حجاجا ، قدموا أمامهم غلامين أسودين من غلمانهم ، فكانا أمام ركبهم .

فيقولان : نحن غرابا عك

فتقول عك من بعدهما :

عك اليك عانية ، عبادك اليمانية ،

كيما نحج الثانية !

وكانت ربيعة إذا حجت فقضت المناسك ووقفت فى المواقف ، نفرت فى النفر الأول ، ولم تقم إلى آخر التشريق .

فكان أول من غير دين اسماعيل عليه السلام ، فنصب الأوثان وسيب السائبة ، ووصل الوصيلة وبحر البحيرة وحمى الحاميه عمرو بن ربيعة ، وهو لحى بن حارثة ابن عمرو بن عامر الأزدى ، وهو أبو خزاعة .

وكانت أم عمرو بن لحى فهيرة بنت عمرو بن الحارث . ويقال قمعة بنت مضاض الجرهمى . وكان الحارث هو الذى يلى أمر الكعبة ، فلما بلغ عمرو بن لحى نازعه فى الولاية ، وقاتل جرهما ببنى اسماعيل ، فظفر بهم وأجلاهم عن الكعبة ، ونفاهم من بلاد مكة ، وتولى حجابة البيت بعدهم .

ثم إنه مرض مرضا شديدا ، فقيل له إن بالبلقاء من الشام حمة إن أتيتها ، برأت . فأتاها فاستحم بها ، فبرأ . ووجد أهلها يعبدون الأصنام ، فقال: ماهذه ! فقالوا نستسقى بها المطر ، ونستنصر بها على العدو ، فسألهم أن يعطوه منها ، ففعلوا . فقدم بها مكة ، ونصبها حول الكعبة »(١) .

(١) ابن الكلبى ، كتاب الأصنام ، ص ٦ — ٨ .

(٢)

وهب بن منبه وعبيد بن شرية الجرهمي

فصل عن مالك شمر يرعش بن ناشر النعم : (من كتاب التيجان فى ملوك حمير) (١)

وقال شمر يرثى أباه ناشر النعم :

بعـانى الأيك والسمـر ∴ ملك أشفـى على قـدر
ما على الأرضين إن وئيت ∴ عن سنا الدنيا أبى شمر
ماتـت الدنيـا لميتتـه ∴ ونأى بالسمـع والبصـر
يا منار العز عدت صدى ∴ بنهـاوند ودينـور

ثم قفل بالجيوش يريد أرض المغرب فأخذ على بابل ، ونزل بغمدان ، وولى الملك شمر يرعش وهو تبع الأكبر الذى ذكره الله سبحانه فى القرآن لأنه لم يقم للعرب قائم أحفظ لهم منه لم يكن عنده من العرب طرف أغنى وأقنى ، يتجاوز عن مسيئهم ، ويحسن إلى محسنهم ، فكان جميع العرب بنو قحطان وبنو عدنان شاكرين لأيامه ، وكان أعقل من رأوه من الملوك وأعلاهم همة ، وأبعدهم غورا ، وأشدهم مكرا لمن حارب ، فضربت به العرب الأمثال ، وهو عندهم تبع الأكبر ، وإن كان قبله تبابعة عظماء أعظم منه ، ولكن لحبتهم فيه ، وعظمته فى قلوبهم . وإن الصغد والكرد والخوز والزط والقوط كلهم بنو يافث بن نوح النبي صلى الله عليه وسلم بعثوا إلى إخوانهم من بنى يافث من كان منهم بأرض أرمينية إلى بلجا وجاجا ، فقالوا لهم ألا تغضبون لما نزل بنا من ناشر النعم ، سبى منا مائة ألف بكر ، وقتل منا مائة ألف مقاتل ، فأجابهم إخوانهم من بني يافث:

---

(١) طبعة حيدر آباد الدكن ، ١٣٤٧ هـ

إلى النمرة والقيام ، وهم الترك والديلم والغور والخوز . وبلغ ذلك بنى فارس ابن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح ، فاجتمعوا اللسان الأعجمى ، وكرهوا أيام التبابعة لما يكلفونهم من السخرة فى المغازى وغير ذلك من أصناف العمل من المتاع والسلاح . فقدم بنو فارس قباذ بن شهريار الفارسى فى الملك ، وتوجوه ، وإن الصغد والكرد وأهل نهاوند ودينور عمدوا إلى قبر ناشر النعم فهدموه وفرقوا رخامه وزجاجه وما كان فيه من جزع وغيره ، وبلغ ذلك شمر يرعش ، فنذر لله نذرا ليرفعن ذلك القبر بجماجم الرجال حتى يعود جبلا منيعا شامخا كما كان ، وغضب غضبا شديدا ، وغضبت العرب لغضبه ، وكان بنى قبر أبيه ناشر النعم بالرخام الأبيض والأحمر والجزع الأزرق والأحمر حتى جعله جبلا منيعا شامخا ، وأمر جميع من حوله من القبائل ألا تقرب منه أو يقطنون حوله فيدمونه وما حوله ، فأمر تبع شمر يرعش بالجيوش فبرزت ، وخرج جميع أهل جزيرة العرب طوعا وغضبا لغضب شمر يرعش لحبتهم فيه ، فخرج فى عساكر لم يجمع أحد مثلها من التبابعة من بعد ذى القرنين ، وبلغ ذلك بنى يافث ، وقدمت فارس قباذ إلى قتال تبع شمر يرعش ، وأقبل بنو يافث بأجمعهم يناصرون قباذ ، وهم الترك والديلم والخزر والغور والتبت والصغد والكرد والزط والخوز ، وبلغ ذلك شمر يرعش ،وكان انتصاب قباذ بن شهريار ومن معه من فارس وبنى يافث بجبال الرى ، فسار تبع شمر يرعش حتى نزل بالمشلل ، فخلف ابنه عمرا الأقرن بالمشلل فى مائة ألف فارس ، وخلف ابنه صيفيا بعمان فى مائة ألف ، ثم سار فترك العراق الذى فيه جمع فارس وبنى يافث وقصد الجزيرة ، وأخذ على الفرات يريد أرمينية . (١) .

---

(١) وهب بن منبه ، كتاب التيجان ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٣

فصل فى العرب العاربة والعرب المستعربة (من كتاب أخبار عبيد بن شرية) (١).

« وأمر معاوية كتابه أن يدونوا ما يحدث به عبيد بن شرية فى كل مجلس سمر فيه مع معاوية — قال عبيد — سل يا أمير المؤمنين — قال معاوية ، فمن العرب العاربة ومن العرب المستعربة — قال يا معاوية أتعلم أنت وغيرك من أولى العلم انما هى عاد وثمود وطسم وجديس وإرم والعماليق وجرهم وقحطان بن هود فهم كانوا أوائل الناس ، منهم يعرب الذى تكلم العربية كل أخذه من يعرب ابن قحطان بن هود ، واليه تنسب العربية ، فقيل عربى لأنه يعرب ، أول من نطق بها وليس أحد غيره تكلم قبله بها ، فهذه الأجناس التى سميت لك تكلمت بكلام يعرب بن قحطان بن هود النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان اسماعيل ونقله أبوه ابراهيم صلى الله عليه وسلم من بلاده ، فأنزله بمكة ، فكنا نحن جرهم أهل البلد الحرام ، فنشأ اسماعيل فينا وتكلم بكلام العربية وتزوج منا . فجميع ولد اسماعيل من بنت مضاض بن عمرو الجرهمى ، واسماعيل وأبوه منا ، وأنتم يا قريش منا ، والعرب بعضها من بعض — ألم تعلموا أنكم من ولد اسماعيل ابن ابراهيم صلى الله عليه وسلم ، وابراهيم نحن ولدناه ، وأبوه آزر واسمه تارخ ابن ناحور بن أرغو بن شارخ بن فالغ بن عابر ، وهو هود فهو أبونا وأبوكم ، فنحن ولدناكم ، وأنتم منا ونحن منكم قليل فى كثير . قال معاوية : كأنك تحدث عن حديث الجاهلية . قال عبيد : يا أمير المؤمنين لك فى الاسلام ما يغنيك عن ذلك ، فقد محق الإسلام ما كان قبله كما محق الشمس ضوء القمر . قال عزمت عليك ألا حدثتنى عما أسألك عنه . قال : يا أمير المؤمنين كان من خبر أهل بابل وافتراق ألسنة الناس أنه لما كثر ولد سام ويافث وحام أولاد نوح فى بلاد الله ، وأراد

---

(١) طبعة حيدر آباد الدكن ، ١٣٤٧ ه

الله أن يفرقهم فى البلدان ، ويخالف بين ألسنتهم ، فبعث عليهم الأرواح الأربع. قال معاوية : ما هذه الأرواح الأربعة ؟ قال الشمال والجنوب والصبا والدبور ، فضمتهم الأرواح الأربع من أربع جوانب من كل ناحية كانوا بها ، فساقتهم فجمعتهم ببابل ، وكانوا بها ، ثم مكثوا ثلاثة أيام يموج بعضهم فى بعض ، وعلموا أن ذلك أمر من السماء ولا يدرون ما يراد بهم غير انهم لا يشكون ان الله الذى فعل بهم ذلك ، والله مظهر إرادته . فلما كان اليوم الرابع سمعوا من قبل صوتا ينادى ألا إن الله مفرق بين ألسنتكم ومسكنكم أطراف الأرض ، فأيما قد توجهوا وجها فكلامهم ولسانهم واحد. قال معاوية : وما كان اللسان يومئذ ؟ قال عبيد: سريانى أوله وآخره . وهو لسان أبينا آدم عليه السلام ونوح وإدريس، (١) .

---

(١) عبيد بن شرية ، ص ٣١٤ — ٣١٦ .

(٢)

أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمدانى

فصل فى ذكر مأرب (من كتاب الإكليل)[١]

«ذكر مأرب وهى مسكن سبأ الذى قال الله فيه : (لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية . جنتان عن يمين وشمال . كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور) . وهى كثيرة العجائب . والجنتان عن يمين السد ويساره وهما اليوم غامرتان (والغامر الساقى وكذلك السامر فى كتب أصحاب الشروط فى شراء الأرضين بغامرها) وإنما عفتا لما اندحق السد فارتفعتا عن أيدى السيول . قال الحسن الهمدانى : وجدت فى أحدهما عريق أراك ، وفى أصله جذع نخلة أسود قد كبست باقية السواقى ، فقال بعض من كان معى لا أظنه إلا من بقايا نخل الجنتين . وما أحسب أنه بقى من العصر القديم . وأما مقاسم الماء من مذاخر السد فيما بين الضياع فقائمة كأن صانعها فرغ من عملها بالأمس . ورأيت بناء أحد الصدفين باقيا ، وهو الذى يخرج منه الماء قائما بحاله على أوثق ما كان ولا يتغير إلى أن يشاء الله عز وجل . وإنما وقع الكسر فى العرم ، وقد بقى من العرم شىء مما يصالى الجنة اليسرى يكون عرض أسفله خمس عشرة ذراعا . قال تبارك وتعالى: (فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم ، وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشىء من سدر قليل) قيل الخمط الأراك والأثل الطرفاء والسدر المعروف

---

(١) الجزء الثامن ، تحقيق الدكتور نبيه أمين فارس ، برنستن ١٩٤٠

العرج وهو العلب وجمعه علوب ، والواحدة علبة . ومن أمثال العرب فى الرجل المنيع الجانب : هو رجل لا يناش علبه ولا يحلف دثله ودومه (وهو الدوم وحمله النبق والكباث) . وبها من الأراك ما ليس ببلد ، ومن الحمام المطوق فى الأراك ما يجل عن الصفة . وكان السيل يجمع من أماكن كثيرة ومواضع جمة باليمن ، وقد ذكرناها مع انكسار السد فى بعض كتبنا . وفيها يقول الأعشى :

فنى ذاك للمؤتسى أسوة ... ومأرب قفا عليها العرم
رخام بناه له حمير ... إذا جاءه ماؤهم لم يرم
فأروى الحروث وأعنابهم ... على ساعة ماؤهم ينقسم
فعاشوا بذلك فى غبطة ... لجارفهم جارف منهزم
فطار القيول وقيالها ... بيهماء فيها سراب يطم

ويروى : (وطارالقيول وكيانها) . وكان العرم مسندا إلى حائط واثر ما بين عضاد بالمذاخر بمعازب من الصخر عظام ملحمة الأساس بالقطر . ويقول بعض العلماء أن بانيه لقمان بن عاد بن الكبير ، ويقول بعض العلماء أن بانيه حمير والأزد بن الغوث ، من عقب كهلان . وقال أبو الطمحان يذكر مأرب :

أما ترى مأربا ما كان أحصنه ... وما حواليه من سوروبنيان

وقال علقمة :

من يأمن الحدثان بعد ... ملوك صرواح ومأرب

وكان بمأرب قصر سلحين والهجر والقشيب . قال علقمة : الذى بنى القشيب القشيب بن ذى حوفر فسمى به على حد الاختصار ، يراد موضع القشيب » (١)

---

(١) الهمدانى ، الاكليل ، ج ٨ ص ٤٣ — ٤٥

(٤)

حمزة بن الحسن الأصفهاني وعريب بن سعد

فصل في ذكر ذي نواس وذي جدن (من كتاب تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء) (١).

« ثم ملك بعده (أي بعد ذي شناتر) ذو نواس في زمن فيروز بن يزدجرد وعصر قصي بن كلاب. وذو نواس هو صاحب الأخدود والداعي من باليمن إلى التهود، وكان نزل يثرب مجتازا بها، فأعجبته اليهودية فتهود، وحملته يهود يثرب على غزو نجران لامتحان من بها من النصارى، وقد كانوا أخذوا النصرانية عن رجل توجه إليهم من جهة آل جفنة ملوك الشام، فسار من هناك إليهم، وعرضهم على أخاديد احتفرها في الأرض، وأضرمها نيرانا، فكان يعرف فيها من أقام على النصرانية، فأتى بهذا الصنيع على خلق كثير منهم، وعدل منها إلى دار المملكة باليمن. ثم إن رجلا من اليمن يقال له ذو ثعلبان، عبر البحر الى ملك الحبشة، وكان يدين بالنصرانية، فرفع اليه الخبر بما ارتكبه ذو نواس من النصارى، فكاتب ملك الحبشة بذلك قيصر ملك الروم، واستأذنه في أن يجرد خيلا إلى اليمن، فأمره أن يخلف ذا ثعلبان على مملكته ويخرج بمن معه الى اليمن فيقيم بها، فقصد ملك الحبشة اليمن في سبعين ألف فارس فانهزم ذو نواس من بين يديه، فبعث الى الطلب في أثره، فمر صعدا حتى انتهى الى البحر فاقتحمه، فكان آخر العهد به، وكان ملكه عشرين سنة وهو أعلم بحقائق الأمور.

فقام ذو جدن مكانه، فهزموه أيضا وتبعوه، فالتجأ الى البحر واقتحمه،

(١) صدر في برلين ١٣٤٠ هـ

فكان ملك ذى جدن وذى نواس ثمان وعشرين سنة . فجميع ملوك حمير ستة وعشرون ملكا فى مدة ألفى وعشرين سنة ... » (١).

مثال من الكتابة على المنهج الحولى (نقلا من كتاب صلة تاريخ الطبرى)(٢)

« ثم دخلت سنة ٢٩٢ . ذكر ما دار فى هذه السنة من أخبار بنى العباس.

ففيها وجه صاحب البصرة إلى السلطان رجلا ذكر أنه أراد الخروج عليه ، وصار إلى واسط مخالفا بها ، فأقصد إليه من يقبض عليه وعلى قوم ذكروا أنهم بايعوه ، ووجه بهم إلى بغداد ، فحمل هذا الرجل على فالج وبين يديه ابن له صبى على جمل ومعه سبعة وثلاثون رجلا على جمال ، عليهم برانس الحرير ، وأكثرهم يستغيث ويبكى ويحلف إنه برىء ، فأمر المكتفى بحبسهم . وفى هذه السنة أغارت الروم على مرعش ونواحيها ، فنفر أهل المصيصة وطرسوس ، فأصيبت جماعة من المسلمين ، فيهم أبو الرجال بن أبى بكار . وفيها انتهى محمد بن سليمان الكاتب إلى أحواز مصر لحرب هارون ، ووجه إليه المكتفى فى البحر دميانة ، وأمره بدخول النيل ، وقطع المواد عن من بمصر من الجند، فمضى وقطع عن أهل مصر الميرة ، وزحف إليهم محمد بن سليمان على الظهر حتى دنا من الفسطاط ، وكاتب القواد الذين بها ، فخرج إليه بدر الحمامى وكان رئيس القوم ، ثم تتابع قواد مصر بالخروج اليه والاستئمان له ، فلما رأى ذلك هارون ومن بقى معه ، خرجوا محاربين لمحمد بن سليمان وكانت بينهم وقعات ، ثم إنها وقعت بين أصحاب هارون فى بعض الأيام عصبية اقتتلوا فيها ، فخرج إليهم هارون ليسكنهم ، فرماه بعض

---

(١) حمزة الأصفهانى ، ص ٨٨ ، ٨٩

(٢) تحقيق دى غويه ، ليدن ١٨٩٧

المغاربة بسهم فقتله ، وبلغ محمد بن سليمان الخبر ، فدخل هو ومن معه الفسطاط ، واحتووا على دور آل طولون وأموالهم ، وقبض على جميعهم ، وهم بضعة عشر رجلا ، فقيدهم وحبسهم ، واستصفى أموالهم ، وكتب بالفتح الى المكتفى ، وكانت هذه الوقيعة فى صفر . وكتب إلى محمد بن سليمان فى إشخاص آل طولون الى بغداد ، وألا يبقى منهم أحدا بمصر ولا الشام . ففعل ذلك . ولثلث خلون من ربيع الاول سقط الحائط من الجسر الأول على جثة القرمطى وهو مصلوب فطحنه ، ولم يبق منه شيء . وفى شهر رمضان ورد الخبر على السلطان بأن قائدا من القواد المصريين يعرف بالخليجى ويسمى بابراهيم تخلف عن محمد بن سليمان فى آخر حدود مصر مع جماعة استمالهم من الجند وغيرهم ومضى إلى مصر مخالفا للسلطان ، وكان معه فى طريقه جماعة أحبوا الفتنة ، حتى كثر جمعه ، فلما صار الى مصر أراد عيسى النوشرى محاربته ، فعجز عن ذلك لكثرة من كان مع ابن الخليجى . فانحاز عنه الى الاسكندرية ، وأخلى مصر ، فدخلها الخليجى ، وفيها ندب السلطان لمحاربة الخليجى وإصلاح أمر المغرب فاتكا مولى المعتضد ، وضم اليه بدرا الحمامى وجعله مشيرا عليه فيما يعمل به ، وندب معه جماعة من القواد وجندا كثيرا وخلع على فاتك وعلى بدر الحمامى لسبع خلون من شوال ، وأمرا بسرعة الخروج وتعجيل السير ، فخرجا لاثنتى عشرة ليلة خلت من شوال ، وللنصف من شوال دخل رستم مدينة طرسوس واليا عليها وعلى الثغور الشامية. وفيها كان الفداء بين المسلمين والروم لست بقين من ذى القعدة ، ففودى من المسلمين ألف ومائتا نفس ، ثم غدر الروم وانصرفوا ، ورجع المسلمون بمن فى أيديهم من أسارى الروم . وحج بالناس فى هذه السنة الفضل بن عبد الملك ابن عبد الله بن العباس بن محمد.

ثم دخلت سنة ٢٩٣ . ذكر مادار فى هذه السنة من أخبار بنى العباس .

ففيها ورد الخبر بأن الخليجي المتغلب على مصر واقع أحمد بن كيغلغ وجماعة من القواد بالقرب من العريش ، فهزمهم الخليجي أقبح هزيمة ، فندب السلطان للخروج إليه جماعة من القواد المقيمين بمدينة السلام فيهم ابراهيم بن كيغلغ وغيره. وفي شهر ربيع الأول من هذ السنة ... » (١) .

(١) عريب بن سعد ، مختصر تاريخ الطبري ، ص ٧ - ٩

(٥)

ابن الأثير وبهاء الدين بن شداد

فصل فى ملك أسد الدين ثغر الإسكندرية (نقلا من التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية لعز الدين ابن الأثير الجزرى)(١) . وهـذا الفصل مثال للكتابة فى تاريخ الدول .

« لما انهزم المصريون والفرنج من أسد الدين بالبابين سار إلى ثغر الإسكندرية، وجبى ما فى طريقه من القرايا والسواد من الأموال ، ووصل الى الإسكندرية ، فتسلمها بدون قتال ، سلمها أهلها اليه . فاستناب بها صلاح الدين ابن أخيه ، وعاد الى الصعيد ، فملكه ، وجبى أمواله ، وأقام بها حتى صار شهر رمضان . وأما المصريون والفرنج فانهم عادوا الى القاهرة ، وجمعوا أصحابهم ، وأقاموا عوض من قتل منهم ، واستكثروا وحشدوا وساروا الى الإسكندرية — وبها صلاح الدين — فى عسكر يمنعونها منهم ، فقد أعانهم أهلها خوفا من الفرنج ، فاشتد الحصار ، وقل الطعام بالبلد ، فصبر أهله على ذلك .

ثم إن أسد الدين سار من الصعيد نحوهم — وكان شاور قد أفسد بعض من معه من التركمان — ووصلته رسل المصريين والفرنج يطلبون الصلح ، وبذلوا له خمسين ألف دينار سوى ما أخـذه من البلاد ، فأجابهم الى ذلك ، وشرط أن الفرنج لايقيمون بمصر ولا يتسلمون منها قرية واحدة ، وأن الاسكندرية تعاد إلى المصريين ، فأجابوا الى ذلك ، واصطلحوا ، وعاد إلى الشام ، فوصل دمشق

---

(١) تحقيق الأستاذ عبد القادر أحمد طليمات ، القاهرة ١٩٦٣

ثامن عشر ذى القعدة ، وتسلم المصريون الاسكندرية فى النصف من شوال .

وأما الفرنج فانهم استقر بينهم وبين المصريين ، أن يكون لهم بالقاهرة شحنة ، وتكون أبوابها بيد فرسانهم ، ليمتنع الملك العادل نور الدين من إنفاذ عسكر إليهم ، ويكون للفرنج من دخل مصر كل سنة مائة ألف دينار . هذا جميعه يجرى بين الفرنج وشـاور . وأما العاضد صاحب مصر ، فليس له من الأمر شىء ، ولايعلم بشىء من ذلك ، قد حكم شاور عليه وحجبه . وعاد الفرنج الى بلادهم ، وتركوا جماعة من فرسانهم ومشاهير أعيانهم بمصر والقاهرة على القاعدة المذكورة .

ثم ان الكامل شجاع بن شاور راسل الملك العادل نور الدين مع شهاب الدين محمود الحارمى — وهو من أكابر أمرائه ، وخال صلاح الدين يوسف — ينهى محبته وولاءه ، ويسأله أن يأمره باصلاح الحال وجمع الكلمة بمصر على طاعته ، وبجمع كلمة الإسلام ، وبذل مالا يحمله كل سنة ، فأجابه الى ذلك ، وحملوا الى نور الدين مالا جزيلا ، فبقى الأمر على ذلك إلى إن قصد الفرنج مصر لتملكها ، فكان ما نذكره إن شاء الله تعالى » (١) .

فصل فى ذكر قصد الافرنج ثغر الاسكندرية حرسها الله تعالى (نقلا من كتاب النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (٢)) .

« وذلك أن الأفرنج — خزلهم الله تعالى — لما علموا تغيرات الأحوال بالديار المصرية ، وتقلبات الدول بها داخلهم الطمع فى البلاد ، وجردوا عسا كرهم فى البحر ، وكانوا فى ستمائة قطعة مابين شينى وطرادة وبطسة وغير ذلك ، وكانوا

---

(١) الباهر ، ص ١٣٣ ، ١٣٤ (حوادث سنة ٥٦٢)

(٢) تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦٤

فى ثلاثين ألفا على ماذكر ، ونازلوا الثغر المحروس ، وذلك فى أثناء شهر صفر فى السابع منه من هـــذه السنة ، وهى سنة سبعين ، فأمده السلطـان بالعساكر المنصورة ، وتحرك ، وأدخل الله فى قلوبهم من الخوف والرعب مايمكنهم الصبر معه . وعادوا خائبين خاسرين بعد أن ضايقوا الثغر ، وزحفوا عليه ثلاثة أيام ، وقاتلوه قتالا شديدا ، وعصمه الله منهم .

ولما أحسوا بحركة السلطان نحوهم مالبثوا أن خلفوا مناجيقهم وراءهم وآلتهم، فخرج أهل البلد الى نهبها وإحراقها . وكان من أعظم النعم من الله تعالى على المسلمين وأمارة كل سعادة ونجاح ولله الحمد والمنة .

وأما نور الدين ـ رحمه الله ـ فإنه خلف ولده الملك الصـالح إسماعيل وكان بدمشق ، وكان بقلعـة حلب ابن الدية شمس الدين على وشاذ بخت ، وكان على قد حدث نفسه بأمور ، فسار الملك الصالح من دمشق إلى حلب . فوصل ظاهرها ثانى المحرم ومعه سابق الدين ، فخرج بدر الدين حسن للقـائه ، فقبض عليه سابق الدين ، ولما دخل الملك الصالح القلعة قبض على شمس الدين وأخيه حسن ، وأودع الثـلاثة السجن ، وفى ذلك اليوم قتل ابن الخشاب أبو الفضـــل لفتنة جرت بحلب، ذكروا أنه قتل قبل إمساك أولاد الداية بيوم ،لأنهم تولوا ذلك(١).

---

(١) ابن شداد ، ص ٤٨ ، ٤٩

(٦)

الأمير عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن زيري

فصل في تسليم الأمير عبد الله ونهب أمواله
(من مذكرات الأمير عبد الله) (١)

« ولما لقيناه (أي يوسف بن تاشفين) سر بذلك ، وأقسم لنا على الأمان في أنفسنا وأهلنا ، ولنا منه المراعاة والكرامة ما بقي ، ثم أشار على قرور بالترقيب علينا إلى أن يثبت خبرنا ، ويقف على أموالنا .

فانتدب قبل ذلك أهل دولتنا ، يطلب كل واحد منهم أن نودع عنده شيئاً ، فلم نفعل ، وقلت في نفسي : هؤلاء يطلبون ما يتزودون به ، وليس ذلك شفقة منهم علي! وليس تخلي من دفع ذلك إليهم من وجهين: إما فاسق يستأثر به دوني ، فتكون حسرتها في نفسي ، ولا لقيت بها عن وجهي ، وإما متبشل ببعضه ، يحمله إلى الأمير ليتهنى به ما يبقى له ، وعند ذلك نفتضح عنده ، ولا يقبل لي صرفا ولاعدلا ، وربما يحنق علي، فيؤذيني بعد الأمان ، مع حبهم في المال . وإنه لا شيء نرجو به بعد الله التقرب إليهم إلا بالأموال ، ولو أمكنني أن أزيد فيها ، فتملأ أعينهم ! وأنا لا أبتغي إلا العيش لخاصة نفسي وأهلي . وقد خفف الله عني بقلة العيال ، ولاخير في الغرر بمال لاأدري إن بقي معي ، مع اختلاطه وكثرة شبهاته : وكثرة المال إنما يحتاج للمملكة والأجناد . فالآن وقد أزاح الله ذلك عني ، ولم يبق الا طلب السلامة بحشاشة النفس ، وهي غنيمة في مثل هذا الوقت الحاد !

فخرجت إلى الرجل بعد ثقاف القصر ، ولا خوف عليه ذلك الوقت ، اذ

---

(١) تحقيق ليفي بروفنسال ، القاهرة ١٩٥٥

كان الناس بين يأس وطمع فى الرجوع ، فلا جرأة من أحد فى اعتراض شىء من ساقتنا . ولما أنزلت بتولى قرور للأمر ، جعل الحرص على الخباء ، وأمر بطرد الداخل والخارج ، وحيل بيننا وبين عبيدنا وصنائعنا : كل يفتش عليه ويبحث على ما لديه من مال كسبه فى ولايتنا . ثم أتانا الفقيه ابن سعدون من عند أمير المسلمين ، يقول : « أحضر الأموال والأزمة بها ! فإن مؤملا قد أخبره أنه ليس عندك درهم إلا بزمام وذكر » . فقلت له : « نعم كان ذلك ، قد تركته فى دارى ، فإن أباح لى المسير بنفسى لاستخراج الكل ، وإلا فهذه أمى ، تتولى ذلك مع ثقاته حتى لا يغادركم منه خيط » .

وكان ، عند خروجى ، قد وقع فى نفسى من خوف الثقاف ما خشيت الفرقة منها إن تركتها فى القصر ، فخرجت معها ، ولم التفت إلى ما سواها ، وأنا مع ذلك فى حيرة لا أدرى لما يصير أمرى . قد أشرب قلبى من الخوف والجزع ما لم أعهده قط ، ولا كان فيه عزاء . فان الأمور التى ينبغى لها الاستثبات والصبر ما كان من أمر دون أمر ؛ وإن جل خطب ، يرجى فى غيره الراحة ، وبعض الشر أهون من بعض ، وإنما هذه النصبة لم يكن لها عزاء ولا استراحة إلى أمل ورجاء ليسر ، إلا بحيث يحتسب . فأذهلنى ذلك عن كل مال فيه صلاح من تقدمة النظر فى مال أو غيره ، بل ، كانت نفسى آكد على ، لم تعمل حساب من يعيش ، لا سيما لم يجر عليه قبل ذلك محنة ، ولا أكربه الدهر برزية. فجاءت جملة أبهتت ، وخانت القياس ، وحادت عن سبيل المعهود .

وقد كان أرسل إلى قرور يطلب خط يدى بإسلام المدينة وإخراج من لى فيها من الحشم . فبادرت على المقام ، إذ الالتواء عن ذلك مما لا ينفع ، ولو فعلت ، لكان ذلك زيادة فى الهوان ، ولم يفد شيئا ، وأنا قد حصلت فى القبضة(١) .

---

(١) مذكرات الأمير عبد الله ، ص ١٥٤ — ١٥٦

(٧)

أبو مروان حيان بن خلف المعروف بابن حيان

ذكر قنطرة نهر قرطبة من أحداث سنة ٣٦٠ من سنى خلافة الحكم المستنصر

(نقلا من كتاب المقتبس فى أخبار بلد الأندلس)(١) .

« وفى يوم الأربعاء لخمس خلون من ذى القعدة منها ابتدىء بعمـل سد محكم الصناعة ، قريب المونة من منابت شجر الشعراء المجتلبة من شمخ جبال قرطبة ، مثقف بصم الجنادل والرمل ، ملأم بحر الطفل بحاشية النهر الأعظم بقرطبة ، لصق الجسر ليدفع جرية الماء بالجهة كيما يكشف عن الأرجل هناك التى أثر فيهـا الماء على تطاول الأمد ، فكشط جبسها وخوف من وهيها ، وتوكل نظر الخليفة بتداركها وإعجال جلائها ، فتم حقن الماء عنها ، وشرع فى رفعها وتسويتها ... » .

« وللنصف من ذى الحجة منها تم عمل سد المنعة المعقود أسفل نهر قرطبة وفى الشرق منها الذى عونى إقامته هناك لرفع جريان الماء عن أصول أرجل الحنـايا التى ظهر وهيها من أرجـل القنطرة ، واقتلعت حجارة قنـوات الرحى المصاقبة للرصيف بغربى القنطرة كى يستحيل الماء عن الأرجل ، فيتمكن من التوصل إلى اصلاح أسسها وتقوية ضعفها ، فشرعت فى ذلك أيدى الفعلة فى هـذا الوقت فى تحصين تلك الأرجل وتقويتها بتوابيت الخشب الجسام وأوتاد الحديد الثخان الوثائق والصخر المجوب من المقطع فى نهاية الصلابة ، الضخم المكثر له من ملاط الكلس المظاهر باتقان الصنع ، وجعل الخليفة المستنصر بالله ينتـاب مكانه فى

(١) جزء من المقتبس يشتمل على أحداث السنين الخمسة من ٣٦٠ إلى ٣٦٤ من خلافة الحكم المستنصر ، نشره الأستاذ عبد الرحمن على الحجى ، بيروت ١٩٦٥

الأوقات بنفسه ، وينظر إليه بعينه مؤكدا على المتولين النظر فيه ، الخلفاء الأكابر ، خدمه ، ومن معهم من رؤساء كتابه ، وإذا لم ينزل إلى المكان ارتقى إلى السطح فوق باب السدة من قصر قرطبة المشرف عليه ، فكان كالشاهد له لقربه منه ، فيتملى القعود هناك متأملا للعمل ، مشيرا فيه برأيه ، مؤكدا على الفعلة فى تعجيله قبل هجوم الشتاء ، نظراً للناس ، واهتبالا بمصالحهم ، فيزكو العمل وتبدو المعونة .

ودخلت سنة إحدى وستين وثلاثمائة والنظر فى قنطرة قرطبة التى هى أم قرطبة المرضعة ، ومفضى سبلها المتشعبة ، وجماع معايشها المختلفة ، وقلادة جيدها المزدهية ، وعليا مبانيها المعجزة ، قد زاد توكداً ، وتضاعف توقداً لاقتراب فصل الشتاء الذى قد أظل ، واهتبال الخليفة بها الذى لا يمل ، فلم يزل يعلو ويستقل إلى أن كمل بناؤه ، واستوى تحصينه ، وآمنت عاديته ، وذلك يوم الأحد لأربع بقين من المحرم منها ، فركب نحوه الخليفة المستنصر بالله من قصر قرطبة ، وأجاز النهر ، فتأمله كاملا ، وسر به وارتضاه وأعلى شكر الله على معونته عليه ، وجعت الأيدى عليه ، بعد إزاحة علة القنطرة ، على جبر الحزم الذى بثق بسد القنطرة للتمكن من البناء فى أرجلها ، فعطل الرحى الرفيعة الماثلة فوقه ، فاتصل العمل فيها ، وفى توثيق شدها ، الى أن أحكم ذلك ، وأكمل فى عقب صفر منها ، فانطلقت الرحى لطحنها ، وعادت الى أولها ، بحمد الله تعالى »(١) .

---

(١) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٥٨ — ٦٥

ثانيا - مقتطفات من كتب الجغرافيين والرحالة

(١)

أخبار الصين والهند لجغرافي مجهول من القرن الثالث الهجري (١)

« وذكر سليمان التاجر أن بخانفو وهو مجتمع التجار رجلا مسلما يوليه صاحب الصين بين المسلمين الذين يقصدون إلى تلك الناحية يتوخى ملك الصين ذلك . وإذا كان فى العيد صلى بالمسلمين . وأن التجار العراقيين لا ينكرون من ولايته شيئا فى أحكامه وعمله بالحق وبما فى كتاب الله عز وجل وأحكام الاسلام .

فأما المواضع التى يردونها ويرقون إليها فذكروا أن أكثر السفن الصينية تحمل من سيراف ، وأن المتاع تحمل من البصرة وعمان وغيرهما إلى سيراف ، فيعبي فى السفن الصينية بسيراف وذلك لكثرة الأمواج فى هذا البحر وقلة الماء فى مواضع منه . والمسافة بين البصرة وسيراف فى الماء مائة وعشرون فرسخا ، فإذا عبى المتاع بسيراف استعذبوا منها الماء وخطفوا — وهذه لفظة يستعملها أهل البحر : يعني يقلعون — إلى موضع يقال له مسقط ، وهو آخر عمل عمان : والمسافة من سيراف إليه نحو مائتى فرسخ . وفى شرقى هذا البحر فيما بين سيراف ومسقط من البلاد سيف بنى الصفاق وجزيرة أبركاوان. وفى هذا البحر جبال عمان ، وفيها الموضع الذى يسمى الدردور وهو مضيق بين جبلين تسلكه السفن الصغار ولاتسلكه السفن الصينية . وفيها الجبلان اللذان يقال لهما كسير وعوير وليس يظهر منهما فوق الماء إلا اليسير : فإذا جاوزنا الجبال صرنا إلى موضع يقال له صحار عمان فنستعذب الماء من مسقط من بئر بها ، وهناك فئة غنم من

---

(١) نشره المستشرق الفرنسي جان سوفاجيه ، باريس ١٩٤٨

بلاد عمان ، فتخطف المراكب منها إلى بلاد الهند ، وتقصد إلى كولم ملى ، والمسافة من مسقط إلى كولم ملى شهر على اعتدال الريح . وفى كولم ملى مسلحة لبلاد كولم ملى تجبى السفن الصينية ، وبها ماء عذب من آبار ، فيؤخذ من الصينية ألف درهم ، ومن غيرها من السفن ما بين عشرة دنانير الى (عشرين) دينار . وبين مسقط وكولم ملى وبين هركند نحو من شهر ، وبكولم ملى يستعذبون الماء . ثم تخطف المراكب — أى تقلع — الى بحر هركند ، فإذا جاوزوه صاروا إلى موضع يقال له لنجبالوس ، لايفهمون لغة العرب ولا ما يعرفه التجار من اللغات . وهم قوم لايلبسون الثياب بيض كواسج . وذكروا أنهم لم يروا منهم النساء وذلك أن رجالهم يخرجون إليهم من الجزيرة فى زواريق منقورة من خشبة واحدة ، ومعهم النارجيل وقصب السكر والموز وشراب النارجيل : وهو شراب أبيض ، فاذا شرب ساعة يؤخذ من النارجيل فهو حلو مثل العسل ، فاذا ترك ساعة صار شرابا ، وإن بقى أياما صار خلا . فيبيعون ذلك بالحديد ، وربما وقع إليهم العنبر اليسير فيبيعونه بقطع الحديد ، وإنما يتبايعون بالإشارة يدا بيد إذ كانوا لايفهمون اللغة . وهم حذاق بالسباحة ، فربما استلبوا من التجار الحديد ولا يعطونهم شيئا .

ثم تخطف المراكب إلى موضع يقال له كلاه بار : المملكة والساحل كل يقال له بار . وهى مملكة الزابج متيامنة عن بلاد الهند ، يجمعهم ملك ، ولباسهم الفوط : يلبس السرى والدنى منهم الفوطة الواحدة . ويستعذبون هناك الماء من آبار عذبة ، وهم يؤثرون ماء الآبار على مياه العيون والمطر ... » (١) .

(١) أخبار الهند والصين ، ص ٧ — ٩

(٢)

كتاب فرحة الأنفس فى تاريخ الأندلس (١) لمحمد بن أيوب بن غالب

وصف كورة إشبيلية :

« وهى شرق من كورة لبلة وغرب من قرطبة ، كانت قاعدة من قواعد العجم ، اتخذت دار مملكة ومحلة اختيار أوفت على النهر الأعظم ، واستقربت من البحر ، وبانت بكل خصوصية . وفازت بكل فضيلة ، وقابلت معالم مدينتها المشرفة جبل الشرف أشرف بقعة وأكرم تربة ، المغترس بالزيتون الدائم عند اخضراره ، النادر عند اعتصاره ، لايتغير به حال ولايعتريه اختلال ، قد أخذ فى الأرض طولا وعرضا فراسخ فى فراسخ ، ويبقى زيتها برقته وعـــذوبته لايتغير طعمه ولايتغير بطول مكثه فاضلا بخاصة بقعته على غيره من الزيت ، وكذلك يبقى عسلها لايرمل وبحالته الأولى لايتبدل ، وكذلك اليابس من تينها يبقى دهرا طويلا ، ومن فضائلها التى انفردت بها ما تنبت أرضها من عجيب قطنها الذى يحسن ويزكو بها ويعم آفاق الدنيا منها ، ويجهز إلى القيروان وغيرها ، وكل ما استودع فى أرضها واغترس فى بقعتها نما وزكا فى اختياره ، وفضل فضلا بينا على غيره ، حازت البر بما استقبلته من جهاته ، والبحر بما اشتملت عليه خواص منافعه ، واحتوت على الزرع والضرع وكثرة الثمرات من كل الصفات ، وفضل الصيد فى بر وبحر ، ولها مرافق كثيرة شتى ، ومرجها لاينهشم صيفا ولاينحطم ، ويتمادى كلؤه رطبا ، وبذلك يصلح نتاجها وتدوم ألبان ماشيتها ، ولو كان يقتصر عليها

---

(١) نشرت قطعة من هذا الكتاب فى مجلة معهد المخطوطات ، المجلد الأول ، الجزء الثانى ، نوفمبر ١٩٥٥ ، تحقيق الدكتور لطفى عبد البديع .

بالمسارح أهل الأندلس لاتسعت لهم ، وهى من السواحل التى يحسن فيها قصب السكر ، ومسافة ما بين اشبيلية وقرطبة تسعون ميلا ، ولكورة إشبيلية من الأقاليم إقليم المدينة ، واقليم أليه ، واقليم البصل ، وإقليم طالقة ، واقليم الشرف وإقليم الوادى ، واقليم الفحص ، واقليم طشانة ، واقليم قطرسانية ، وإقليم المسير الى غير ذلك » (١) .

(١) قطعة من فرحة الأندلس ، ص ٢٣ ، ٢٤ .

(٢)

وصف مصر الفسطاط من كتاب سفرنامة للرحالة ناصر خسرو علوى

« وبمصر بيوت مكونة من أربع عشرة طبقة ، وبيوت من سبع طبقات ، وسمعت من ثقات أن شخصاً غرس حديقة على سطح بيت من سبعة أدوار وحمل إليها عجلا رباه فيها حتى كبر ، ونصب فيها ساقية كان هذا الثور يديرها ويرفع الماء إلى الحديقة من البئر . وزرع على هذا السطح شجر النارنج والموز وغيرهما . وقد أثمرت كلها ، كما زرع فيها الورد والريحان وأنواع الزهور الأخرى . وسمعت من تاجر ثقة أن بمصر دوراً كثيرة فيها حجرات للاستغلال أى للايجار ومساحتها ثلاثون ذراعا فى ثلاثين ، وتسع ثلاثمائة وخمسين شخصا . وهناك أسواق وشوارع تضاء فيها القناديل دائما ، لأن الضوء لا يصل إلى أرضها ، ويسير فيها الناس .

وفى مصر سبعة جوامع ، غير جوامع القاهرة ، والمدينتان متصلتان . وفيهما معا خمسة عشرة جامعا وذلك لتلقى خطبة الجمعة والصلاة فى كل حى منهما ، وفى وسط سوق مصر جامع يسمى « باب الجوامع » شيده عمرو بن العاص أيام إمارته على مصر من قبل عمر بن الخطاب . وهذا المسجد قائم على أربعمائة عمود من الرخام ، والجدار الذى عليه المحراب مغطى كله بألواح الرخام الأبيض التى كتب القرآن عليها بخط جميل . ويحيط بالمسجد من جهاته الأربع الأسواق ، وعليها تفتح أبوابه ، ويقيم بهذا المسجد المدرسون والمقرئون . وهو مكان اجتماع سكان المدينة الكبيرة ، ولا يقل من فيه فى أى وقت عن خمسة آلاف ، من طلاب العلم والغرباء والكتاب الذين يحررون الصكوك والعقود وغيرها :

---

(١) ناصر خسرو علوى ، سفرنامة ، ترجمة الدكتور يحى الخشاب ، القاهرة ١٩٤٥ .

وقد اشترى الحاكم بأمر الله هذا المسجد من أبناء عمرو بن العاص ، وكانوا قد ذهبوا إليه وقالوا : نحن فقراء معوزون ، وقد بنى جدنا هذا المسجد ، فإذا أذن السلطان نهدمه ونبيع أحجاره ولبناته، فاشتراه الحاكم بمائة ألف دينار وأشهد على ذلك كل أهل مصر ، ثم أدخل عليه عمارات كثيرة وعجيبة منها ثريا فضية لها ستة عشر جانبا ، كل جانب منها ذراع ، ونصف دائرتها أربع وعشرون ذراعا ... »[1] .

---

(١) سفرنامة ، ص ٥٨ ، ٥٩

(٤)

وصف مدينة سوسة من رحلة التجانى (١)

« ثم ارتحلنا عن إهريقلية يوم الجمعة ثانى جمادى الأخرى ، فنزلنا بسوسة وهى مرحلة قريبة ، وسوسة مدينة كبيرة على سفح جبل عال وعليها سور منيع من الصخر ينتهى البحر إليه ويضرب فيه ، وبها آثار الأول وإليها تنسب الثياب الرفيعة السوسية ، والمسافرون يقصدونها من الآفاق ، وبها جامع للخطبة حسن كان بناؤه فى ولاية أبى العباس محمد بن الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب سنة ست وثلاثين ومائتين على يد خادمه مدام ، وكانت سوسة إذ ذاك قرية ، وأتى بعده ابن أخيه أبو ابراهيم أحمد بن الأغلب ، فجدد سورها ، وألحقها بالمدن ، وكان تجديده لسورها سنة تسع وأربعين ومائتين . وبصحن جامعها المذكور بيت فكتب فيه بخط قديم نقشاً فى الحجر « القرآن كلام الله ليس بمخلوق » وكتب مثل ذلك أيضا فى عمد الجامع ، وذلك كله تنبيه على مذهب أهل السنة وتثبيت له بسبب كثرة ما كان بها وبجميع بلاد إفريقية فى القديم من مذاهب المنحرفة عن المذهب السنى ثم ما كان بها منها فى زمن ملك الروافض لها ثم فى زمن تغلب الخوارج عليها .

ومن سوسة هذه ركب أسد بن الفرات البحر غازيا إلى صقلية سنة اثنى عشرة ومائتين ، فافتتح كثيراً من معاقلها وتغلب على كثير من مدنها ، ومات فى العام الذى يليه وهو محاصر لها ، قالوا ونزل الروم على سوسة فى الزمن القديم فى ثلاثين الف مقاتل ، فبلغ ذلك معاوية بن حديج السكونى ، وقيل التجيبى ، وقيل الكندى ،

(١) تحقيق الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب ، تونس ١٩٥٨ .

قال أبو عمر بن عبد البر والصواب إن شاء الله السكونى . وخطأه الرشاطى ، وقال إذا كان سكونيا فهو تجيبى وكندى . وكان معاوية هذا واليا على إفريقية من قبل عمرو بن العاص . فبعث عبد الله بن الزبير إلى سوسة فى جمع كثيف ليحميها . فتوجه عبد الله ونزل بجمعه على شرف عال بينه وبينها اثناعشر ميلا أو نحوها . فلما علم الروم بوصوله رفعوا جميع سفنهم الى شاطىء البحر وأزمعوا الارتحال ، فوصل عبد الله بجمعه من الغد حتى انتهى الى سور المدينة . ثم نزل عن فرسه . وقام يصلى بالناس بعض الصلوات الحاضرة . فجعل الروم يتعجبون من إقدامه وقلة اكتراثه بهم ، فأخرجوا له جمعا من حماتهم فزحفوا اليه وهو مقبل على صلاته لا يهوله ذلك، حتى اذا قضى صلاته ركب فرسه وحمل عليهم ، فانكشفوا عنه وولوا أدبارهم ، فصعدوا الى مراكبهم . وأقلعوا الى بلادهم »[1] .

---

(١) رحلة التجانى ، ص ٢٥ ، ٢٧

مراجع الكتاب

مراجع الكتاب

١ ــ ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعى): كتاب الحلة السيراء ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

٢ ــ « « المعجم فى أصحاب الإمام أبى على الصدفى ، مجلد ٤ من المكتبة العربية الاسبانية ، تحقيق كوديرة ، مدريد ، ١٨٨٥ .

٣ ــ « « كتاب التكملة لكتاب الصلة ، جزآن ، تحقيق كوديره ، مدريد ، ١٨٨٧ - ١٨٨٩ .

٤ ــ ابراهيم (دكتور عبد اللطيف) : وثيقة السلطان قايتباى ، من بحوث المؤتمر الثالث للآثار فى البلاد العربية بفاس، القاهرة ، ١٩٦١

٥ ــ ابراهيم (الاستاذ محمد أبو الفضل) مقدمة كتاب « تاريخ الرسل والملوك» لمحمد بن جرير الطبرى ، مجموعة ذخائر العرب ، القاهرة ، ١٩٦٠

٦ ــ أتكن (هيو) : دراسة التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية ، ترجمة الدكتور محمود زايد ، بيروت ، ١٩٦٢ .

٧ ــ ابن الاثير (على بن أحمد بن أبى الكرم): كتاب الكامل فى التاريخ ، القاهرة ، ١٣٤٨ هـ

٨ ــ « « التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ، تحقيق الأستاذ عبد القادر أحمد طليمات ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

٩ ــ أحمد (الأستاذ نفيس): جهود المسلمين فى الجغرافية ، ترجمة الأستاذ فتحى عثمان ، مجموعة الألف كتاب ، عدد ٢٧٢ .

١٠ ــ الإدريسى (الشريف أبو عبد الله محمد بن العزيز): صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق . نشره دوزى ودى غوية ، ليدن ، ١٨٩٣ ، والقسم الخاص بالشام ، تحقيق جيلد ميستر ، بون ، ١٨٨٥

١١ ــ الأزرقى (أبو الوليد محمد بن عبد الله) : كتاب أخبار مكة ، جزآن . الأستاذ رشدى الصالح ملحس ، مكة ، ١٣٥٢ هـ

١٢ ــ أسامة بن منقذ (مؤيد الدولة أبو مظفر) : كتاب الاعتبار ، تحقيق الدكتور فيليب حتى ، برنستون ، ١٩٣٠ .

١٣ ــ الاصطخرى (أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسى) : المسالك والممالك ، تحقيق الدكتور محمد جابر عبد العال الحينى ، القاهرة ، ١٩٦١

١٤ ــ الأصفهانى (عماد الدين أبو عبد الله محمد) . كتاب الفتح القسى فى الفتح القدسى ، تحقيق الكونت كارلو دى لاندبرج ، لندن ١٨٨٨ ، وطبعة القاهرة ، تحقيق الأستاذ محمد محمود صبيح ، أصدرته الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٥

١٥ ــ الأصفهانى (حمزة بن حسن) : تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء ، برلين ، ١٣٤٠ هـ

١٦ ــ الأصفهانى (أبو الفرج): كتاب الأغانى ، طبعة بيروت ، ١٩٥٦

١٧ ــ أغابيوس (محبوب بن قسطنطين الرومى) : كتاب العنوان ، تحقيق فازيلييف ، جزآن ، باريس ، ١٩٠٩

١٨ — Alarcon (Maximiliano) & Garcia de Linares: Los Documentos Arabes Diplomaticos del archivo de la Corona de Aragon, Madrid 1940.

١٩ — الألوسي (الأستاذ محمود شكرى): بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب، ٣ أجزاء ، القاهرة ١٩٢٥

٢٠ — أمين (الأستاذ أحمد): فجر الاسلام ، القاهرة ، ١٩٤٥

٢١ — « « : ضحى الاسلام، ج ١ ، القاهرة ١٩٤٦، وج٢، القاهرة ١٩٣٨

٢٢ — Amari (Michele). Biblioteca Arabo-Sicula, Lipsia, 1857 (نصوص فى التاريخ والبلدان والتراجم والمراجع ، جمعها وحققها ميخائيل أمارى).

٢٣ — الأنطاكى (يحيي بن سعيد): صلة كتاب سعيد بن بطريق ، تحقيق الأب لويس شيخو ، بيروت ، ١٩٠٩

٢٤ — أوليرى: مسالك الثقافة الاغريقية الى العرب ، ترجمة الدكتور تمام حسان ، القاهرة ١٩٥٧

٢٥ — ابن إياس (أبو البركات محمد بن أحمد): بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، تحقيق الدكتور محمد مصطفى ، الأجزاء ٣ — ٥ ، القاهرة ، ١٩٦٠ / ١٩٦٣

٢٦ — Barthold: Turkestan down to the Mongol invasion, London, 1928

٢٧ — بالنثيا (آنخل جنثالث): تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٥٥

٢٨ — Palencia (Angel Gonzalez): Los Mozarabes de Toledo en los siglos XII y XIII, vol. I, Madrid, 1926

٢٩ — ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن أحمد) : كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ، تحقيق كوديره ، مدريد ١٨٨٢

٣٠ — ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد اللواتي الطنجي): رحلة ابن بطوطة ، طبعة صادر ، بيروت ، ١٩٦٠

٣١ — de Perceval (Caussin): Essai sur l'histoire des Arabes, 3 vols. Paris, 1847.

٣٢ — البغدادي (الخطيب): تاريخ بغداد ، القاهرة ١٩٣١ (١٤ جزءا)

٣٣ — البغدادي (عبد اللطيف): كتاب الافادة والاعتبار ، طبعة مصر ، ١٨٧٠

٣٤ — البكري (أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز) : معجم ما استعجم ، تحقيق الأستاذ مصطفى السقا ، ج ١ ، القاهرة ، ١٩٤٥

٣٥ — « « : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك تحقيق البارون دي سلان ، الجزائر ١٨٥٧ .
إفريقية والمغرب ، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك ، تحقيق البارون دي سلان ، الجزائر ١٨٥٧

٣٦ — البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر): كتاب فتوح البلدان ، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، ٣ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٥٦/١٩٥٧

٣٧ — « « أنساب الأشراف ، ج ١ ، تحقيق الدكتور محمد حميد الله ، القاهرة ، ١٩٥٩

٣٨— بلسير : مادة «تأريخ» ، بدائرة المعارف الإسلامية ، القسم المعرب ، مجلد ٤ ، عدد ٨ ، ص ٤٧٣

٣٩— ابن بلقين (الأمير عبد الله الزيرى): مذكرات الأمير عبد الله الزيرى ، المسماة بكتاب التبيين ، تحقيق الأستاذ ليفى بروفنسال، القاهرة، ١٩٥٥ .

٤٠ — Pons Boigues (F.): Ensayo bio-bibliografico sobre los historiadores y geografos arabigo espanoles, Madrid, 1898.

٤١— البيذق (أبو بكر الصنهاجى): كتاب أخبار المهدى بن تومرت ، تحقيق الأستاذ ليفى بروفنسال ، باريس ١٩٢٨ .

٤٢— البيرونى (أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمى) : الآثار الباقية عن القرون الخالية ، تحقيق ادوارد شاو ، ليبزج ، ١٩٢٣ .

٤٣— البيهقى : كتاب المحاسن والمساوىء ، القاهرة ١٩٢٥ م

٤٤— التجانى (أبو محمد عبد الله بن محمد): رحلة التجانى ، تحقيق الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب ، تونس ١٩٥٨ .

٤٥— الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد) : غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم ، نشره زوتنبرج ، باريس ١٩٠٠ .

٤٦ — Gibb (H A. R) : Tarikh, in Enc. of Islam, Supplement, pp 233-245, Leiden-London, 1938.

والمقالة معربة فى الجزء المعرب من دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد ٤ ، العدد ٨ .

٤٧ — جب (هاملتون) : دراسات فى حضارة الاسلام ، ترجمة الدكاترة إحسان عباس ومحمد نجم ومحمود زايد ، بيروت . ١٩٦٤ .

٤٨ — ابن جبير (أبو الحسين محمد بن أحمد البلنسى) كتاب تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار ، تحقيق وليم رايت ، ليدن ، ١٩٠٧ .

٤٩ — جروهمان (أدولف) : أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية ، الأسفار الأربعة ، ترجمة الأستاذ جروهمان بالاشتراك مع الدكتور حسن ابراهيم حسن ، القاهرة ١٩٣٤ - ١٩٦٧ .

٥٠ — Grohmann (.A) : Arabic Papyri in Egyptian Library, 4 vols, Cairo ,1934 - 1938

٥١ — ابن جعفر (أبو الفرج قدامه) . كتاب الخراج وصنعة الكتابة ، تحقيق دى غوية ، الجزء السادس من المكتبة الجغرافية العربية ، ليدن ، ١٨٨٩ .

٥٢ — الجهشيارى (أبو عبد الله محمد) . كتاب الوزراء والكتاب ، تحقيق الأساتذة مصطفى السقا ، وابراهيم الأبيارى ، وعبد الحفيظ شلبي ، القاهرة ١٩٣٨ .

٥٣ — ابن الجوزى (أبو المظفر شمس الدين يوسف بن قيزوغلى) : كتاب مرآة الزمان ، طبعة شيكاغو ، ١٩٠٧ . وطبعة حيدر آباد الدكن ١٩٥١ ، ١٩٥٢ .

٥٤ — حاجى خليفة : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، طبعة أسطنبول ، ١٩٤١ .

٥٥ — ابن حزم (أبو محمد على بن سعيد) : جمهرة أنساب العرب ، تحقيق ليفى بروفنسال ، القاهرة ١٩٤٨ (مجموعة ذخائر العرب ، عدد ٢)

٥٦ — حسن (دكتور حسن ابراهيم) : النظم الاسلامية ، القاهرة ، ١٩٣٩ .

٥٧ — حسن (دكتور زكى محمد) : دراسات فى مناهج البحث فى التاريخ الإسلامى مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة . مجلد ١٢ ، ج ١ ، مايو ١٩٥٠

٥٨ — « « « : الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى ، القاهرة ، ١٩٤٥

٥٩ — حسن (دكتور على ابراهيم) : استخدام المصادر وطرق البحث فى التاريخ المصرى الوسيط ، القاهرة ، ١٩٤٩ .

٦٠ — حسن (الأستاذ محمد عبد الغنى) . علم التاريخ عند العرب ، القاهرة ، ١٩٦١ .

٦١ — حسين (دكتور طه) : فى الأدب الجاهلى ، القاهرة ، ١٩٢٧ .

٦٢ — حسينى (مولوى) : الادارة العربية ، ترجمة الدكتور ابراهيم أحمد العدوى القاهرة ١٩٥٨ .

٦٣ — الحميدى (أبو عبد الله محمد بن فتوح) : جذوة المقتبس فى تاريخ رجال الأندلس ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجى ، القاهرة ، ١٩٥٢ .

٦٤ — الحميرى (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم) : صفة جزيرة الأندلس من كتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار ، تحقيق ليفى بروفنسال ، القاهرة ١٩٢٧

٦٥ — « « « القسم الخاص بوصف صقلية من كتاب الروض المعطار ، تحقيق الأستاذ أومبرتو ريتسيتانو ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة

٦٦ — حورانى (الأستاذ جورج فاضلو) : العرب والملاحة فى المحيط الهندى ، ترجمة الدكتور يعقوب بكر ، القاهرة ، ١٩٥٨.

٦٧ — الحوفى (دكتور أحمد محمد) : الطبرى ، من سلسلة أعــلام العرب ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

٦٨ — ابن حوقل (أبو القاسم محمد) : صورة الأرض، طبعة بيروت ، ١٩٦٣

٦٩ — ابن حيان (أبو مروان حيان بن خلف) : قطعة من المقتبس فى تاريخ رجال الأندلس ، من عهد الأمــير عبد الله ، نشرها الأب ملشور أنطونيه ، باريس ، ١٩٣٧ ، وقطعة من المقتبس ، من عهد الخليفة الحكم المستنصر ، تحقيق الأستاذ عبد الرحمن على الحجى ، بيروت ١٩٦٥ . وقطعة من المقتبس من عهد الامير عبد الرحمن الاوسط ، تحقيق الدكتور محمود على مــكى ، (بيروت . ١٩٦٧ / ١٩٦٨)

٧٠ — ابن خاقان (الفتح) : كتاب مطمح الانفس ومسرح التأنس فى ملح أهل الأندلس ، قسطنينة ، ١٣٠٢ هـ (١٨٨٤ م)

٧١ — الخشنى (محمد بن حارث) : تاريخ قضاة قرطبة . تحقيق دون خليان ريبيرا ، مدريد ، ١٩١٤

٧٢ — ابن الخطيب (لسان الدين) : كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام ، (القسم الخاص بالأندلس) تحقيق ليفى بروفنسال . طبعة بيروت ١٩٥٦ . (والقسم الخاص بالمغرب) تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادى . والاستاذ محمد ابراهيم الكتانى ، الدار البيضاء ، ١٩٦٤

٧٣— ابن الخطيب: الاحاطة فى أخبار غرناطة ، ج ١ ، تحقيق الأستاذ محمد عبدالله عنان ، القاهرة ١٩٦٦ . وطبعة مصر ، ١٣١٩ ﻫ

٧٤— « « : مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ، مجموعة رسائلة ، جمعها وحققها الدكتور أحمد مختار العبادى ، الاسكندرية ، ١٩٥٨

٧٥— ابن خلدون (عبد الرحمن) : كتاب العبر ، المقدمة ، تحقيق الدكتور على عبد الواحد وافى ، ٤ أجزاء ، القاهرة ١٩٥٧

٧٦— « « : كتاب العبر ، طبعة بيروت ، ١٩٦٥

٧٧— « « : التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً ، تحقيق الأستاذ محمد بن تاويت الطنجى ، القاهرة ١٩٥١

٧٨— Jimenez (Manuel Ocana) : La Inscripcion fundacional de la Mezquita de Ibn Adabdas en Sevilla, al Andalus, vol XII, fasc. I, 1947

٧٩— ابن الدلائى (أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس العذرى) : نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، والبستان فى غرائب البلدان ، والمسالك إلى جميع الممالك ، تحقيق الدكتور عبد العزيز الأهوانى ، مدريد ١٩٦٥

٨٠— الدميرى : حياة الحيوان الكبرى ، القاهرة ١٩٤٤

٨١— الدورى : (دكتور عبد العزيز) : بحث فى نشأة علم التاريخ عند العرب ، بيروت ، ١٩٦٠

٨٢— ديمومبين (جود فروا) : النظم الاسلامية ، ترجمة الدكتور فيصل السامر ، والدكتور صالح الشماع ، بيروت ، ١٩٦١

٨٣— ابن رستة (أبو على أحمد بن عمر) : الأعلاق النفيسة ، الجزء السابع من المكتبة الجغرافية العربية ، تحقيق دى غوية ، ليدن ، ١٨٩٢

٨٤— روزنثال (فرانز) : علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة الدكتور صالح أحمد العلى ، بغداد ، ١٩٦٣

٨٥— Recueil des Historiens des Croisades : Historiens Orientaux, Paris, 1884

٨٦— Rios (Amador de los) Inscripciones arabes de Sevilla, Madrid, 1875

» » : Inscripciones arabes de Cordoba, Madrid 1879

٨٧— » » : Epigrafia Arabe : Capiteles con inscripciones descubiertcsen Cordoba, Revista de Archivos,1898

٨٨— ابن أبى زرع الفاسى : كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، تحقيق تورنبرج ، أبسالة ، ١٨٤٣ .

٨٩— الزبيرى (المصعب بن عبد الله): نسب قريش ، تحقيق ليفى بروفنسال ، القاهرة،١٩٥٣

٩٠— زيادة (دكتور محمد مصطفى): المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر الميلادى ، القاهرة ١٩٤٩

٩١— زيادة (دكتور نقولا): الرحالة العرب ، القاهرة ١٩٥٦

٩٢— » » » » :الجغرافية والرحلات عند العرب، بيروت ١٩٦٢

٩٣— سالم (دكتور السيد عبد العزيز): المآذن المصرية، نظرة عامة عن أصلها وتطورها، القاهره ١٩٥٩

٩٤— » » » » : المغرب الكبير ، ج، ٢ : المغرب الإسلامى، الاسكندرية ١٩٦٦

٩٥— » » » » : تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى ، الاسكندرية ١٩٦١

٩٦— » » » » : دراسات فى تاريخ العرب ، ج ١، عصر ماقبل الاسلام ، الاسكندرية ١٩٦٧

٩٧— » » » » : طرابلس الشام فى التاريخ الاسلامى. الاسكندرية ١٩٦٧

٩٨— السخاوى (محمد بن عبد الرحمن بن محمد) : الاعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ ، نص نشره روزنثال ، فى كتابه علم التاريخ عند المسلمين .

٩٩— السخاوى (محمد بن عبد الرحمن بن محمد) : كتاب التبر المسبوك فى ذيل السلوك . بولاق ١٨٩٦

١٠٠— Sobernheim (M): Corpus Inscriptionum Arabicarum, t. XXV, 1909.

١٠١— ابن سعد (أبو عبد الله محمد بن سعد): الطبقات الكبرى ، طبعة ليدن ،

تحقيق الدكتور سترستين ، ١٣٢٢ هـ (١٩٠٥ م)

١٠٢ — ابن سعيد (أبو الحسن على الأندلسى) : المغرب فى حلى المغرب ، الجزء الأول من القسم الخاص بمصر ، تحقيق الدكاترة زكى محمد حسن وشوقى ضيف وسيدة كاشف ، القاهرة ، ١٩٥٣

١٠٣ — السمهودى (جمال الدين أبو المحاسن عبد الله) : كتاب وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، طبعة مصر ، جزآن ، ١٣٢٦ هـ

١٠٤ — Sauvaget (Jean) : Introduction à l'histoire de l'Orient musulman, Paris, 1923

١٠٥ — Sauvaget (Jean) : Relation de la Chine et de l'Inde Paris, 1948.

١٠٦ — السيوطى (جلال الدين) : المزهر فى علوم اللغة ، شرح الأستاذ محمد أحمد جاد المولى وآخرين .

١٠٧ — السيوطى (جلال الدين) : بغية الوعاة ، القاهرة ١٣٢٦ هـ

١٠٨ — ابن الشحنة الحلبى (أبو الوليد محب الدين محمد) : كتاب الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب ، نشرة الأستاذ يوسف سركيس ، بيروت ، ١٩٠٩

١٠٩ — ابن شداد الحلبى : الأعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة ، تحقيق الدكتور سامى الدهان ، دمشق ١٩٦٢

١١٠ — ابن شداد (أبو المحاسن يوسف بن رافع) : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦٤ .

١١١ — الشريف (الأستاذ أحمد ابراهيم) : مكة والمدينة فى الجاهلية وعصر الرسول، القاهرة ١٩٦٧

١١٢ — الشيزرى (عبد الرحمن بن نصر) : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة، تحقيق الأستاذ السيد الباز العرينى، القاهرة، ١٩٤٦

١١٣ — شايلد (جوردون) : التاريخ، ترجمة الأستاذ عدلى برسوم عبد الملك، القاهرة ١٩٥٨

١١٤ — الشيال (دكتور جمال الدين) : التاريخ والمؤرخون فى مصر فى القرن التاسع عشر، المكتبة التاريخية، عدد ٢، القاهرة، ١٩٥٨

١١٥ — el-Shayyal (G): a history of Egyptian historiography in the 19 th Century, Alexandria, 1962

١١٦ — الصالح (دكتور صبحى) : مباحث فى علوم القرآن، دمشق، ١٩٦٢

١١٧ — صالح بن يحيى : تاريخ بيروت وأخبار الأمراء البحتريين من بنى الغرب، نشره الأب لويس شيخو اليسوعى، بيروت، ١٨٩٨

١١٨ — ابن صاحب الصلاة (عبد الملك بن أحمد الباجى) : تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق الأستاذ عبد الهادى التازى، بيروت، ١٩٦٤

١١٩ — الصولى (أبو بكر محمد بن يحيى) : أدب الكتاب، تحقيق الأستاذ محمد بهجة الأثرى القاهرة ١٩٤١ هـ

١٢٠ — الضبى (أبو جعفر أحمد) : بغية الملتمس فى تاريخ رجال الأندلس، تحقيق كوديرة، مدريد، ١٨٨٥.

١٢١ — ابن طباطبا (محمد بن على) : كتاب الفخرى فى الآداب السلطانية ، بيروت ، ١٩٦٠

١٢٢ — الطبرى (محمد بن جرير) : تاريخ الرسل والملوك . تحقيق دى غوية ، لندن ١٨٨١ — ١٨٨٢

١٢٣ — طليمات (الأستاذ عبد القادر أحمد) : المؤرخ ابن الأثير ، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة فى الآداب من جامعة عين شمس فى ١٩٦٧/٧/٨

١٢٤ — العبادى (الأستاذ عبد الحميد) : التاريخ عند العرب ، فصل مضاف إلى كتاب علم التاريخ لهرنشو

١٢٥ — العبادى (دكتور أحمد مختار) . مؤلفات لسان الدين بن الخطيب فى المغرب ، مقال فى مجلة هسبيريس ، عدد ٣ ، ٤ ، ١٩٥٩

١٢٦ — « « : سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، ١٩٥٧

١٢٧ — عبد البديع (دكتور أحمد لطفى) : الإسلام فى إسبانيا ، المكتبة التاريخية ، العدد الثانى ، القاهرة ، ١٩٥٨

١٢٨ — ابن عبد الحق البغدادى (صفى الدين عبد المؤمن) : كتاب مراصد الإطلاع فى أسماء الأمكنة والبقاع ، طبعة جوينبل ، ٤ أجزاء ، لندن ، ١٨٥٣

١٢٩ — ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله القرشى) : كتاب فتوح مصر والمغرب والأندلس ، تحقيق الأستاذ عبد المنعم عامر ،

القاهرة، ١٩٦١

١٣٠ - عبد الحميد (دكتور سعد زغلول) : فتح العرب للمغرب بين الحقيقة التاريخية والأسطورة الشعبية ، دراسة ونقد لمخطوط فتوح مدينة إفريقية ، من مخطوطات الواقدى بالمتحف البريطانى ، مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية، مجلد ١٦ ، الاسكندرية ١٩٦٢

١٣١ - « « : ملاحظات عن مصر كما رآها ووصفها الجغرافيون والرحالة المغاربة فى القرنين السادس والسابع الهجرى ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، مجلد ٨، ١٩٥٤

١٣٢ - عبدالوهاب (الأستاذ حسن) : الاسكندرية فى العصر الاسلامى ، مجلة الكتاب ، يناير ، ١٩٤٧

١٣٣ - ابن العبرى (أبو الفرج جريجوريوس بن هارون الملطى) : تاريخ مختصر الدول ، تحقيق الأب أنطون صالحانى اليسوعى ، بيروت ، ١٨٩٠

١٣٤ - ابن العديم الحلبي (كمال الدين أبو القاسم عمر) : كتاب زبدة الحلب من تاريخ حلب ، الدكتور سامى الدهان ، دمشق ، ١٩٥١

١٣٥ - ابن عذارى المراكشى : البيان المغرب فى أخبار المغرب ، ج ٢، بيروت، ١٩٥٠

١٣٦ - عريب بن سعد : صلة تاريخ الطبرى ، تحقيق دى غوية ، ليدن ، ١٨٩٧

١٢٧ — على (دكتور جواد) : تاريخ العرب قبل الاسلام ، ٨ أجزاء ، بغداد ، ١٩٥٠ - ١٩٥٩
١٣٨ — عمارة اليمنى (أبو الحسن نجم الدين):كتاب النكت العصرية فى أخبار الوزارة المصرية ، طبعة درنبرج ، باريس ، ١٨٩٧
١٣٩ — العمرى (شهاب الدين بن فضل الله) : كتاب مسالك الابصار فى ممالك الامصار . قطعه فى وصف افريقية والمغرب والاندلس، تحقيق الاستاذ حسن حسنى عبد الوهاب ، نشره بتونس ، من مطبوعات مجلة البدر
١٤٠ — عنان (الأستاذ محمد بن عبد الله) : مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية ، القاهرة ، ١٩٣١
١٤١ — ابن غالب(محمد بن أيوب الأندلسى) : قطعة من كتاب فرحة الأنفس فى تاريخ الأندلس ، تحقيق الدكتور لطفى عبد البديع ، مجلة المخطوطات العربية ، القاهرة ، ١٩٥٦
١٤٢ — الفاسى (أبو الطيب تقى الدين محمد بن أحمد) : كتاب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، جزآن، القاهرة ، ١٩٥٦
١٤٣ — ابن الفرات (ناصر الدين محمد عبد الرحيم) : تاريخ ابن الفرات ، تحقيق الدكتور قسطنطين زريق، مجلد ٩ ، ج٢، بيروت، ١٩٣٨
١٤٤ — ابن الفرضى(أبو الوليد عبدالله) : تاريخ علماء الأندلس ، جزآن، تحقيق كوديرة ، مدريد ، ١٨٩١ .
١٤٥ — فروخ (دكتور عمر) : تاريخ الجاهلية ، بيروت ، ١٩٦٤

١٤٦ — فشل (والتر) : نشاط ابن خلدون فى مصر المملوكية ، مقال فى « دراسات اسلامية » ترجمة الدكتور أنيس فريحة وآخرين ، بيروت ، ١٩٦٠ .

١٤٧ — فهمى (دكتور عبد الرحمن) : فجر السكة العربية ، من مجموعات متحف الفن الاسلامى ، القاهرة ، ١٩٦٥

١٤٨ — » » » » : صنج السكه فى فجر الاسلام ، القاهرة ، ١٩٥٧

١٤٩ — » » » » : الشارات المسيحية والرموز القبطية على السكة الإسلامية ، محاضرة فى المؤتمر الثالث للآثار فى البلاد العربية بفاس ، القاهرة ، ١٩٦١

١٥٠ — » » » » : النقود العربية ، ماضيها وحاضرها . المكتبة الثقافية ، عدد ١٠٣ ، القاهرة ، ١٩٦٤

١٥١ — Fahmy (Dr. Aly Moh) : Muslim sea power in the eastern Mediterranean, Cairo, 1966

١٥٢ — Van Berchem (Max.) : Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum, L'Egypte, t. 19, 1894.

١٥٣ — » » » Matériaux pour un C. I A : La Syrie du Sud, 1922.

١٥٤ — » » » Edmond Fatio : Voyage en Syrie, 2 Vols., dans Mémoires de l'Institut Français d'Archéologie Orientale du Caire, t. 37, le Caire, 1914–1915.

١٥٥ Vielva (Ramon Revilla) : Patio arabe del Museo Arqueologico nacional de Madrid, Madrid, 1932

١٥٦ — weil : Les bois à Epigraphes, jusqu a' l'époque mamelouke, catalogue géneral du Musée arabe de Caire, 2 vols. 1931 - 1936

١٥٧ — Wiet (Gaston) : Une inscription d'un prince de Tripoli de la dynastie des Banu Ammar, Memorial H.Basset, Pub. I H.E M, t XVIII.

١٥٨ — ابن قتيبة الدينورى : كتاب المعارف، القاهرة، ١٣٠٠هـ

١٥ — القرآن الكريم .

١٦٠ — القزوينى (زكريا بن محمد) : آثار البلاد وأخبار العباد ، جوتنجن ، ١٨٤٨

١٦١ — ابن القلانسى (أبو يعلى حمزة) : ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ، ١٩٠٨

١٦٢ — القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على) : صبح الأعشى فى صناعة الانشا ١٤ جزءا ، القاهرة ، ١٩١٣ - ١٩١٤

١٦٣ — كاشف (دكتوره سيدة) : مصادر التاريخ الإسلامى ومناهج البحث فيه ، القاهره ١٩٦٠

١٦٤ — » » » » : مصر فى عصر الولاه ، القاهره ، ١٩٥٨

١٦٥ — » » » » : الوليد بن عبدالملك ، سلسة أعلام العرب، عدد ١٧

١٦٦ — Casto Maria del Rivero : La Moneda arabigo espanola, Madrid, 1833.

١٦٧ — الكافيجى (محى الدين محمد بن سليمان) : المختصر فى علم التاريخ ، نص
نشره فرانز روزنثال ، فى كتاب علم التاريخ عند المسلمين

١٦٨ — Cahen (Claude) : La Syrie du Nord a l'époque des Croisades et la Principauté franque d'Antioche, paris 1940.

١٦٩ — الكتاب المقدس (العهد القديم)

١٧٠ — ابن كثير الدمشقى (عماد الدين أبو الفداء اسماعيل) : البدايه والنهاية ،
طبعة مصر ، ١٣٥٨

١٧١ — الكلبى (هشام بن محمد بن السائب) : كتاب الأصنام، نشره الأستاذ
أحمد زكى ، بولاق ، ١٣٣٢ هـ، وصورته الدار القومية فى ١٩٦٥

١٧٢ — » » » » » » : كتاب الخيل فى الجاهلية والاسلام وأخبارها ،
تحقيق أحمد زكى باشا . القاهره ، ١٩٤٦ .

١٧٣ — Combe, Sauvaget, Wiet : Repertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe, le Caire, 1931-1944.

١٧٤ — الكندى (أبو عمر محمد بن يوسف): كتاب الولاة وكتاب القضاة، تحقيق
رفن جست ، بيروت ، ١٩٠٨ .

١٧٥ — Lavoix (H) : Catalogue des monnaies musulmanes de la Bibliothèque Nationale, 3 vols, Paris, 1887

١٧٦ — Lévi della Vida : La traduccione arabe della Storie de Orosio, al Andalus, vol XIX, 19:4

١٧٧ — Lévi - Provénçal (E) : Les Historiens des Chorfa Paris, 1922

١٧٨ — » » : Documents inédits d'histoire almohade, Paris, 1928

١٧٩ — » » : La Description de l'Espagne d'Ahmad al Razi, al-Andalus, vol XVIII, fasc I, 1953.

١٨٠ — » » : Un document Sur la vie urbaine et le corps des métiers de Séville au début du XIe Siécle, dans, Journal Asiatique, Avril Juin, 1934

١٨١ — » » : Inscriptions arabes d'Espagne, 2 vols., Paris 1931.

١٨٢ — ليفى بروفنسال : الإسلام فى المغرب والأندلس ، تعريب الدكتور السيد عبد العزيز سالم ، والأستاذ محمد صلاح الدين حلمى ، القاهرة ، ١٩٥٨ .

١٨٣ — لويس (برنارد) : العرب فى التاريخ ، تعريب الدكتور نبيه أمين فارس ، والدكتور محمود يوسف زايد ، بيروت ، ١٩٥٤ .

١٨٤ — ماجد (دكتور عبد المنعم) : مقدمة لدراسة التاريخ الاسلامى ، القاهرة ، ١٩٥٣ .

١٨٥ — » » : النقود الفاطمية ، مقال بحوليات كلية الآداب جامعة عين شمس ، مايو ١٩٥٣ .

١٨٦ — » » : تاريخ الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

١٨٧ — » » : التاريخ السياسى للدولة العربية ، ج ١ ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

١٨٨ — الماوردى (أبو الحسن على بن محمد) : الأحكام السلطانية ، القاهرة ١٢٢٨ هـ .

١٨٩ — مجهول : أخبار الصين والهند ، تحقيق جان سوفاجيه ، باريس ، ١٩٤٨ .

١٩٠ — المراكشى (محيى الدين عبد الواحد) : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق الأستاذين محمد سعيد العريان ، ومحمد العربى العلمى ، القاهرة ، ١٩٤٩ .

١٩١ — المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين) : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، طبعة الأستاذ محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٥٨ .

١٩٢ — مسكويه (أبو على أحمد بن محمد) : كتاب تجارب الأمم ، تحقيق آمدروز ، القاهرة ١٩١٤ — ١٩١٥

١٩٣ — Margoliouth (D. S.) : Lectures on Arabic Historians, (delivered before the University of Calcutta, February 1929), University of Calcutta, 1930.

١٩٤ — المقدسى (شمس الدين أبو عبد الله محمد) : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، طبعة دى خويه ، ليدن ١٩٠٦ .

١٩٥ — المقدسى (مطهر بن طاهر) : كتاب البدء والتاريخ ، نشره كلمان هوار ، باريس ١٨٩٩ .

١٩٦ — المقرى (أحمد بن محمد) : نفح الطيب من غصن أندلس الرطيب ، تحقيق الأستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد ، ١٠ أجزاء ، القاهرة ١٩٤٩ .

١٩٧ — المقريزى (تقى الدين أحمد) : إغاثة الأمة بكشف الغمة ، تحقيق الدكتور

جمال الدين الشيال ، والدكتور محمد مصطفى زيادة ،
القاهرة، ١٩٥٧ .

١٩٧ — « « : شذور العقود فى ذكر النقود القديمة والاسلامية، تحقيق الطباطبائى
النجف ، ١٣٥٦ .

١٩٨ — « « : كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ٣ مجلدات ،
طبعة بيروت ، بيروت ١٩٥٦ .

١٩٩ — مكى (دكتور محمود على) : التشيع فى الأندلس ، مقال بصحيفة معهد
الدراسات الإسلامية بمدريد ، مجلد ٣ ، ١٩٥٤

٢٠٠ — Makki (Dr Mahmud Ali) : Egipto y los origines dela historiografia arabe espanola , Revista del Instituto Egipcio de Estudios Islamicos de Madrid, vol. V , fasc 1-2, Madrid, 1957 .

٢٠١ — ابن مماتى (شرف الدين أبو المكارم) : كتاب قوانين الدواوين ، جمع
وتحقيق الدكتور عزيز سوريال عطية ، القاهرة ١٩٤٣

٢٠٢ — ابن منبه (وهب) : كتاب التيجان فى ملوك حمير . طبعة حيدر آباد
الدكن ، ١٣٤٧ هـ .

٢٠٣ — موسل (ألويس) : شمال الحجاز، ترجمة الدكتور عبد المحسن الحسينى،
الاسكندرية ١٩٥٣

٢٠٤ — مؤنس (الدكتور حسين) : الجغرافية والجغرافيون فى الأندلس من
البداية إلى الحجارى ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية فى
مدريد ، المجلدان ٧ ، ٨ مدريد ١٩٥٩ - ١٩٦٠ .

٢٠٥ — مؤنس (دكتور حسين) : الجغرافية والجغرافيون فى الأندلس: الشريف الإدريسى قمة علم الجغرافية عند المسلمين، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، المجلدان ٩ ، ١٠ ، مدريد ١٩٦١ - ١٩٦٢

٢٠٦ — ناصرى خسرو علوى : سفرنامة ، تعريب الدكتور يحي الخشاب ، القاهرة ، ١٩٤٥

٢٠٧ — النجار (محمد بن محمود) : كتاب الدرة الثمينة فى تاريخ المدينة ، نشر كملحق ثان بالجزء الثانى من كتاب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، القاهرة ، ١٩٥٦ .

٢٠٨ — النقشبندى (ناصر السيد محمود) : الدينار الاسلامى فى المتحف العراقى ، ج ١ ، الدينار الأموى والعباسى ، بغداد ١٩٥٣ .

٢٠٩ — النويرى (شهاب الدين أحمد) نهاية الأرب فى فنون الأدب ، السفر الأول، مجموعة تراثنا ، نسخة مصورة من طبعة دار الكتب المصرية

٢١٠ — النويرى السكندرى (محمد بن قاسم) : الإلمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية فى واقعة الأسكندرية ، مخطوطة رقم ١٤٤٩ بدار الكتب المصرية .

٢١ — الهمدانى (أبو محمد الحسن بن أحمد) : كتاب الإكليل ، ج ٨ ، تحقيق الدكتور نبيه أمين فارس ، برنستن ، ١٩٤٠ ، والجزء العاشر ، تحقيق محب الدين الخطيب ، القاهرة ١٣٦٨ هـ

٢١٢ — « « : صفة جزيرة العرب ، نشره محمد بن عبد الله بن بليهد النجدى ، القاهرة ١٩٥٣

٢١٣ — هرنشو : علم التاريخ ، ترجمة الأستاذ عبد الحميد العبادى، القاهرة ١٩٢٧

٢١٤ — الهروى (أبو الحسن على بن أبى بكر) : كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات ، تحقيق جانين سورديل جومين ، دمشق ، ١٩٥٣

٢١٥ — الواقدى: مغازى رسول الله ، القاهرة ، ١٩٤٨

٢١٦ — ياقوت الحموى (شهاب الدين أبو عبد الله) : كتاب إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب ، طبعة مرجليوث ، القاهرة ١٩١٣

٢١٧ — « « : معجم البلدان ، خمسة مجلدات ، طبعة بيروت ، ١٩٥٥

٢١٨ — اليعقوبى (أحمد بن أبى يعقوب) : كتاب البلدان ، نشره دى غويه مع الأعلاق النفيسة لابن رسته ، فى الجزء السابع من المكتبة الجغرافية العربية ، ليدن ، ١٨٩٢

٢١٩ — اليمانى (عبد الواسع بن يحيى الواسعى) : تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن فى حوادث وتاريخ اليمن ، القاهرة ، ١٣٤٦ هـ

٢٢٠ — يوتيخوس (سعيد بن بطريق) : كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، بيروت ، ١٩٠٥ - ١٩٠٦ .

فهرس موضوعات الكتاب

فهرس موضوعات الكتاب

الصفحة

المقدمة ٣

الباب الاول

الكتابة التاريخية عند العرب

الفصل الأول

علم التاريخ فى أقوال مؤرخى العرب

١ — التقويم الهجرى ١٧

ا — لفظة « تأريخ » لغة واصطلاحا ١٧

ب — ادخال التقويم الهجرى ٢٠

٢ — آراء مؤرخى العرب فى التأريخ ٢٦

ا — فائدة التأريخ ٢٦

ب — أخطاء المؤرخين العرب فى رأى ابن خلدون ٢٤

ج — الشروط اللازم توفرها فى الكتابة التاريخية ٣٩

الفصل الثانى

نشأة علم التاريخ عند العرب

١ — أخبار العرب فى الجاهلية ٤١

عبيد بن شرية الجرهمى اليمنى ٤٥

وهب بن منبه ٤٦

الصفحة

هشام بن محمد بن السائب الكلبي ٤٨
أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى ٥٠
أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمدانى ٥١
٢ — كتاب السيرة والمغازى وبداية الكتابة التاريخية عند العرب ٥٣
ا — مدرسة التاريخ فى المدينة ٥٣
الطبقه الأولى ٥٥
الطبقة الثانية ٥٧
الطبقة الثالثة ٦٠
ب — مدرسة التاريخ فى البصرة ٦٦
كتاب المغازى ٦٧
كتاب التاريخ (الأخباريون) ٦٧
كتاب الأنساب ٧١

الفصل الثالث

تطور الكتابة التاريخية فى العصر الاسلامى

١ — منهج الكتابة التاريخية عند المسلمين ٧٥
ا — التأريخ الحولى أو حسب السنين ٨٢
ب — التأريخ حسب الموضوعات ٩١
التأريخ للدول ٩١
التأريخ حسب الطبقات ٩٥
التأريخ حسب الأنساب ٩٥

	الصفحة
٢ — تنوع صور المادة التاريخية	٩٧
ا — التأريخ العالمى	٩٧
ب — التأريخ المحلى	١٠٤
التأريخ المحلى الدنيوى	١٠٧
التأريخ المحلى الدينى	١١٩
التأريخ المعاصر والمذكرات	١٢٤

الباب الثانى

مصادر التاريخ الاسلامى

الفصل الرابع

المصادر الأثرية

١ — الوثائق الرسمية والأوراق البردية والوقفيات	١٣٣
الوثائق الرسمية	١٣٣
البرديات	١٣٦
الوقفيات	١٣٩
أمثلة من الوثائق الرسمية	١٤١
٢ — الكتابات الأثرية أو النقوش	١٥١
٣ — العملات أو النميات أو المسكوكات	١٥٦
٤ — الآثار المعمارية والتحف	١٦٢

الصفحة

الفصل الخامس

المصادر المكتوبة

١ — القرآن الكريم والحديث والتفسير ١٦٩
٢ — كتب الطبقات والأنساب ١٧٧
٣ — كتب الجغرافية ١٨٣
مدرسة الجغرافية العربية المتأثرة بجغرافية اليونان ١٨٥
مدرسة الجغرافية العربية ١٨٨
ا — وصف أقطار العالم الاسلامى (البلخى-الاصطخرى - ابن حوقل
المقدسى- الادريسى) ١٨٩
ب - الجغرافيون المتخصصون فى قطر واحد (الهمدانى - البكرى - المهلبى -
البيرونى) ١٩٤
ج - المعاجم الجغرافية (البكرى - ياقوت - الحميرى) ١٩٦
د - الموسوعات العامة (النويرى - العمرى - القلقشندى) ١٩٧
كتب الجغرافية فى الأندلس والمغرب ٢٠٠
٤ — كتب الرحلات ٢١١
أولا - الرحالة المشارقة ومصنفاتهم ٢١٦
(١) ناصر خسرو علوى ٢١٦
(٢) الهروى ٢١٨
(٣) عبد اللطيف البغدادى ٢١٩
ثانيا - الرحالة المغاربة ومصنفاتهم ٢٢٠

الصفحة

(١) ابن جبير	٢١٠
(٢) ابن سعيد المغربى	٢٢٢
(٣) العبدرى	٢٢٥
(٤) النوشريشى	٢٢٨
(٥) ابن رشيد السبتى الفهرى	٢٢٩
(٦) البلوى	٢٢٩
(٧) أبو حامد الغرناطى	٢٣١
(٨) ابن بطوطة	٢٣٢
(٩) التجانى	٢٣٣
٥ — الشعر العربى وكتب الأدب	٢٣٥
٦ — كتب الخراج والحسبة والخطط	٢٣٩
ملحقــات	٢٤٧
أولا ـ مقتطفات من الكتابات التاريخية	٢٤٧
ثانيا ـ مقتطفات من كتب الجغرافيين والرحالة	٢٧٠
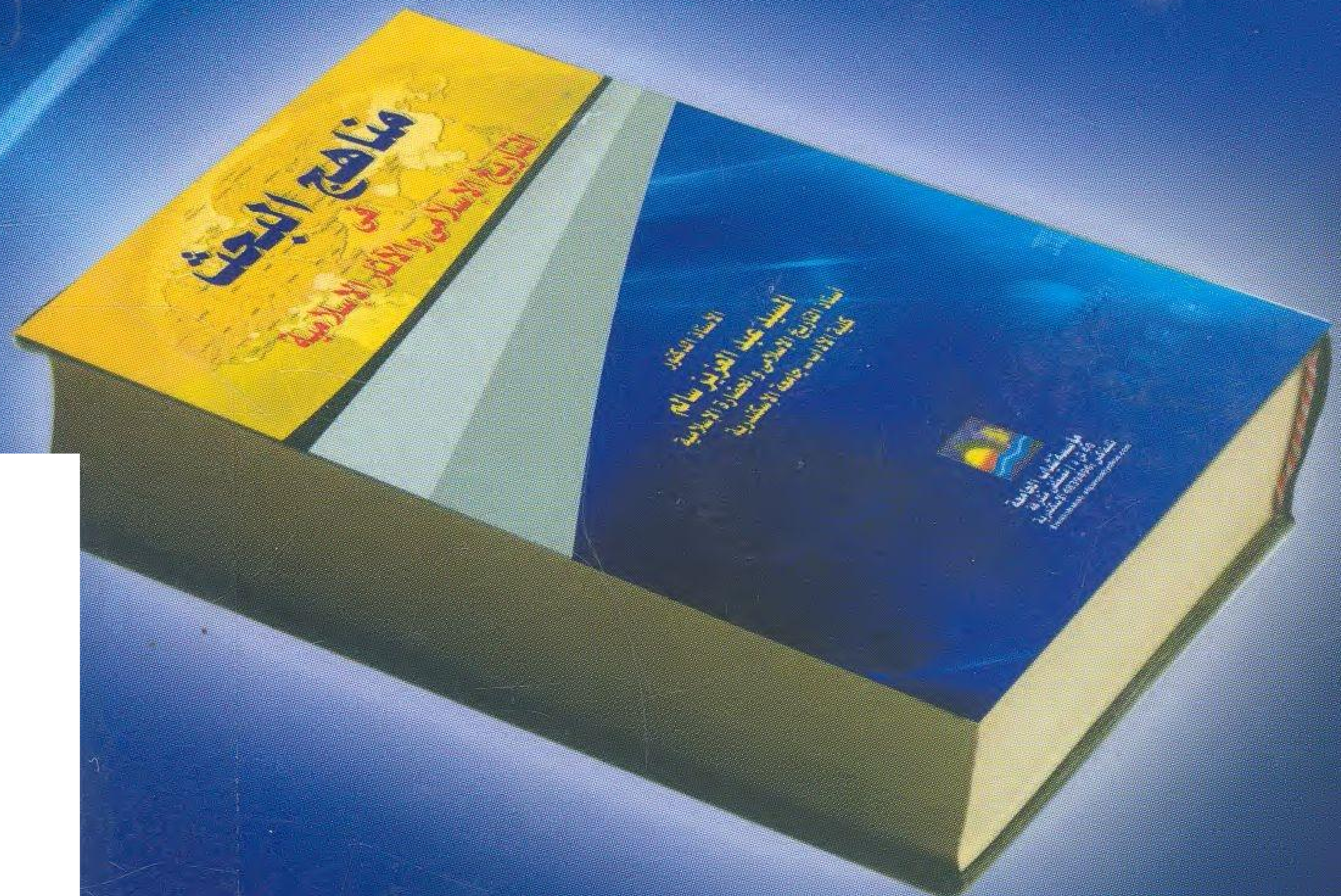
تم بعون الله وتوفيقه